

مجلة جامعة القدس المفتوحة للأبحاث والدراسات

مجلة علمية محكّمة نصف حولية

العدد الثاني - جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ/ آب ٢٠٠٣م

توجه المراسلات والأبحاث على العنوان التالي:
رئيس هيئة تحرير مجلة جامعة القدس المفتوحة
جامعة القدس المفتوحة
ص.ب: ٥١٨٠٠
هاتف: ٤ ,٣ ,٢/ ٢٩٦٤٥٧١
فاكس: ٢٩٦٤٥٧٠
بريد الكتروني: hsilwadi@qou.edu

تصميم واخراج فني:
توب ديزاين للدعاية والاعلان
02-2980138

الطباعة:
المطبعة العربية الحديثة
02-6262606

هيئة تحرير المجلة:

قواعد النشر والتوثيق

تنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، مع اهتمام خاص بالبحوث المتعلقة بالتعليم المفتوح والتعليم عن بعد، وتقبل أيضا الأبحاث المقدمة الى مؤتمرات علمية محكمة والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث.

يرجى من الأخوة الباحثين الراغبين في نشر بحوثهم الاقتداء بقواعد النشر والتوثيق الاتية:

١. تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية.

٢. أن لا يزيد حجم البحث عن ٣٠ صفحة " ٧٥٠٠ " كلمة تقريبا بما في ذلك الهوامش والمراجع.

٣. أن يتسم البحث بالأصالة ويمثل إضافة جديدة الى المعرفة في ميدانه.

٤. يقدم الباحث بحثه منسوخا على " قرص مرن / Disk A " أو CD مع ثلاث نسخ مطبوعة منه، غير مسترجعة سواء نشر البحث أم لم ينشر.

٥. يرفق مع البحث خلاصة مركزة في حدود " ١٠٠ - ١٥٠ " كلمة. ويكون هذا الملخص باللغة الإنجليزية إذا كان البحث باللغة العربية ويكون باللغة العربية إذا كان البحث باللغة الإنجليزية.

٦. ينشر البحث بعد إجازته من محكمين اثنين على الأقل تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة من بين أساتذة مختصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها على أن لا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.

٧. أن يتجنب الباحث أي إشارة قد تشير أو تدلل على شخصيته في أي موقع من البحث.

٨ . يزود الباحث الذي نشر بحثه بخمس نسخ من العدد الذي نشر فيه ، بالإضافة الى ثلاث مستلات منه .

٩ . تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي : إذا كان المرجع أو المصدر كتابا فيثبت اسم المؤلف ، عنوان الكتاب أو البحث ، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر ، الناشر ، الطبعة ، سنة النشر) الجزء أو المجلد ، رقم الصفحة ، أما إذا كان المرجع مجلة فيثبت المؤلف ، عنوان البحث ، اسم المجلة ، عدد المجلة وتاريخها ، رقم الصفحة .

١٠ . ترتب المراجع والمصادر في نهاية البحث "الفهرس" حسب الحروف الأبجدية لكنية / عائلة المؤلف ثم يليها اسم المؤلف ، عنوان الكتاب أو البحث ، (مكان النشر ، الناشر ، الطبعة ، سنة النشر) الجزء أو المجلد .

١١ . بإمكان الباحث استخدام نمط "APA "Style في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية ، حيث يشار الى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب التالي : " اسم عائلة المؤلف ، سنة النشر ، رقم الصفحة " .

المحتويات

الأبحاث

الأبحـاث



مراجعة تحليلية لكتاب

جامعات التعليم عن بعد والجامعات التقليدية:

التوترات والتفاعلات
دراسة مقارنة لخمس دول

د. سفيان عبداللطيف كمال*

---

* نائب رئيس جامعة القدس المفتوحة للشؤون الأكاديمية

ملخص

يعرض الكتاب ويناقش نتائج دراسة مقارنة أجرتها البروفيسور سارة جوري - روزنبلت، لمعرفة العلاقات والتوترات بين جامعات التعليم عن بعد، والجامعات التقليدية في أنظمة التعليم العالي في خمس دول متقدمة هي: المملكة المتحدة وأسبانيا وألمانيا وكندا وإسرائيل. كما يعرض ويناقش التطورات التي طرأت على كل من خمس جامعات للتعليم عن بعد نشأت في أوائل السبعينيات من القرن العشرين في تلك الدول، وذلك خلال عقدين بعد نشأتها. ويبرز الكتاب أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الجامعات فيما يتعلق بالنظم الإدارية والتمويل والنظم الأكاديمية والتبعية الحكومية أو الخاصة في ضوء البيئة الوطنية لكل منها. والجامعات المشار إليها هي: الجامعة البريطانية المفتوحة، والجامعة الإسبانية الوطنية للتعليم عن بعد، والجامعة الإسرائيلية المفتوحة، والجامعة الألمانية المفتوحة، وجامعة اثاباسكا الكندية.

ويستخلص من التحليلات المركزة والمتعمقة الواردة في الكتاب أن هناك سبعة اتجاهات ستفرض نفسها على الأهداف المستقبلية لجامعات التعليم عن بعد والجامعات التقليدية، وستكون بمثابة تحديات مشتركة لنوعي الجامعات.وهذه الاتجاهات هي:

١. تعدد فئات الطلبة الملتحقين بالجامعات ووجود أعداد كبيرة في كل فئة.
٢. تغير في أدوار المشرفين الأكاديميين (المحاضرين) سواء في التعليم أو الابحاث.
٣. مرونة كبيرة في المناهج الأكاديمية التي تقدمها الجامعات.
٤. استخدام التكنولوجيا الحديثة لإيصال المعرفة للطلبة وللتواصل مع معلميهم ومع زملائهم.
٥. تحديد تعاقدات جديدة بين الجامعات والمجتمعات المحيطة بها.
٦. تنامي التعاون بين الجامعات في إنتاج المواد التعليمية والأبحاث.
٧. عولمة التعليم العالي، أي أن العولمة ستغزو التعليم العالي وستؤثر فيه بشدة وتوجه كثيراً من أنشطته.

Abstract

The book under analytical revision discusses the results of a comparative study conducted by Professor Sara Guri- Rosenblit to determine the tensions and interactions between distance teaching and campus universities in each of five countries, namely: The United Kingdom, Spain, Germany, Canada and Israel. It also discusses the developments which happened to each of five distance teaching universities which were established in the early 1970's during the two decades following its establishment. The book points out the differences and similarities among these universities concerning administration, academic systems, financing, and affiliation in light of the national setting of each one of them. The universities under discussion are: The Open University in the UK, the Spanish Universidad Nacional de Educacion a Distancia, the Fern Universitat in Germany, Athabasca University in Canada and the Open University of Israel.

Deep analysis of the contents of the book under revision revealed seven trends which are likely to feature in the future agendas of distance and campus universities.These features are:

1. ***Broader and more diverse student clienteles.***
2. ***Changing roles of the academic faculty in teaching and research.***
3. ***Flexible academic curricula to serve lifelong education.***
4. ***Heavy use of new delivery and communication technologies.***
5. ***Defining new contracts between universities and their surrounding societies.***
6. ***Growth of inter-institutional collaboration.***
7. ***Globalization of higher education.***

مقدمة

لعل أهم سبب يكمن وراء ظهور التعلم عن بعد وانتشاره، هو الحاجة الماسة إلى توفير فرص التعليم العالي للجماهير بهدف المسارعة في عمليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ونشر الديمقراطية في المجتمعات، بحيث تفتح أبواب هذا المستوى من التعليم لكل راغب فيه وقادر عليه عقلياً ومعرفياً. وفي كثير من الأحيان كانت الحكومات وراء قيام جامعات التعليم عن بعد (الجامعات المفتوحة) بسبب إدراكها عدم قدرتها على توفير مقاعد في الجامعات التقليدية عالية التكلفة لأعداد كبيرة من مواطنيها. ومما شجع الحكومات على المضي قدماً في هذا السبيل، القناعات التي تولدت من النظريات والأبحاث ومن الواقع العملي، أن التعليم عن بعد قادر على إحداث تعلم جيد النوعية وبتكلفة أقل من تكلفة التعليم في الجامعات التقليدية، وخاصة بعد أن توافرت تقانات متنوعة تساعد على توظيف هذا النمط التعليمي، وتشجعه.

وقد بادرت حكومات كثيرة إلى انشاء جامعات التعليم عن بعد دون استشارة القطاع الخاص للتعليم العالي، ودون التنسيق مع الجامعات النظامية/ التقليدية القائمة. وقد رأت الجامعات التقليدية في الجامعات المفتوحة منافساً لها فعارضتها منذ البداية ونأت بنفسها عنها، بل حاول كثير من العاملين في القطاع الخاص للتعليم العالي الإقلال من شأنها وإضفاء نظرة دونية على إنتاجها. ولكن الجامعات المفتوحة أثبتت جدواها، وأظهرت أنها نمط تعليمي فعال قادر على خدمة الجماهير وإشباع حاجاتهم.

وقد أدت الزيادة الهائلة في أعداد الملتحقين بالتعليم العالي، وظهور التكنولوجيا المتقدمة خلال التسعينات من القرن العشرين إلى إحداث ضغوط وحوافز على الجامعات المفتوحة والجامعات التقليدية للنظر في أحوالها وفي العلاقات بينها، وإحداث التغيرات اللازمة في ضوء الواقع. لقد أصبح سوق التعليم العالي خلال التسعينيات من القرن الماضي تنافسياً ودولياً (Competitive and International). وأدركت الجامعات أن حاجتها إلى تغيير وتعديل نفسها لمواءمة حاجات التعليم العالي في القرن الحادي والعشرين أمر مصيري بالنسبة لوجودها. وكما قال رايدر رول Reider Roll الأمين العام للمجلس الدولي للتعليم عن بعد " أنه لمن الخطر أن تتمسك المؤسسات بطرق قديمة عفا عليها الزمن لصنع الأشياء. وهذا يصدق ليس على الشركات الكبرى والمنظمات العسكرية فقط، ولكن على الجامعات المفتوحة والتقليدية أيضاً " . (رول، ١٩٩٥ , ١٤).

وتعدُّ جوري – روزنبلت خبيرة في التطور التاريخي للجامعات، كما تُعدُّ أفضل من كتب في نظام التعليم عن بعد ومبرراته ونقاط القوة والضعف فيه. وقد عاشت عن قرب مراحل نشأة الجامعات المفتوحة في السبعينات من القرن الماضي وارتقائها خلال الثمانينات والتسعينات، وساهمت فيها بنشاط ملحوظ حسدها كثيرون عليه كمحاضرة وباحثة وإدارية.

وفي الدراسة التي قامت بها عن الجامعات المفتوحة والتقليدية في خمس دول، توصلت بشكل عام إلى أن العلاقات بين الجامعات المفتوحة من جهة، والجامعات التقليدية من جهة أخرى في كل من الدول الخمس قد تطورت عبر السنين من تشاؤم الجامعات التقليدية من المفتوحة خلال السبعينات، إلى تعاون متزايد خلال التسعينات. كما توصلت إلى أن الحدود الفاصلة بين التعليم العالي عن بعد والتعليم العالي التقليدي تصبح غير واضحة مع مرور الزمن، أي أنها تخف تدريجياً، وان هذا التوجه قد يتزايد خلال العقدين القادمين.

وكتابها " جامعات التعليم عن بعد والجامعات التقليدية: التوترات والتفاعلات – دراسة مقارنه لخمس دول "، الذي جسد الدراسة التي قامت بها للجامعات المفتوحة والتقليدية في خمس دول، هو بدون شك مطلب الشخص الذي يريد أن يعرف ما سيكون عليه التعليم العالي في العقود الأولى من القرن الحادي والعشرين. أن الأدبيات المتعلقة بالتعليم العالي المتراكمة حتى الآن كثيرة ومذهلة وأنها لفرصة ثمينة أن يعثر المرء على كتاب كهذا يلخص هذه الأدبيات ويعلق عليها ويستقرئ منها ملامح مستقبل هذا المستوى من التعليم.

وتهدف هذه المراجعة التحليلية لهذا الكتاب إلى ابراز الاتجاهات المستقبلية (ملامح المستقبل) للتعليم العالي على حلباته المختلفة سواء كانت في جامعات مفتوحة أو في جامعات تقليدية. ولا تهدف هذه المراجعة الى تلخيص الكتاب او اعطاء معلومات اخبارية عن كل من الجامعات المفتوحة الداخلة في الدراسة التي قامت بها المؤلفة. فالمهم في نظر المراجع هو مساعدة العاملين في التعليم العالي على الإجابة عن السؤال " التعلم المفتوح والتعليم عن بعد: الى أين ".

أهداف الكتاب ودوافع تأليفه

بدأت الكاتبة جوري – روزنبلت دراستها التي أصبحت كتاباً مهماً بهدف عام هو فهم الأدوار الوظيفية لجامعات التعليم عن بعد (الجامعات المفتوحة) Distance Teaching Universities ومتابعة أثرها على نظم التعليم العالي في الأوطان التي تنتمي إليها، ومعرفة طبيعة العلاقات والترابطات بين هذه الجامعة والجامعات التقليدية التي تتميز بوجود حرم جامعي تنفّذ عليه الغالبية العظمى من أنشطتها (Campus Universities).

ورغم المعارف الغنية والخبرات الواسعة التي كانت تمتلكها الكاتبة عن مجال التعليم عن بعد ومؤسساته وعن التعليم العالي بشكل عام، وجدت أن هناك عدداً من الأسئلة المتعلقة بهذا المجال لا تملك لها إجابات شافية. وشعرت أن من الواجب الاستمرار في البحث والدراسة لإيجاد الأجوبة المطلوبة لها. ومن أهم تلك الأسئلة ما يلي:

١. هل كانت الجامعات المفتوحة ابتداعاً رئيساً، (major innovation) في مجال التعليم العالي في السبعينيات من القرن الماضي في البلدان التي أقيمت فيها، أم أنها كانت مجرد واحدة من عدة خطوات إصلاحية هدفت إلى معالجة مشكلات قائمةً مثل ضرورة زيادة فرص الالتحاق بالتعليم العالي وتخفيض كلفة التعليم العالي على الطالب؟.

٢. ما الخلفية التاريخية والسياسية والاجتماعية الواسعة لإنشاء الجامعات المفتوحة في الدول المختلفة؟

٣. إلى أي مدى تختلف الجامعات المفتوحة عن الجامعات التقليدية في كل دولة (من الدولة المشمولة في الدراسة)، وإلى أي مدى تتشابه؟.

٤. ما طبيعة العلاقات التي أقيمت بين الجامعات المفتوحة ونظيراتها الجامعات التقليدية منذ بداية السبعينيات وحتى نهاية التسعينيات من القرن العشرين؟.

٥. كيف يمكن تعريف وتحديد المكانة الأكاديمية (Academic Status) للجامعات المفتوحة في كل بلد؟

٦. ما أهم الاختلافات بين الجامعات المفتوحة العاملة في بيئات ومواطن مختلفة؟ أي ما آثار العوامل الخاصة بكل وطن على تطور الجامعات المفتوحة القائمة فيه؟ ويشير هذا السؤال إلى أن الكاتبة ترى أن مراقبة التطورات الوطنية الخاصة بكل بلد Individual (National Evolutions) لا تقل أهمية عن مراقبة عناصر الشبه والتوافق بالنسبة للجامعات التي تعمل ضمن اطار التعليم عن بعد وفلسفته.

لقد أبرزت أدبيات التعليم عن بعد التي ظهرت خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين الخصائص العامة للجامعات المفتوحة للتأكيد على كونها مؤسسات جديدة بالمقارنة مع الجامعات التقليدية ومع المزودين السابقين للتعليم عن بعد Distance Teaching (Providers)، وللتأكيد أيضاً على أن التعليم عن بعد يستحق أن يكون نمطاً مميزاً وحقلاً خاصاً للبحث والدراسة. ولكن التطورات التي رافقت ظهور الجامعات المفتوحة والخصائص التي تميزت بها في مجتمعاتها بالمقارنة مع الجامعات التقليدية في كل مجتمع لم تكن مذكورة في أدبيات التعليم عن بعد. ولسد هذا الفراغ قامت الكاتبة بدراسة الأدب المقارن (Comparative Literature) المتعلق بشؤون التعليم العالي وأنظمته، فوجدت فيه اجابات عديدة للأسئلة المذكورة أعلاه، ولكنها ذهلت من الفروقات الكبيرة فيما يتعلق بوصف الجامعات المفتوحة في

هذا النوع من الأدبيات، أي أن أدبيات التعليم العالي عن بعد وأدبيات التعليم العالي العام لم تتفق في نظرتها للجامعات المفتوحة وأدوارها ومكانتها. فبينما اعتبرت أدبيات التعليم عن بعد أن الجامعات المفتوحة أهم تطور في التعليم العالي منذ القرون الوسطى، وأنها المعابد الجديدة للتعليم، وأنها التحدي الأساس لمفهوم الجامعة التقليدية، تبين أن الأدبيات العامة للتعليم العالي قليلاً ما كانت تشير إلى أهمية الجامعات المفتوحة. وإذا أشارت لها فكانت تذكرها على أنها تطورات هامشية أو مؤسسات لها مهام خاصة خارج نطاق الجامعات التقليدية.

ورأت الكاتبة جوري – روزنبلت أن الطريقة الوحيدة لفهم رسالة الجامعات المفتوحة، وإبراز دورها في البيئات الوطنية المختلفة وعلى الساحة الدولية هو تحليل عملياتها في السياق العريض للتعليم العالي في البلدان التي تعمل فيها. فقامت بدراسة معمقة للكتب والمقالات والأبحاث ذات العلاقة، حاولت خلالها إجراء ربط (Synthesis) بين أدبيات التعليم العالي وأدبيات التعليم عن بعد كي تحصل على تمثيل متوازن للمكانة الأكاديمية للجامعات المفتوحة ولأدوارها الخاصة في كل بلد. و الكتاب الذي نخضعه للمراجعة يتكون من النتائج والخلاصات لهذه الدراسة.

محددات الدراسة الواردة في الكتاب

ركزت جوري – روزنبلت في دراستها التي كونت الجسم الرئيس لكتابها هذا على جامعة

التعليم عن بعد (الجامعة المفتوحة) وحيدة الصفة (Single - Mode)، أي التي تطبق فقط نظام التعليم عن بعد، وأدخلت إلى التعليم العالي نوعاً جديداً من الجامعات يختلف عن الجامعات التقليدية المألوفة و يختلف عن مؤسسات التعليم بالمراسلة . أي أن الجامعات مزدوجة الصفة (dual-mode) لم تدخل في الدراسة . ومن بين جامعات التعليم عن بعد اختارت جامعات أنشئت في أوائل السبعينيات من القرن الماضي . أي أنها استبعدت من دراستها الجامعات التي أنشئت بعد الثمانينيات . فالمؤلفة –إذن– ركزت على تتبع مسارات وتطورات جامعات مفتوحة أسست في الفترة ذاتها من القرن الماضي، ولكنها اتجهت وجهات مختلفة بحكم وجودها في بيئات مختلفة . وحددت الجامعات التي تفحصتها في الدراسة بخمس هـي : الجامعة البريطانية المفتوحة والجامعة الإسبانية للتعليم عن بعد والجامعة الإسرائيلية المفتوحة والجامعة الألمانية المفتوحة وجامعة أثاباسكا الكندية المفتوحة، وكلها بدأت عملها في أوائل السبعينيات من القرن العشرين .

ورغم التشابه الكبير بين تلك الجامعات فإن بينها فوارق كبيرة أيضاً تجعل المقارنات بينها مفيدة وممتعة . فبعضها جامعات وطنية، أي تعمل على مستوى وطن كامل، وبعضها خاص بمناطق، وبعضها جامعات ضخمة في عدد دارسيها (mega universities) وبعضها جامعات صغيرة، وبعضها يقدم درجات علمية من البكالوريوس إلى الدكتوراة بينما يركز بعضها الآخر فقط على مرحلة البكالوريوس، وبعضها يدرس بأربع لغات وبعضها بلغة واحدة . وقد تأثر كل منها بعمق بتراث أكاديمي وطني (national academic culture) يختلف عما تأثرت به الجامعات المفتوحة الأخرى .

المحتويات الرئيسة للكتاب

يتكون الكتاب من ثمانية فصول، وفيما يلي أهم الأسئلة التي يجيب عنها كل فصل :

الفصل الأول: فكرة جامعة التعليم عن بعد (الجامعة المفتوحة)

ما الخصائص الرئيسة للجامعات المفتوحة؟ إلى أي مدى ابتعدت الجامعات المفتوحة التي أقيمت في أوائل السبعينيات عـن مبادئ المؤسسـات التربوية التي كانت تتبع نظام المراسـلة(correspondence institutions)؟ إلى أي مدى شكلت الجامعات المفتوحة المشار إليها تحديا لمبادئ وممارسات الجامعات التقليدية الراسـخة الأسس، والمعتمدة علـى نظـام الحرم الجامعي (campus universities)؟ . ما الخلفية الاجتماعية – السياسية لكل

من الجامعات المفتوحة الخاضعة للدراسة؟ . ما الأهداف الاجتماعية والأكاديمية التي كان ينتظر من كل من هذه الجامعات المفتوحة أن تحققها؟ .

الفصل الثاني: جامعات التعليم عن بعد في بيئاتها الوطنية

ما الفرق بين التعليم المفتوح والتعليم عن بعد؟ في أي المجالات تختلف الجامعات المفتوحة الخمس عن بعضها؟ إلى أي درجة تعدُّ كل جامعة مفتوحة جامعة مبتكرة ومجددة (innovative) في بيئتها الوطنية (milieu national)؟ وكيف يؤثر إبداع كل منها على علاقتها مع الجامعات التقليدية العاملة في البلد نفسه؟

(وقد أجابت المؤلفة عن السؤالين الثاني والثالث بالنسبة لثمانية مجالات منها متطلبات الالتحاق والتخرج واستعمال وسائط التواصل الجماهيري) .

الفصل الثالث: الدارسون والهيئات التدريسية

إلى أي مدى تختلف صفات الدارسين والهيئة الأكاديمية ودورها في كل من الجامعات المفتوحة الخمس التي خضعت للدراسة عن صفات الدارسين والهيئات الأكاديمية وأدوارها في الجامعات التقليدية؟ ما مضامين توزيع المسؤوليات التعليمية بين أطراف عدة في الجامعات المفتوحة على طبيعة العمليات التعليمية / التعلمية فيها؟ كيف يؤثر غياب جو الحرم الجامعي وقلة تفاعل الدارسين مع بعضهم على نوعية الخبرات الأكاديمية التي يمرون بها؟ ما أسباب نسبة الانسحاب المرتفعة في الجامعات المفتوحة (drop- outs)؟ كيف يمكن معالجة خطر احتمال تحول عملية التعليم في الجامعات المفتوحة إلى تلقين باستعمال وسائط التعليم عن بعد؟ ما أنواع أنظمة دعم التعلم الموجودة في الجامعات المفتوحة (learning support systems) وما وظائفها؟

الفصل الرابع: المناهج الأكاديمية

ما حقول الدراسة التي اختارت كل جامعة مفتوحة التركيز عليها؟ إلى أي مدى تختلف مناهج الجامعات المفتوحة عن بعضها بعضا وعن الجامعات التقليدية الكلاسيكية؟ ما أنواع الدرجات والدبلومات العلمية التي تقدمها أو تطرحها الجامعات المفتوحة؟ هل الجامعات المفتوحة أكثر توجهاً نحو تلبية حاجات الأسواق نحو التدريب الوظيفي (professional

(training؟ هل هنالك موضوعات معينة يمكن تعليمها بصورة أسهل من خلال طرق وأساليب التعليم عن بعد؟ ما ابعاد الانفتاح والانغلاق التي تتسم بها البرامج الأكاديمية لمختلف الجامعات المفتوحة؟ .

الفصل الخامس: التكنولوجيا في خدمة جامعات التعليم عن بعد

ما الصفات الفريدة للتقانات المتنوعة ((varying technologiesالتي يستعملها مزودو خدمات التعليم عن بعد لإنتاج المواد التعليمية وايصالها للدارسين؟ ما أنواع التقانات المستعملة لأغراض التواصل التفاعلي؟ كيف ستؤثر تقانات الحاسوب المتقدمة على تصميم وتطوير المناهج الأكاديمية وأساليب دراستها ذاتياً في الجامعات المفتوحة؟ إلى أي مدى ستؤثر وسائط تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التفاعلية من الجيل الثالث على عمليات التعليم والتعلم في الجامعات المفتوحة التقليدية؟ كيف ستؤثر تقانات المعلومات والاتصالات الحديثة على العلاقات بين الجامعات المفتوحة والجامعات التقليدية؟ ما المعايير الرئيسة لاختيار مزيج متوازن من وسائط التعليم بحيث ينتج هذا المزيج أفضل الدعم للدارس في نظام التعليم عن بعد؟

الفصل السادس: الإدارة والتمويل والتنظيم:

إلى أي مدى تختلف الأجهزة الإدارية والتنفيذية في الجامعات المفتوحة عنها في الجامعات التقليدية؟ كيف تنظم القاعدة المالية للجامعات المفتوحة؟ وما جوانب اختلاف عمليات تمويلها عن تمويل الجامعات التقليدية؟ إلى أي مدى تحقّق الجامعات المفتوحة وفورات نتيجة اقتصاديات الانتاج الكبير (economies of scale)؟ ما العلاقات الموجودة بين الإدارة العامة من جهة والمناطق التعليمية والمراكز الدراسية من جهة أخرى في كل من الجامعات المفتوحة الخمس الخاضعة للدراسة؟

الفصل السابع: جامعات التعليم عن بعد والجامعات التقليدية: التشاؤم والتعاون والتنافس:

ما نوع الطريق الذي اختارته كل جامعة مفتوحة في التعامل مع الجامعات التقليدية في البيئة الوطنية التي تعمل فيها؟ ما الأسباب الرئيسة للانتقادات ومشاعر العداء التي وجهت للجامعات المفتوحة في السبعينات من القرن العشرين؟ ما مجالات التعاون بين الجامعات

المفتوحة والتقليدية؟ ما آثار عدم وضوح الفواصل بين الجامعات المفتوحة والتقليدية وتنامي التنافس بين هذين النوعين من الجامعات على العلاقات المستقبلية بينهما؟

الفصل الثامن: دروس من الماضي واتجاهات للمستقبل:

ما العبر والنتائج التي يمكن أن يستنتجها الإداريون والأكاديميون وصانعو القرار في التعليم العالي من خبرة الجامعات المفتوحة فيما يتعلق برسم السياسة والتسيير الفعلي لمؤسسات التعليم العالي الأخرى؟ في أي المجالات يمكن اعتبار الجامعة المفتوحة واضعة اتجاهات وراسمة طرق في التعليم الحالي والمستقبلي؟ .

ما السيناريوهات المنتظرة في المستقبل للتعليم العالي عن بعد وبخاصة الجامعي منه؟ إلى أي مدى ستؤثر العولمة وتوجهات التشبيك الدولية international networking (trends) على تطورات التعليم العالي عن بعد وعلى التعليم العالي الجماهيري بشكل عام؟ ما الخطوط الإرشادية الرئيسة المستخلصة من تجارب الجامعات المفتوحة القديمة والتي يجب أخذها بالحسبان ينبغي الانتفاع بها عند إقامة جامعة مفتوحة جديدة في المستقبل؟ هل يكفي أخذ حاجات المتعلمين بالحسبان عند الرغبة في تأسيس جامعة للتعليم عن بعد؟ إلى أي درجة يجب أن تؤخذ الأعراف والمعايير القائمة في النظم الوطنية للتعليم العالي العام بالحسبان وخاصة فيما يتعلق بالانفتاح (Openness)؟ .

تحليل أولي لمحتويات الكتاب

لقد نمت نظم التعليم عن بعد، كما أشرنا في مكان سابق في هذه المراجعة، بسبب رغبة الحكومات في توفير تعليم عال جيد النوعية وقليل التكلفة (effective-Cost) بالإضافة إلى الرغبة في مساعدة الجماهير الواسعة وإعطائها فرصاً كثيرة لتتقدم وتطور نفسها علمياً ومادياً. وقد ازداد الطلب عن العرض في مجال التعليم العالي خلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين في دول أوروبا وفي غيرها من دول العالم، سواء من طرف أولئك الراغبين في الالتحاق لأول مرة بالجامعات والحصول على درجات جامعية، أو من طرف أولئك الراغبين في تطوير قدراتهم وكفاياتهم بزيادة ما حصلوا عليه في الماضي من تعليم عال. وجاء الطلب بخاصة من طرف أناس لا يستطيعون الدوام في الجامعات التقليدية أو أنهم يريدون دراسة جزئية لأن عملهم أو أوضاعهم الاجتماعية لا تمكنهم من الدوام النظامي

المعتاد. فكيف تمت تلبية رغبات أولئك الناس؟ وما طبيعة الخدمات التعليمية التي فتحت أمامهم الطريق إلى مستقبل أفضل؟.

ناقشت جوري- روزنبلت بالتفصيل الأنواع المختلفة من طرق التعليم عن بعد وأساليبه وتقنياته التي استعملت في خمس جامعات للتعليم عن بعد معتبرة أن كلاً من هذه الجامعات تمثل نظاماً للتعليم عن بعد، لكونها قائمة في بيئة تختلف عن بيئات الأخريات وهذه الأنظمة هي:

١. الجامعة الأسبانية الوطنية للتعليم عن بعد (أسبانيا).

The Spanish Universidad Nacional de Educacion a Distancia (Spain)

٢. فيرن يونيفرستات (ألمانيا).

The Fern Universitat in Germany (Germany)

٣. الجامعة البريطانية المفتوحة (بريطانيا).

The British Open University (Britain.

٤. الجامعة الإسرائيلية المفتوحة (إسرائيل).

The Open University of Israel (Israel).

٥. جامعة اثاباسكا (كندا).

Athabasca University (Canada).

واجتهدت جوري ــ روزنبلت في إيضاح الأنظمة والهياكل والمناحي المتنوعة الموجودة حالياً في هذه الجامعات فيما يتعلق بالتعليم عن بعد، مركزة ليس فقط على جوانب التشابه بينها، وإنما أيضاً على الفروق الملموسة. فالفروق بين البلدان في هذا المجال كثيرة، إذ إن كل نظام للتعليم عن بعد يجب أن يكتسب شرعية في بلده ويكون مناسباً لظروفها وأوضاعها. فالجامعة الوطنية للتعليم عن بعد في إسبانيا كانت جزءاً من عملية إصلاح شاملة للتعليم في ذلك البلد. والجامعة البريطانية المفتوحة، جريا مع اهتمام التقاليد الإنجليزية للتعليم العالي بالإشراف الأكاديمي على الدارس، حرصت أن يتضمن نظامها هذه الآلية التعليمية، مما جعلها أكثر الجامعات المفتوحة تكلفة رغم أن كلفة التعلم فيها بالنسبة للدارس الفرد تظل أقل من الكلفة في الجامعات البريطانية التقليدية.

إن نظرة سريعة على قائمة محتويات الكتاب تكشف مجموعة كبيرة من الموضوعات التي

جرى تحليلها ومقارنتها . فمن أنشطة الحكومات في تصميم ونشر التعليم عن بعد ، إلى صفات الطلاب والمعلمين ، إلى المناهج ، إلى التمويل ، إلى نجاعة التعليم عن بعد وجدواه وسلبياته . إن الكتاب مركز وملتزم بأهدافه التي سبق شرحها ، ومليء بالأفكار والمناقشات الدسمة . ومن الواضح أنه قد وضع للقارئ المهتم بالموضوع الراغب في التعرف على أبعاده وتحليل قضاياه . ويلاحظ أن الترتيب الواضح والمنطقي لمواضيع الكتاب لا يمنع القارئ من أن يختار قراءة موضوع من هنا وآخر من هناك ، ويتيح له التنقل بين الفصول دون أن يضطر لقراءة المادة كلها على التوالي .

لقد أعطت المؤلفة مكانة بارزة في كتابها لممارسات وطروحات الجامعة البريطانية المفتوحة ، فهذه الجامعة ، أو لنقل هذا النظام الرائد ما زال حتى الآن الأشهر بين أنظمة التعليم عن بعد . وكان ملهماً لأنظمة (جامعات) مفتوحة أخرى كثيرة منها على سبيل المثال جامعة انديرا غاندي في الهند وجامعة القدس المفتوحة في فلسطين . لقد كان نجاح الجامعة البريطانية باهراً وواضحاً ، وكانت -وما زالت- بين أرقى الجامعات البريطانية من حيث نوعية التدريس فيها ومن حيث البحث العلمي ، الأمر الذي يدل على أن بإمكان الجامعات المفتوحة أن تجتذب أفضل الباحثين والمدرسين . وقد ركزت الكاتبة على خاصية مهمة للجامعة البريطاينة المفتوحة ، وهي ان المراكز الدراسية للجامعة قد أثبتت أنها ضرورية ولا يمكن الاستغناء عنها لنجاح التعليم عن بعد .

لقد استعملت الجامعة البريطانية المفتوحة المدارس الصيفية والمختبرات والندوات بانتظام في مختلف أنظمة التعليم عن بعد . وقد أشار الدارسون في هذه الجامعة وغيرها من الجامعات المفتوحة مراراً وتكراراً إلى أن التدريس وجهاً لوجه ضروري لنجاح الجامعات المفتوحة وشعبيتها . وهذا صحيح حتى في الجامعة الافتراضية و في أيام الانترنت .

إن جوري___روزنبلت ترى أن هذه القضية مهمة ، بل مركزية ، وتحليلها لها يدل على إيمانها بأن وجود عنصر التدريس وجهاً لوجه في نظام التعليم عن بعد يجب أن يكون سياسة تحتذى . إن قدرة الجامعة المفتوحة أينما كانت ، على تلبية حاجات إنسانية أساسية سيكون المحك لنحاجها كجامعة فاعلة ، وتصلح لأن تكون بديلاً كاملاً للجامعة التقليدية . إنها ترى أن كون " التعليم خبرة إنسانية " أمراً لا يمكن تجاهله .

إن التعليم وجهاً لوجه هو شهادة حسن سلوك للجامعات التقليدية لما فيها من عناية فردية من جانب المعلمين للطلاب واهتمامات شخصية بهم ، ولكنه أيضاً يعدّ في الجامعات المفتوحة

علامة مرونة وتجاوب مع حاجة إنسانية ملحة، وإذا ضم إلى الممارسات والأساليب الأخرى الفعالة لنظام التعليم عن بعد، فإنه يزيد من جدوى هذا النظام ويكسبه مزيداً من القبول والاحترام المجتمعي.

وتذكر جوري – روزنبلت أن المرونة (flexibility) هي صفة مميزة للجامعات المفتوحة، وتشيد بحرص معلمي هذه الجامعات على إبقاء التوجه " العملي الاستهلاكي " لديهم ممزوجاً بالرغبة في إبقاء نوعية أدائهم عالية. فهم مطالبون دائماً بأن يوازنوا بين توجهات السوق وسياسة الحكومة ورغبات الناس وبين المعايير الأكاديمية. وهذا يجعل الجامعات المفتوحة أشد حاجة إلى التخطيط المحكم والإدارة القوية من الجامعات التقليدية.

لقد أبدعت الجامعات المفتوحة في إنتاج المواد التعليمية من كتب ومجمعات تعليمية (رزم) modules وحقائب علمية بأسعار معقولة. كما أبدعت في عرض هذه المواد التعليمية مستخدمة تقانات قديمة وحديثة، من البريد العادي البسيط إلى الإذاعة ونقل المعلومات بالاتصالات عبر الفضائيات التي تبشر بتخفيض أسعار التعلم، وتوسيع المجالات التي تصل إليها الجامعات المفتوحة في أصقاع المعمورة.

إن هذا التطور في الوسائط التعليمية لا يعني، في رأي المؤلفة، نهاية المواد التعليمية المطبوعة. فالمؤلفة ترى أن هذه المواد ستظل مهمة، بل متفوقة أحياناً على غيرها من الوسائط. إن المواد التعليمية التـــي يمكن أن يتعامـــل معها المتعلم عندما يريد وكيفما يريد، أي موزعة على هواه (self-spaced) تعتبر مهمة جداً، ولذا يجب أن تصمم بعناية ودقة. إن الكتاب في الجامعة المفتوحة يكتسب أهمية خاصة، ففي رأي المؤلفة أن الكتاب في الواقع هو الجامعة كلها. وبناء على ذلك فهي ترى أن دور المشرف الأكاديمي قد تناقص، وترى أن تزايد أهمية الكتاب يستدعي اشتراك فريق في إعداده بحيث يركز كل من أعضاء الفريق على جانب. وهذا لا يعنى تقسيم المادة العلمية على عدد من المؤلفين، بل يعنى أن الفريق يجب أن يشتمل على معدين أكفاء للمواد العلمية، ومزودي وسائط مساندة ومصممين تعليميين، ومحررين لغويين، ومتخصصين في علم النفس التربوي لملاحظة عرض المادة وتسلسلها وغيرهم.

ويرى علماء المستقبل أن على الطالب أن يتعلم كيف يكتسب المعرفة ويفسر المعلومات بنفسه بدل استقبالها من المعلمين. وعموماً فعلى الرغم مما تلاقيه مركزية الكتاب في التعليم المفتوح من تأييد إلا أن كثيرين ما زالوا يخضعونها للمناقشة. وقد حاولت روزنبلت أن لا تنجر إلى هذه المناقشة، واكتفت بالإشارة إلى وجودها. وكان الأفضل لو قدمت رأيها في

هذا الموضوع لأهميته وخاصة في الجامعات المفتوحة التي تفتقر إلى التكنولوجيا الحديثة في وسائلها التعليمية.

والنقطة الأهم التي تثيرها جوري- روزنبلت هي أن التعليم عن بعد، كأسلوب ونمط له مقوماته الخاصة، يتطلب تعاوناً مكثفاً بين اجهزة الجامعة المفتوحة المختلفة مثل الأجهزة المسؤولة عن تأليف المواد التعليمية وإعدادها بأسلوب التعليم عن بعد وإصدارها، وأجهزة إنتاج الوسائط التعليمية المساندة وأجهزة التدريس وغير ذلك. غير أن هذا التعاون والترابط في العمل الأكاديمي وخاصة البحثي اصبح يتزايد بين الجامعات التقليدية أيضاً، فظاهرة العمل كفريق أو من خلال فريق أخذت تفرض نفسها. ولا تدعي جوري- روزنبلت أن عصر المعلم البطل قد انتهى، ولكنها تقول إن هناك كثيراً من الأساليب الأخرى للتعليم والتعلم.

للجامعات المفتوحة إيجابيات كثيرة فهي تعدّ قوة إضافية لنشر ديمقراطية التعليم العالي، فضلاً عن أشياء أخرى ليس أقلها تعويد الانسان على الاعتماد على الذات. ولكن هل هناك نقاط ضعف لهذه الجامعات؟ ان رزونبلت مدافعة متحمسة عن هذا المنهج من التعليم، ولكنها تعرف تماماً الصعوبات التي تواجهه.

وحيث أن حجم هذا النوع من الجامعات يتطلب إدارة مركزية محكمة نجدها تتبع الهيكلية الإدارية الهرمية وبالتالي تنزع إلى تطبيق مناهج متجانسة، لا تقدر فيها الحرية الأكاديمية بالمستوى نفسه الذي تقدر فيه في الجامعات التقليدية.

وهناك خطر حدوث نوع من الدكتاتورية الفكرية حيث تهمل رغبات الطالب الخاصة وحاجاته من أجل رغبات الجماهير وضغوطها. وقد تخفف تكنولوجيا التعلم التفاعلية من هذا الخطر، وتزود الطالب باتصالات كالتي توجد في أرقى الجامعات التقليدية، ولكن الجواب عن السؤال " ما عناصر التعليم الجيد في الجامعات المفتوحة؟ " غير معروف حتى الآن. وتعتمد الجامعات التقليدية العريقة على اسمها ومرافقها وشهرتها في اكتساب الاعتراف والمكانة واحترام السوق لشهاداتها، ولكن نمط دوام الدارسين في معظم الجامعات المفتوحة ونوعيتهم وحاجاتهم قد يجعل من الصعب قياس مدى قيمة هذه الجامعات في أعين الناس وفي أعين من يسيطرون على الأسواق ويقررون حاجاتها.

أن سهولة دخول الجامعات المفتوحة والنسبة العالية للانسحاب منها أمران مقلقان، وكذلك الأدوار المستقبلية للحكومات بالنسبة لهذه الجامعات مقلقة، حيث أن العمليات السياسية دائماً عرضة للتغيير، وبالتالي قد يؤثر ذلك على مصائر هذه الجامعات.

إن الجامعة " الحقة " نادرة في هذا العالم . فمعظم الجامعات متشعبة في تكوينها وتخاطب أنواعاً متعددة من المستفيدين ، ولها أكثر مـــن رســـالة واحـــدة mission ، والتعليم الافتراضي (الالكتروني) ليس قاصراً على الجامعات المفتوحة بل تعداها إلى الجامعات التقليدية التي أدركت جدواه وأخذت تطبقه في جوانب كثيرة من أنشطتها سعياً وراء زيادة دخولها . إن نجاح الجامعات المفتوحة والحماس لإمكانياتها المستقبلية ، قد أدى إلى نوع من الانتقاد لها ، ولكنه أيضاً أدى إلى محاولات تقليدها وتبنى الكثير من عناصر مرونتها .

تحليل متقدم لمحتويات الكتاب:
الاتجاهات المستقبلية لجامعات التعليم عن بعد

لقد ركزت المؤلفة جوري ـــروزنبلت في كتابها بدرجة كبيرة على تفحص العلاقات والتوترات المعقدة والدقيقة الموجودة بين الجامعات المفتوحة والجامعات التقليدية ، وعلى تحليل أثر كل نوع على الآخر . ومنفعة هذا التفحص لا تقتصر على العاملين في الجامعات المفتوحة ، بل تتعداها إلى صانعي القرار في التعليم العالي بعامة ، وإلى الأكاديميين والإداريين وصانعي القرار في الجامعات التقليدية أيضاً .

إن الجامعات المفتوحة تعدّ رائدة في المواجهة المبكرة للكثير من التحديات التي تواجه التعليم العالي حالياً مثل : تزويد الراشدين العاملين بفرص غنية للتعليم المستمر مدى الحياة ، وتوفير برامج أكاديمية مرنة للدارسين الذين فاتتهم فرص التعليم الأكاديمي في ماضي حياتهم ، و توفير برامج غنية لفئات متنوعة من الدارسين والقيام بتدريسهم بنجاح ، واستخدام التقانات الحديثة في التعليم العالي ، وتخفيض كلفة التعليم العالي على الدارس ، وإحداث وفورات نتيجة الإنتاج الكبير في التعليم العالي (economies of scale) ، وإدارة جامعات ضخمة في حجمها وعدد دارسيها ، وإدارة عمليات ضخمة مكثفة للتدريس ، والمساهمة في نشر التعاون الدولي في التعليم العالي ، وغير ذلك . وقد وجدت أنه بعد مرور حوالي عقدين من الزمن من مواجهة الجامعات المفتوحة للتحديات المذكورة قامت جامعات تقليدية عديدة بالاهتمام الواضح بهذه التحديات . وقد أكدت روزنبلت نتيجة تحليلاتها أن الجامعات المفتوحة لا يمكن أن تكون ظاهرة هامشية في عالم التعليم العالي ، بل مؤسسات مهمة حملت بشائر بنشوء اتجاهات مستقبلية قد يكون لها مضامين مهمة على تطورات الجامعات التقليدية . وفيما يلي أهم هذه الاتجاهات :

أولاً: تنوع فئات الدارسين الملتحقين بالجامعات

إن التزايد الهائل والمستمر في أعداد الطلاب الملتحقين بالجامعات يعدُّ أهم تطور حصل في أنظمة التعليم العالي منذ الستينيات من القرن العشرين. والتحول من جامعات النخبة (elite universities) إلى الجامعات المؤمنة بإعطاء الفرص المتساوية للقادرين على الالتحاق، كان السمة المميزة للتعليم العالي في جميع الدول المتقدمة وبعض الدول النامية خلال العقود الثلاثة الماضية. والقضيتان الأساسيتان اللتان شغلتا بال السياسيين والأكاديميين بالنسبة لتضخم الالتحاق بالتعليم العالي الخوف من تدهور المستويات الأكاديمية وارتفاع التكاليف.

إن الدروس المستفادة من العديد من الجامعات الضخمة، وبخاصة المفتوحة منها تشير إلى أن من الممكن الجمع بين سياسة مساواة فرص الالتحاق التي ينتج عنها قبول أعداد هائلة من الطلبة، وبين الإصرار على نوعية عالية من التعليم ومتطلبات عالية للتخرج، وفي نفس الوقت تخفيض التكلفة على الطالب الواحد. وللتوصل إلى هذا يجب أن توفر الجامعات تخطيطاً استراتيجياً قديراً (efficient) ونظم دعم فعالة لعملية التعليم. وبالإضافة إلى ذلك فإن التحاق أعداد متزايدة من الطلبة للتعليم العالي يعني أن صنوفاً مختلفة من الطلبة يدخلون بمؤهلات متنوعة ولهم حاجات وأهداف وميول غير متجانسة، الأمر الذي يرهق الجامعات ويصعب عليها الاستجابة لكل ما يترتب على الزيادة الهائلة في الأعداد. أنه لمن الواضح أن على الجامعات، سواء المفتوحة أو التقليدية، أن تضع على رأس اهتماماتها المستقبلية الحاجة إلى تصميم مناهج غنية كثيرة، وان تستخدم طرق تدريس متعددة لتتجاوب مع حاجات الطلبة صغار السن المختلفة إلى حد ما عن حاجات الطلاب الأكبر سنا. وتحديداً سيكون في الجامعات طلبة " الفرصة الأولى " مقابل طلبة " الفرصة الثانية " ، وطلبة الدرجات الجامعية مقابل طلبة التعليم المستمر الذين يلتحقون لرفع الكفاية، والطلبة المحليون مقابل الطلبة الدوليين.

ثانياً: الأدوار المتغيرة للهيئات الأكاديمية

أحد الدروس الهامة المستفادة من خبرات كثير من الجامعات المفتوحة هو أن الأدوار المناطة بأعضاء هيئاتها الأكاديمية (المشرفون الأكاديميون) قد تغيرت لتناسب بيئاتها التعليمية/ التعلمية الجديدة والمختلفة عن البيئات التقليدية. لقد كانت الجامعات المفتوحة سباقة في إدراك هذه

الحقيقة. وبذلك ابرزت سمة ستميز أدوار أعضاء الهيئات الأكاديمية في جميع الجامعات في المستقبل. ومن أهم التغيرات المشار إليها في أدوار أعضاء الهيئات الأكاديمية ما يلي:

١- على الأكاديميين أن يعتادوا على التعاون مع غيرهم من المهنيين والفنيين العاملين في الجامعة وخاصة في مجال تصميم المواد التعليمية وتنفيذ عملية التعليم. والعمل كفريق يتطلب أن يتنازل المحاضرون عن جزء من حريتهم الأكاديمية الغالية، وان يمارسوا مهارات التفاعل والتواصل الاجتماعي. وبكلام آخر فإن مسؤولية التعليم الجامعي أصبحت موزعة بين أطراف عدة، والمحاضرون هم أحد هذه الأطراف. إن استخدام التكنولوجيا التفاعلية الحديثة سيجبر الأكاديميين على أن يتعاونوا مع خبراء آخرين لتطوير مواد تعليمية عالية الجودة وخبراء لتوصيلها للمتعلمين بوسائط غنية متنوعة.

٢- سيصبح المدرسون منظمين ومسهلين ووسطاء بين قواعد المعرفة (knowledge bases) والطلاب، بدلاً من أن يكونوا الملقنين والمرسلين الرئيسيين للمعارف.

٣- ستفرض البيئة التعليمية / التعلمية الجديدة على الأكاديميين أن يتحملوا مسؤوليات جديدة، وأن يطوروا لأنفسهم مهارات وكفايات جديدة (قدرات). أن ظهور التقانات الحديثة لتقديم المعرفة ووسائط الاتصال التفاعلية سيحول نشاطاتهم إلى حقول إضافية. ان التقانات الجديدة تتحدى بعمق تنظيم الحياة الأكاديمية. إذ سينتظر من المحاضرين أن يقودوا جلسات تعليمية بنمط المؤتمرات البعيدة بوساطة الحاسوب أو الفيديو أو القنوات السمعية، وأن يصبحوا أكثر خبرة في مجال (desktop publishing) وتصميم برمجيات الحاسوب ووضع دروسهم على الشبكة العالمية (www)، أو أن يقدموا محاضرات من خلال الفضائيات أو التلفزيون التعليمي (Bates. ١٩٩٥). ومن الجدير بالذكر أن العديد من هذه المهارات سيكون مطلوباً في المستقبل المنظور من مدرسي الجامعات التقليدية أيضاً.

ثالثاً: مناهج أكاديمية مرنة

لقد أصبح " التعلم مدى الحياة " هذه الأيام الشعار السائد لمعظم مؤسسات التعليم العالي في العالم. وهذا المفهوم هو حجر الزاوية في مفهوم مجتمع التعلم (learning society)، أي المجتمع الذي يشجع أفراده على استمرارية الدراسة والتعلم مهما كبر سنهم، مما ينتج عنه إغناء النسيج الاجتماعي وتقويته وتدعيم المصلحة العامة.

والتعلم مدى الحياة يقوم معظمه على فكرة التعلم الجزئي (غير المتفرغ (part-time

المستمر طيلة العمر . والتعلم العالي الجزئي هو مفهوم ضروري من التعلم المستمر والمتكرر مدى الحياة، والتلاميذ الذين يتعلمون بشكل جزئي هم في الغالب أشخاص راشدون موظفون بشكل جزئي أو كلي أو أنهم مندمجون بالتزامات عائلية واجتماعية .

من الدروس المهمة التي نتجت عن خبرات الجامعة المفتوحة هو أنه من أجل نشر التعلم وتعميمه ودعمه مدى الحياة لا يكفي أن تلحق طلاباً بشكل جزئي في مناهج صممت أصلا لدراسة الدوام الكامل (full-time curricula)، وتمكينهم من قضاء وقت أطول في التفاعل مع هذه المناهج . أنه من أجل تعلم حقيقي مدى الحياة يجب تصميم " مناهج مرنة " تمكن الدارسين من ترك الدراسة متى أرادوا والعودة إليها متى أرادوا . كما يجب تصميم وحدات أكاديمية يمكن نقلها من جامعة إلى اخرى في الوطن الواحد، ومن جامعة إلى اخرى عبر العالم . ويجب أيضاً تصميم برامج دبلوم موادها على شكل مجمعات (رزم) تعليمية (modules) لا تتتابع مواضيعها بشكل خطي (non-linear) يعتمد الواحد منها تماماً على سابقه، وذلك جنباً إلى جنب مع مقررات دراسية إنعاشية في مختلف المجالات، وجعل هذه الدبلومات والمقررات متوافرة في أي وقت، وحسب رغبات الدارسين وحاجاتهم .

وخبرة الجامعات المفتوحة ابرزت الحاجة إلى إعادة التفكير بظاهرة الانسحاب -drop (out) من التعليم العالي وبالمعاني التي تعطى لها . أنه لمن الضروري التمييز بين الطلاب الذين يفشلون في دراستهم ويقررون تبعا لذلك الانسحاب، وبين الطلاب الناجحين الذين يقررون الانسحاب لأسباب شخصية أو وظيفية .

إن حقيقة انتشار " التعلم مدى الحياة " وتزايد أعداد الملتحقين بالجامعات ضمن إطاره (أي على أساس قصير المدى وليس للحصول على درجة علمية) تفرض إعادة النظر بتمويل الجامعات من طرف الحكومات أوغيرها إذا كان التمويل يعتمد على إحصاء أعداد الخريجين فقط . إذ هناك أنشطة علمية وثقافية كثيرة تجري في الجامعات المفتوحة خاصة لأناس لا يتخرجون بدرجات علمية، ويجب أخذ هذه الأنشطة في الحسبان عند اتخاذ الحكومات قرارها بالدعم المالي للجامعة .

رابعاً: تقانات التوصيل والاتصالات الحديثة

ان التقانات الحديثة تتحدى بعمق تنظيم الحياة الأكاديمية في الجامعات المفتوحة والجامعات التقليدية على السواء . لقد أثر تطبيق التكنولوجيا التفاعلية الحديثة على العلاقات بين الطلبة ومعلميهم وغير طبيعة المناهج الأكاديمية واسلوب الحصول على المعرفة وتكوينها أو توليدها .

لم يحن الوقت بعد للتنبؤ بكل الآثار التي يمكن لتكنولوجيا المعلومات الحديثة والتكنولوجيا التفاعلية أن تلقي بها على مؤسسات التعليم العالي، ولكن من الواضح رغم كل ذلك أن التكنولوجيا الحديثة يجب أن ينظر لها كوسيط للوصول إلى غايات، أو ناقلات (vehicles) للوصول إلى أهداف تربوية، وأنها ليست غايات بحد ذاتها.

إن احد الدروس المستفادة من تجارب الجامعات المفتوحة في هذا المجال هي أن أي تكنولوجيا جديدة يلزمها وقت طويل حتى تشق طريقها نحو التطبيق في النظام التربوي على نطاق واسع. واضافة لذلك فإن بعض التقانات يمكن أن تستخدم لأساليب تعليم معينة ولا تصلح للإستخدام في أساليب أخرى. فمثلاً، ان التلفاز التعليمي والمؤتمرات التي تعقد عبر الفضائيات أنسب لنقل المعلومات، ويمكن تشبيه دورها بإعطاء المحاضرات الصفية. بينما التواصل بواسطة الحاسوب يعدُّ مناسباً للتعلم التعاوني والحوارات بين الاشخاص (Bates,١٩٩٥ , ١٩٩٧). وهكذا فإن من المهم أن يختار المعلم مزيجاً متوازناً من الوسائط المناسبة لكل موقف تعليمي.

خامساً: الجامعات والمجتمع

ان أي نقاش حول مستقبل التعليم العالي لا يمكن فصله عن النقاش حول المجتمع. ان حدود ما يمكن أن تحققة الجامعات، توضع إلى حد كبير عن طريق المجتمعات التي تعمل فيها هذه الجامعات. واذا كان الحوار بين الجامعات والمجتمع ضرورياً بشكل عام، فهو أمر لا مفر منه بالنسبة للجامعات المفتوحة والجامعات الجماهيرية كبيرة الحجم (mass universities) التي تتمثل رسالتها الرئيسية في تلبية الحاجات المجتمعية التي لم تهتم جامعات النخبة بتلبيتها. ان من الضروري أن تقوم السلطات المحلية والشركات الخاصة والمصانع بضم جهودها وقواها مع الجامعات لتحسين فرص التعلم مدى الحياة في كل مجال. ان الخبرة التي مرت بها بعض الجامعات المفتوحة وبعض الجامعات كبيرة الحجم في التعاون مع المجتمعات المحيطة بها بكافة مؤسساتها، كانت مفيدة لجميع الفرقاء ولا بد من زيادة حجم التعاون.

على الجامعات المفتوحة تحسين التعاون مع المجتمعات المحلية وتعزيزه، مستعينة بشبكة المراكز الدراسية التي تملكها في الوطن. وهي أقدر من غيرها على الاندماج بحياة المجتمع بفئاته المختلفة والتجاوب باستمرار مع حاجاته من خلال هذه المراكز. ان استئجار المراكز الدراسية بوعي واعطاءها حرية أكبر في التعامل مع البيئات التي توجد فيها سيمنحها بالتأكيد

قدرة كبيرة على التأثير في هذه البيئات وتطويرها .

سادساً: التعاون بين المؤسسات

وهناك اتجاه مستقبلي آخر سنجده في الجامعات المفتوحة والجامعات الكبيرة الأعداد هو تنامي التعاون بين المؤسسات ، وكذلك التعاون الدولي في إنتاج المناهج الأكاديمية . وسيجري تصميم مقررات دراسية وإنتاجها بتعاون بين عدة أطراف عدة . إن مثل هذا التعاون قد يؤدي إلى إنتاج مواد بنوعية أفضل ، وتؤدي إلى توفير التكاليف بسبب زيادة حجم الإنتاج . ويمكن للجامعات المفتوحة قيادة هذا الجهد التعاوني مع مزودين آخرين للتعليم عن بعد ومع الجامعات التقليدية ومع مؤسسات غير جامعية داخل الوطن وخارجه . إن نوعية المواد التعليمية ستكون ذات أهمية قصوى في سوق التعلم عن بعد حيث لا حدود لعدد المقررات الدراسية التي يمكن لاية مؤسسة طرحها .

لا شك أن تجارة عالمية ستظهر في مجال التعليم الأكاديمي والوظيفي في المستقبل عندما سيكون بإمكان المتعلمين الوصول لمقررات دراسية والمعلمين في أي موضوع يريدونه في أي مكان في العالم ، شريطة وجود من يدرسه . وكلما كانت البرامج الأكاديمية جيدة النوعية ، كلما كثرت أعداد من يرغبون الالتحاق بها وكلما تعاظمت فائدتها في سوق التعليم العالي التنافسي .

سابعاً: عولمة التعليم العالي

لقد بدأ تأثير السوق العالمي على الدور الدولي للتعليم العالي بالظهور بوضوح في أواخر القرن العشرين . وأصبحت الجامعات في مختلف أنحاء العالم مندمجة في نشاط محموم يهدف إلى اجتذاب طلاب من دول العالم المختلفة ، والدخول في شراكات مع مؤسسات أخرى لوضع مشاريع عالية النوعية ، وفي نشر وتعميم اتجاهات عالمية . الطلاب وأعضاء الهيئات التدريسية يجري نقلهم وتبادلهم بين الجامعات ، وكذا المناهج الإدارية ووكالات الاعتراف تقوم بسرعة بالاعتراف بالدراسة الأكاديمية السابقة ، والحكومات تقوم بتوقيع اتفاقيات تعاون في التعليم العالي . ان برنامج إراسمس Erasmus الأوروبي ، على سبيل المثال ، الذي يهدف إلى تحسين تبادل وتحريك الطلبة والمعلمين والبرامج الأكاديمية قد توسع بشكل كبير جداً خلال الثمانينيات . ففي خلال عشر سنوات ازداد عدد الطلبة المشاركين في أنشطته من (٣٠٠٠) إلى أكثر من (٢٠٠,٠٠٠) .

إن الجامعات المفتوحة بحكم طبيعة أنظمتها قادرة على الوصول إلى أطراف العالم، فعملها ليس قاصراً على حدود البلد الذي يحتضنها، ولذلك فليس مدهشاً ان العديد منها يعمل في كثير من الدول.

منذ عام ١٩٨٠ أنشئت روابط دولية وشبكات مهمة للتعليم عن بعد مثل المجلس الوطني للتعليم عن بعد ICDE والشبكة الأوروبية للتعليم عن بعد EDEN وكومنولث التعليم المفتوح COL ورابطة الجامعات الآسيوية المفتوحة AAOU. وقد شهد العالم في التسعينيات اندفاعاً نحو برامج ومشاريع تحتضنها عدة جامعات معاً Consortia، و شهد تعاوناً مكثفاً بين مزودي التعليم عن بعد.

ويمكن تفعيل الانتشار العالمي للجامعات المفتوحة على عدة مستويات تتراوح بين الوصول إلى طلاب (أفراد) بعيدين، إلى التعاون مع مؤسسات (جامعات، شركات تجارية أو صناعية وغير ذلك) محلية أو دولية، إلى إقامة مشاريع تعاونية مع الحكومات المحلية أو مع حكومات عدة. وفي سوق التعليم الدولي سيكون باستطاعة الطلاب الوصول إلى أية جامعة تسمح أنظمة الالتحاق بها قبول طلبة دوليين. وإن إقامة الاتفاقات بين المؤسسات الأكاديمية في القطر الواحد وبين الأقطار المختلفة سيكون مهماً جداً لتسهيل تنقل الطلبة.

لقد تنبأ رامبل Rumble (١٩٩٧) أن معظم الطلبة في المستقبل سيدرسون أثناء العمل، وبإمكانهم الاستمرار في الدراسة حتى لو انتقلوا من مكان إلى أخر لسهولة الحركة وسرعة الاتصالات التقانية في الوقت الحاضر، ويتوقعون بالطبع أن ينقلوا الساعات المعتمدة التي درسوها في مكان إلى المكان الجديد. وستصبح مسألة الاعتراف بالدراسة السابقة للطالب عندما يحل بجامعة جديدة قضية حساسة جداً. وبالنسبة للجامعات المفتوحة ستكون هذه القضية بالغة الأهمية.

ما يؤخذ على الكتاب

لعل أهم ما يؤخذ على كتاب البروفسور جوري - روزنبلت هذا أمران رئيسان هما:

١. لقد اقتصرت الدراسة التي بني عليها الكتاب على تفحص نشأة وتطور خمس جامعات في دول متقدمة. والمآخذ هنا على عدد الجامعات وطبيعة الدول التي نشأت فيها هذه الجامعات. فالمعروف أن في العالم اليوم قرابة ألف من المؤسسات التي تعمل في مجال التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، منها الجامعات ومنها الوكالات ومنها المنظمات المتخصصة. ولكثير من هذه

الجامعات تجارب وخبرات تستحق التفحص لأخذ العبر والدروس منها، وبخاصة ما يقع منها في دول غير متقدمة. ولو اتسعت دراسة جوري – روزنبلت لتشمل جامعات أخرى تقع في دول العالم الثالث لكانت دراستها، وبالتالي كتابها، أغنى وأوفى وأقدر على خدمة الأهداف التي أرادت تحقيقها والأسئلة التي أرادت الإجابة عنها والتي وردت في بداية هذه المراجعة.

ومن بين الجامعات التي أعنيها الجامعات التالية التي أوردها على سبيل المثال لا الحصر:

- جامعة انديرا غاندي التي أسست عام ١٩٨٥، وفيها حالياً أكثر من ربع مليون طالب.
- الجامعة الكورية الوطنية المفتوحة التي أسست عام ١٩٨١، وفيها حالياً أكثر من ربع مليون طالب.
- جامعة أناضولو التركية / الكلية المفتوحة التي أسست عام ١٩٨١، وفيها حالياً قرابة ستمائة ألف طالب.
- جامعة سوخوتاي التايلاندية التي أسست عام ١٩٧٩، وفيها حالياً قرابة مائتي ألف طالب.
- جامعة تكنيون جنوب أفريقيا التي أسست عام ١٩٨٠، وفيها حالياً قرابة ٥٦,٠٠٠ طالب.

٢. إن السبب الرئيس لنشوء التعليم المفتوح والتعليم عن بعد وتعاظمه خلال العقود الثلاثة الماضية، هو الحاجة إلى توفير التعليم العالي للجماهير بكلفة رخيصة نسبياً للمتعلمين وللحكومات التي تقيم الجامعات المفتوحة. وما زال هذا السبب قائماً وبخاصة في دول العالم الثالث، وأغلب الظن أنه سيظل كذلك لثلاثة عقود قادمة على الأقل. ومع أن الكتاب تضمن تحليلات دقيقة لواقع الجامعات الخمس التي أخضعت للمقارنة وللأدبيات الكثيرة المتعلقة بتطور الجامعات المفتوحة والتقليدية، وأورد من خلال ذلك كله استنتاجات ذكية عن مستقبل هذين النوعين من الجامعات، إلا أنه لم يعالج بدرجة كافية كيف ستنجح الحكومات والمؤسسات والمنظمات، وخاصة في دول العالم الثالث، في تلبية الحاجة الملحة التي ستظل أمام جماهير تلك الدولة فترة طويلة من الزمن كما أسلفنا. إن الاستنتاجات الواردة في الكتاب حول الاتجاهات المستقبلية للتعليم العالي بعامة قد تبعث في نفس القارئ شيئاً من عدم الراحة فيما يتعلق بحاجة العالم الثالث إلى الحفاظ على " فلسفة التعليم عن بعد ورسالته "، وكان حرياً بالمؤلفة ايلاء هذا الأمر العناية التي يستحقها من المناقشة، بحيث توضح بجلاء أثر الاستنتاجات المشار إليها على الجامعات المفتوحة والجامعات التقليدية في دول العالم الثالث.

المصادر المراجع:

اولاً – المراجع العربية:

١) بطرس البستاني : محيط المحيط ، مكتبة لبنان – بيروت ، ١٩٩٨ .

٢) جل داولي : علاوة لي منتخبات لغات عثمانية ، (قاموس عثماني –عثماني)، المكتبة العمومية لإبراهيم صادر – بيروت .

٣) جيمس رد حاوص : توركجه – انكليزجه يكانه مكمل لغت كتابي ، كاجري يابنلاري (قاموس تركي (عثماني) – انجليزي – عربي)، استانبول .

٤) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، دار النهضة العربية – القاهرة .

٥) عارف العارف : المفصل في تاريخ القدس ، مكتبة الأندلس في القدس ، مطبعة المعارف – القدس .

٦) محمد موسى هنداوي : المعجم في اللغة الفارسية ، مكتبة الانجلو ودار مطابع الشعب – القاهرة .

٧) ناجي زين الدين المصرف : بدائع الخط العربي ، مكتبة النهضة – بغداد ، ودار القلم – بيروت .

٨) ناجي زين الدين المصرف : مصور الخط العربي ، منشورات مكتبة النهضة – بغداد ، ودار القلم – بيروت .

ثانياً – المراجع العربية:

1. Bates, A.w.(1997). Restructuring the university for technological change, A Key-note address at the " what kind of university?" international conference, June 1997, London.
2. Bates. A.w.(1995) , Technology. open learning and distance education . London: Routledge.
3. Roll.R. (1995). Forward. In : J. Tifflin and L. Rajasingham (eds), In search of the virtual class: Education in an information society , London: Routledge, pp. xi - xvi.
4. Rumble, G. (1997) . University's labour markets for the 21st century. A paper presented at the " what kind of university ?" international conference , June, 1997, London.

الوعل صدى تموز في الشعر الجاهلي

د.إحسان الديك*

* قسم اللغة العربية / كلية الآداب – جامعة النجاح الوطنية

خلاصة:

يتناول هذا البحث ملحمة الإله الذكر في شعر المعتقد الإنساني، فيعرض للإله العلوي الأب / الزوج / القمر، ورموزه السفلية المشاكلة لهيئته في طور الهلال من ذوات القرون مثل: الثور، والتيس، والكبش، والوعل، ممثلة الآلهة الذكرية، بدءاً بدموزي، ومروراً بتموز وأدونيس وبعل، وآتيس، وانتهاء بالسيد المسيح.

ويرى البحث في الوعل صدى للإله تموز أشهر آلهة الذكور، حيث كشفت المصاقبة بين اسمي هذا الحيوان في حفريات للغة عن علائق ووشائح حميمة بالإله الذكري الأكبر الإله (إل)، ودلت النقوش والنصوص والرسومات القديمة، على قداسة هذا الحيوان في الفكر الإنساني بعامة، والجاهلي بخاصة، ورصدت الأشعار الجاهلية مجموعة من العناصر الأسطورية المشتركة بين هذا الحيوان وبين الإله " تموز " مثل علاقتهما بالجبل مأوى الإله وموطن بعثه ثم مرقده، وصلتهما بالخلود و مقاومتها إله الموت والشر و" الأفعى " ومظاهر سيادتهما وخصبهما.

Abstract

This research investigates the Epic of masculine gods in the book of human thought. It mainly presents the supreme god- the father and husband. The research also sheds light on the underground figures that usually disguise in similar physiognomy assuming the crescent shape such as the ox, the he goat, and the he sheep representing masculine gods starting by Demos, Tammouz, Adonis, Bal, Atees and ending with Missayeh.

The research finds in the Sambar a reflection of the god Tammouz, the most famous masculine god. The two names of this animal, which have been revealed by profound research of language archaic terminology, connote and reflect the close relationships with the greatest masculine god 'Il'. Moreover, ancient engravings, paintings, and texts have constantly pointed to the great importance of this animal's sacred status in human thought in general and the pre-Islamic one in particular. However, the pre-Islamic poetry comprises a group of common mythical elements that this animal shares with the god 'Tammouz' such as their relation with Mount Faw- the god- and the dwelling of his resurrection from his somnifacient place in addition to their connection with immortality and their cooperation with the god of death and evil 'the snake'. Finally, the features of their sovereignty and fertility are also included in this research.

الوعل صدى تموز في الشعر الجاهلي

تأسيس ١:

شعر الإنسان في فجر تاريخه البعيد أن فكرة الخصوبة المتمثلة في الأرض والمرأة، هي جوهر حياته، وسر وجوده، فقد أدهشته قدرة المرأة على الإنجاب، وشاكل بين خروج الوليد من بطن أمه، وخروج النبات من باطن الأرض، مما جعله يؤله الأرض ويقدسها، ويعتبرها الأم الأولى التي أنجبت الزرع والحيوان والنبات، فناداها " ماما " أو " مامي "، ورأى في خصوبة المرأة قبساً من خصوبة هذه الأم، لا سيما بعد اكتشاف المرأة الزراعة، ورعايتها الأرض والبذور.

ولقد شكل الإنسان القديم فكرة الخصوبة هذه في إلهة أنثى سماها " الأم الكبرى "، وكان من أكبر مهامها رعاية الحياة الزراعية إلى جانب رعاية الإنسان والحيوان، ولكنه رأى أن وجه الأرض يتغير، فتذوي النباتات، وتموت مظاهر الحياة، وتسلم الطبيعة إلى قوى الجفاف، ثم تعود الحياة مرة أخرى إليها؛ مما جعله يعتقد أن أمراً عظيماً ما أصاب الأم الكبرى وعطّلتها عن مهامها.

ولكي تفسر الأسطورة القديمة تناوب فصلي الخصب والجدب في الطبيعة، قالت: إن الأم الكبرى تموت كالنبات، فتهبط إلى العالم السفلي في وقت الاعتدال الخريفي، وتمكث الشتاء كله هناك، ومع الاعتدال الربيعي تبعث من مرقدها، وتعود إلى سطح الأرض، لتعود معها مظاهر الحيوية والحياة إلى الكون.

ومع تنامي دور الرجل في المجتمع الأمومي، وتعقيد العمليات الزراعية كالحراثة والحصاد، وحاجتها إلى جهد عضلي لا تقوى الأنثى عليه مثل جر المحراث، ومن بعد استخدام الثور في الحراثة، بدأت مكانة المرأة بالأفول ليحل الذكر محلها، وبخاصة بعد اكتشاف المعادن، وظهور الحرف مثل العمارة والتجارة، وتحول القرى الزراعية إلى مدن كبيرة مستقرة، حينئذ أخذت الآلهة الذكور تنافس ربات الأرض الأم، وأصبح الأب السماء يضاهي الأرض الأم، سيما بعد أن عرف دور الرجل في الإخصاب وعملية الميلاد، فعقد علاقة بين المطر في السماء وبين منيّ الرجل، وتصور إخصاب الأرض مثل إخصاب الأرحام، تقول الأسطورة[١]:

" الأرض المقدسة العذراء تبرّجت
من أجل السماء المقدسة
السماء الإله الرائع الجمال، غرس
في الأرض العريضة ركبتيه
وسكب في رحمها بذرة الأبطال
الأشجار والمقاصب
الأرض الطرية البقرة الخصبة تشبّعث
بمني السماء الغني
وبالفرح ولدت الأرض نباتات الحياة "

بهذا، أخذ الإنسان القديم يعزو مظاهر الخصب والتكاثر إلى قوتين إلهيتين - قياساً على البشر - في جنسين مذكر ومؤنث، باتحادهما يعم الخير، وباقترانهما يتكاثر الإنسان والحيوان والنبات على السواء، وبهذا أيضاً، لم تعد الأم الكبرى هي السيدة المطلقة المسؤولة عن الخصب، وإنما ظهر إلى جوارها الإله الذكر الذي يزداد شأنه ليصبح سبب الخصب الأول، والمسؤول عن الإنجاب، واستمرار الحياة، ويمثل دور الأم الكبرى، فيختفي في فصل الجدب، ويعود في فصل الخصب حاملاً معه حياة الكون وحيويته، من هنا بدأت ملحمة الإله الذكر في تاريخ المعتقد الإنساني.

تأسيس ٢:

ربط الإنسان القديم بين القمر من جهة، وبين خصب الأرض والمرأة من جهة أخرى، من خلال ملاحظته أن تتابع الفصول نتاج لدورة القمر، وأن هذا التتابع هو الذي يؤدي إلى اكتمال الدورة الزراعية، وتتويج حركتها بفصل الربيع الذي يحيي الأرض بعد موتها.

ولقد عبّرت أعمال الإنسان التشكيلية القديمة عن علاقة القمر بخصب الأرض، ونمو الزرع وإرسال المطر، وتفجير الينابيع، إذ جمعت تلك الأعمال بين الحيوان والقمر والمطر والشجر في وحدة تشكيلية واحدة[٢] واعتقد الأقدمون أن بركة القمر تكمن في طوره المتزايد، فكانوا يشرعون في كل عمل يريدون نجاحه في هذه الفترة، وكانوا يهيئون حقولهم للزراعة ويفلحونها في هذا الوقت[٣].

أما عن علاقة القمر بالمرأة، ففضلاً عن ارتباط حياة المرأة الفيزيولوجية والسيكولوجية

بدورة شهرية موازية لدورة القمر الشهرية ، فإن الاعتقاد العام عند كثير من الشعوب أن القمر هو الذي ينفخ في أرحام النساء ، وأن دور الفعل الجنسي الذي يمارسه الرجل يقتصر على تسهيل مهمة القمر المسؤول الحقيقي عن الحمل(٤) .

كتبت للقمر السيادة في الفكر القديم ، فكان زوجاً للأم الكبرى الإلهة الأنثى ، إذ لقبه السومريون " نانا = نن آن " أي ذكر السماء ، مقابل الأم الكبرى " إنانا = إن آن " أي سيدة السماء(٥) ، وأخذ دور الأب الزوج الذكر في الثالوث الديني إلى جانب الشمس الأم ، والزهرة الابن أو الابنة .

يرى بعض المؤرخين(٦) ، أن ديانة العرب القديمة ، ديانة قمرية ، كان القمر فيها هو الإله المقدم على الشمس ، والمغلّب عليها فقيل في اللغة : " القمران " للدلالة على الشمس والقمر ، وهو الإله الرئيس الذي كثرت أسماؤه وألقابه وأوصافه عندهم ، أثر في حياتهم السياسية والدينية ، فكان دليل الراكب ، ورسول القوافل ، وصاحب الدور الأول في الخصب ، عبده القتبانيون والحميريون باسم " عم " ، والحضارمة باسم " سين " ، والمعينيون باسم " ود " ، والسبئيون باسن " المقه " .

وانطلاقاً من العقلية القديمة التي ربطت بين العلوي والسفلي ، وأنزلت الآلهة من عليائها لمساعدة البشر ، والوقوف إلى جانبهم في السراء والضراء ، فقد عقد القدماء علاقة بين القمر في طور الهلال وبين القرنين ، فقدسوا ذوات القرون كلها ، واتخذوها رمزاً له لعلاقة الخصب التي تجمع بينهما ، فكان التيس من أوائل الحيوانات المقدسة عند الإنسان " نظر إليه في أحيان كثيرة على أنه روح النبات ، وذلك ربما للدور الذي لعبه في الماضي البعيد عندما كان المزارع ينثر حبات القمح في الأرض ، ثم يتحرك قطيع الماعز ليزرع الحقل جيئة وذهاباً فوق الحبوب المنثورة ؛ مما يدفعها إلى أسفل التربة "(٧) . وعُدّ الثور الذي أخذ يحرث الأرض فيما بعد إلها عند الأمم القديمة كلها(٨) ، فسمي القمر في نصوص عرب الجنوب ثوراً(٩) وقدست ذوات القرون : الثور والظبي والوعل والتيس والكبش والخروف على امتداد الفكر الإنساني .

كانت القرون تاج الألوهة والملك ، زينت المعابد والقصور وتماثيل الآلهة القديمة(١٠) ، ورمزت للخصب والنماء ، فارتبطت بالشجر ، ذكر القزويني أنه " إذا دفن القرنان تحت الشجرة بكرت بالحمل "(١١) ، وبالماء حيث وجد عبد المطلب بن هاشم غزالين من ذهب في موضع بئر زمزم(١٢) ، واستسقت العرب بالبقر ، كما ارتبطت بأقدس أماكنهم " الكعبة " إذا أخرجت قريش منها حين هدمتها حلّياً ومالاً وقرني كبش ، وقدس قوس قزح لشبهه بالقرنين ، وكذلك الحصان الذي مثّلته الحذوة لما لها من شبه بالهلال والقرنين ، وجمعت اللغة العربية في مادتي

" قمر " و " قرن " الكثير من صفات الخصوبة والحمل والميلاد والحياة، فالقُمرة: لون الخضرة، وتقمَّرها تزوّجها ووقع عليها، وماء قمر: كثير، وأقمرت الإبل: وقعت في كلأ كثير، وقمرت: رويت من الماء، أما القرن: فهو الذؤابة خصت به ذؤابة المرأة وضفيرتها، والقران والمقارنة: التزويج، وقرن الشمس أول طلوعها، والقرناء: الحية، وقرن القوم: سيدهم[١٣].

واحتفظ الشعر الجاهلي في حفريات لغته بتلك العلاقة القديمة بين القمر والقرنين، حين شبه نمو القرنين واستدارتهما بنمو القمر واستدارته في طور الهلال، فخلع عليهما صفة " التقمر " في قول النابغة الجعدي[١٤]:

ووجهاً كبرقوع الفتاة ملمعاً وروقين لمّا يعدوا أن يتقمرا

وحين أطلق اسم الإله القمر على بعض رموز هذا الإله من ذوات القرون، وبخاصة ابن البقرة الوحشية والوعل، إذ من الاسم البابلي " ورخ " الذي اشتقت منه لفظة التاريخ، أخذ " الأرْخ " وهو ولد البقرة الوحشية إذا كان أنثى، قال أمية بن أبي الصلت[١٥]:

وما يبقى على الحدثان غُفر بشاهقة لـــه أمّ رؤوم

تبيت الليل حانية عليـه كما يخرمّس الأرْخ الأطوم

وشبه به تأبط شراً المرأة التي ارتبطت بالقمر في سحيق الزمن، فقال[١٦]:

تمشي إليك مشية هركلة كمشي الأرخ تريد العلـة

ومن اسم الإله القمر " يراح " معبود الكنعانيين[١٧] – الذي أخذ منه اسم مدينة أريحا التي كان فيها أعظم معابد القمر في العصور القديمة[١٨] – أخذ " الأرخ " اسماً للوعل في قول عمرو بن قميئة [١٩]:

فلو أن شيئاً فائت الموت أحرزت عماية إذ راح الأرخ الموقـف

من هنا نستطيع التأكيد على أن مصطلح التاريخ الذي قال عنه ابن منظور أنه " ليس بعربي محض " مأخوذ من " ورخ " بمعنى القمر، ودليلنا في ذلك أن وَرّخ لغة في أرّخ[٢٠]، ولقد ربط ابن منظور بين التاريخ وبين " الأرخ " بيد أنه لم يربط الاثنين معاً بالقمر، وإنما رأى أن

التاريخ مأخوذ من الأرخ ابن البقرة وعلل ذلك بقوله " كأنه شيء حدث كما يحدث الولد، وقيل: التاريخ مأخوذ منه لأنه حديث "(٢١).

ومما يؤكد علاقة ذوات القرون بالقمر أن العربية وأخواتها من اللغات السامية القديمة أجمعت على اسم آخر من أسماء الإله القمر هو الإله "سين" الذي كان كبير آلهة حضرموت، وكان معروفاً في عبادة بلاد الرافدين، به سميت جزيرة سيناء المشهورة بمزارته وأماكن عبادته(٢٢)، ويذهب الدكتور القمني إلى أن "سين" تتألف من "سي" و "ن" وأن النون الأخيرة هي أداة تلحق بآخر الأسماء المراد تعريفها في العربية الجنوبية(٢٣)، كما يذكر موسكاتي أن "سي" تطلق على الشياه عموماً، الخراف والماعز والبقر والخراف... وأنها تطورت فيما بعد إلى شاه(٢٤)، وبهذا يعني الاسم "سين" الإله التيس أو الإله الثور الذي يدل على القمر، وهو ما يلتقي مع ألقاب القمر المنتشرة في جنوب الجزيرة العربية(٢٥).

وكما كانت الحيوانات المشهورة بالإخصاب الجنسي من ذوات القرون رمزاً لإله الخصب الذكر/ القمر في عائلة الدين القديم، كانت أيضاً رمزاً لآلهة الخصب والفداء عموماً، حيث كان الثور والتيس ممثلين للآلهة القمرية الذكور، بدءاً بالإله السومري الشاب "دموزي" ومروراً بتموز وآدونيس وبعل وآتيس، وانتهاء بالسيد المسيح راعي الخراف كما يصفه الإنجيل.

قداسة الوعل في اللغة والفكر:

أ- في اللغة:

إن تعدد أسماء هذا الحيوان وصفاته، وتشابكها مع ذوات القرون في دلالاتها، وانفتاح معانيها على معان أخر، وكذلك اختلاف اللغويين في ضبطها، وسعيهم وراء استخراج هذه الأسماء من معان واشتقاقات لا تدل دلالة أكيدة عليها ما يدل على أهمية هذا الحيوان، واحتلاله المرتبة الأولى بين ذوات القرون رمز الإله القمر.

فمن أسمائه: الوعل، والأيل، والغُفر، والفادر، واليامور، والقرمد، والثيتل، والوقيفة، والأروية، والقروع.

ومن صفاته: الأعصم، والأدفى، والبدن، والعنز، والصدع، والناخس، والصلود، والجهبل، والقنعان، والعميثل، والأمعوز، والتألب، والفرهد.

ويلاحظ من قراءة أسماء هذا الحيوان وصفاته، كثرتها، وتعددها، وورودها بصيغة التذكير، وانفتاحها في دلالتها على الجبل والسيد، والرفعة والعلو، والمنعة والقوة، والذكورة

والإخصاب، ولكل منها علاقة بالإله الذكر / القمر. ونلحظ من هذه الصفات أيضاً مكانة الوعل بين ذوات القرون، فهو الأهم لطول قرنيه، وكأنه أس هذه الصفات وأساسها، منه انطلقت، وعلى غيره من ذوات القرن أطلقت، فترى الواحدة منها تنسحب على الثور، أو التيس، أو الظبي، أو الكبش، أو الماعز بشكل عام، ومما يرجح ذلك أن صفة " التيساء " التي تطلق على المعزى وتنسب إلى التيس - جُمّاع ذوات القرون - أخذت في الأصل من قرني الوعل تيس الجبل، يقول ابن منظور: التيساء من المعزى هي التي يشبه قرناها قرني الأوعال الجبلية لطولهما "[٢٦].

ويسوقنا اختلاف اللغويين في ضبط أشهر اسمين من أسماء هذا الحيوان وهما الوعل والأيل[٢٧]، وفي تأويل معنيهما، إلى التأكيد على جهلهم بأصليهما، مما يدل على قدمهما، وحضورهما في الفكر القديم، وحملهما سيرة هذا الحيوان وأسراره التي لها صلة - لفظاً ومعنى بسيرة القمر/ الذكر وأسراره.

ولكي ندلل على قمرية هذا الحيوان في اللغة؛ نعود إلى ركام الماضي لننقب عن صلة هذين الاسمين " الوعل/ الأيل " بالإله الأول والأكبر " إل "الإله الرئيس عند الشعوب السامية منذ فجر التاريخ[٢٨] والإله الأكبر عند العرب الجاهليين، ورد ذكره في كل مجاميع النقوش العربية القديمة[٢٩]، وبقي دالاً على الربوبية وعلى لفظ الجلالة " الله " عز وجل إلى ما بعد الإسلام، فقد قال أبو بكر رضي الله عنه لما تلي عليه سجع مسيلمة: " ما خرج هذا من إل "[٣٠]، وتشير النقوش السامية القديمة إلى أن هذا الإله كان إلهاً قمرياً، وكان إلهاً شعبياً عند العبريين والممالك العربية القديمة، إذ تدل أسماء الأعلام العربية الجنوبية مثل " إل شرح " أي الله يتلألأ، و " إل ذرح " أي الله يضيء، و " ظهر إل " أي إل يظهر، و " سمر إل " أي إل " نور القمر، على أن هذا الإله كان يعبد في شخصية القمر[٣١].

نبحث أولاً في الجامع بين هذين الاسمين وفي تقاربهما الصوتي، وتكوينهما اللفظي، وفي تبادلهما في الدلالة على معنى مشترك بينهما. واتكاء على ظاهرة القلب في العربية حيث يُقلب حرف العين همزة، واستناداً إلى سقوط بعض حروف اللغات السامية مثل حرف العين في اللغة البابلية، فإن لفظة " وَعَل " تنطق " وأَل "، ومما يؤكد تقاربهما الصوتي، دلالة مصدريهما في العربية على معنى واحد؛ إذ الوَعْل والوأل - الملجأ[٣٢]، يقول ابن منظور في مادة وعل " الوعِل بكسر العين، الملجأ، يقال: ما وجد وعلاً ولا وغلاً يلجأ إليه أي موئلاً يئل إليه "[٣٣]، ويقول الفراهيدي في وأل: " والموئل: الملجأ، تقول: وألت إليه أي

لجأت فأنا آئل وألا "[٣٤]، فالموئل هو المعنى الأساس فيما ذكر من معان.

أما الأيل فهو مشتق من " أول " أصلاً، ونجده في مادة " أيل " بعد القلب، سمي بذلك لمآله إلى الجبل، أو لأنه يؤول إليه، وبهذا يكون الجبل الموئل الذي يؤول إليه الأيل، ويكون الموئل دالاً أصيلاً مشتركاً للوعل والأيل معاً، وتصير حروف الأصل الثلاثة: الهمزة والواو واللام، الأصل اللفظي المشترك لهما، ومعروف أن أحرف الهمزة والواو والياء يقلب كل منها أحياناً إلى أحد الحرفين الآخرين عند انتقاله من لهجة إلى أخرى في اللهجات السامية[٣٥]. ولقد وردت لفظة " وعل " في اللغة الأوغاريتية الكنعانية بالياء " يعل " وأخذت من الأصل " ع ل و "[٣٦]، وفي هذه الحال يكون الاسمان قد أخذا من أصل واحد هو وأل، أو أول، أو أيل.

وفي ضوء خصائص بعض اللغات السامية، نعود مرة أخرى إلى " وعل " وإلى ميل اللغويين كسر عين هذا الاسم، وفي إطار ظاهرة القلب، تصبح " وَإل "، وفي ظني أن الواو في هذا الاسم – قديماً – ليست أصلية، وإنما هي واو القسم أضيفتَ إلى اسم الإله الأكبر " إل " حينما كانوا يقسمون به فيقولون " وَإل " يسعفنا في ذلك تطابق الأمر نفسه مع اسم الإله الكنعاني " بعل " واسم الصنم العربي المذكور في القرآن الكريم ﴿ أتدعون بعلاً ﴾[٣٧]، فحين يقلب حرف العين همزة جرياً مع ظاهرة القلب السامية، تصبح صيغة القسم على النحو التالي بـ " إل "، ومما يؤيد ذلك أن لفظة " إل " أو " عل " السامية تعني الأصل والمبدأ والعلة، وما زالت اشتقاقاتها ماثلة في العربية مثل: آل وأوّلَ، وعلل وعلة، بمعنى أعاد الشيء إلى مبدئه وأصله[٣٨].

عودة أخرى إلى لفظة الأيل، وأرى أنها مكونة في أصلها من أداة النداء " أي " واسم الإله الأكبر " إل " [أي إل] حيث قلبت الهمزة ياء وأدغمت في الأولى، يتضح ذلك من خلال جمع هذا الاسم على " أيايل " أو " أيائل " إذ بقيت أداة النداء " أيا " في الجمعين، ولطالما توجه الإنسان القديم إلى ربه وإلهه " إل " بالاستغاثة والدعاء مستخدماً أداة النداء للقريب للتعبير عن قرب العبد من ربه.

وبذلك يقترب " أيّل " / الحيوان من " إيْل " الإله نطقاً، إذ إن " إيل " هو عينه الإله " إل " أعظم الآلهة القديمة شأناً، وإله الكنعانيين الأكبر الذي سرقه اليهود فيما بعد وادعوه لهم، ورد في النصوص الأوغاريتية باسم " إل " إضافة إلى اسمه المشهور " إيل "[٣٩]، وقد أكّد ابن منظور هذه العلاقة بين الاسمين حين قال " إيل من أسماء الله الحسنى عز وجل، عبراني أو سرياني، وإيل لغة في إل "[٤٠].

ويشترك الاسمان " إيْل وأيّل " في الأصل اللغوي، فهما مشتقان من " أول " الذي يدل على المبدأ والعلة والأولية والرياسة والسيادة، ويلتقيان في الصورة والشكل؛ إذ بدأ الإله إيل في النقوش الفينيقية " بلحية كثيفة طويلة بارزة، يعمر قبعة مزدانة بالقرون "[٤١]، وكذا بدأ الأيْل ذو اللحية الطويلة والقرون الطويلة أيضاً. ويتشابهان في خصبهما وقدرتهما على الإنجاب، فمن اسم الأيل " أخذ " الأيّل " وهو بوله الخائر إذا شربته المرأة اغتلمت[٤٢]، ولقّب " إيْل " بالمنجب خالق السماوات والأرض[٤٣]، وكان الأيّل قربان الإله " إيل "[٤٤]، مما ينم عن العلاقة بينهما.

وإخال صلة الاسم الحيواني بنظيره الإلهي، الوعل/ البعل، والأيل/ إيل، أن العلاقة بين اسمي هذا الحيوان هي العلاقة نفسها بين اسمي الإلهين بعل وإيل، وأنها جميعاً حيوانات مقدسة، وآلهة معبودة، أرضية وسماوية، سفلية وعلوية، اتحدت مع بعضها بعضاً لتدلل على الإله الأكبر " إل " الإله القمر.

وقد عكست تقلبات الجذر " وعل " جذور العلاقة القديمة بين هذا الحيوان وبين الإله الأكبر " إل " وحملت في بعض أصولها أصل صفات هذا الإله، فمن وعل بمعنى لجأ جاء الملجأ، وهو صفة أصيلة مكينة للإله الأكبر وحيوانه المقدس أو رمزه الأرضي، فالوعل ملجأ كما الإله، يلجأ الناس إليه، ويتوجه الخلق نحو بيته المقدس/ الجبل، لهذا سمي الوعل ملجأ، لا كما فسره اللغويون لأنه يلجأ إلى الجبل ويؤول إليه.

ومن " علو " الأصل الأوغاريتي الذي نطق من خلاله الوعل " يعلا " جاءت صفة العلو والسمو التي التصقت بفكرة الألوهة في الذهن القديم[٤٥]، إذ منه اشتقت أسماء الله عز وجل: العلي والمتعالي والأعلى، ومنه جاءت العلي بمعنى الشريف، والعلياء: رأس الجبل المشرف، والسماء، والعلاة: الصخرة، وكان الجاهليون يقولون: أعل هبل[٤٦]، وهكذا الوعل الأعلى المتعالي الصاعد في رؤوس الجبال، ضرب المثل في صعوده فقيل " أوقل من وعل "[٤٧].

ومن " عَوَلَ " نرى " العَوْل " المستعان به، وقد عَوّل به وعليه، اتكل واعتمد[٤٨]، وعادة ما يقتصر التعويل على المستعان به، يُتوجه إليه بالدعاء، ويُتضرع إليه بالبكاء، ولقد جمعت العربية بين الويلة والوعلة بمعنى البكاء، وقديماً كانت الدموع قرابين يُتقدم بها إلى الإله، ويتقرب بها من الرب، وهي إلى الآن مظهر من مظاهر الخشية والخشوع.

ب- الوعل في الموروث / الفكر

كشفت المصاقبة بين اسمي هذا الحيوان عن وشائج حميمة وعلاقات وثيقة بينهما وبين الإله الأكبر " إل " ، وسؤالنا هنا : إلى أي مدى كان اتساق الفكر مع اللغة؟ وهل ما احتفظت به الذاكرة الإنسانية من موروث فكري عن الوعل يثني على قداسة هذا الحيوان في اللغة ، وينبي عن مكانته في الفكر القديم .

وحينما نقلب صفحات ما قبل التاريخ ، تتراءى لنا تماثيل الآيائل في الثقافة النطوفية ماثلة واضحة(٤٩) ، أما في صفحات التاريخ فيحتل هذا الحيوان منها حيزاً بحيز قداسته ، فيطالعنا في مطلع التاريخ البشري عند السومريين رمزاً للإله " إنكي " إله المياه العذبة في الأعماق والأنهار والبحيرات ، ووالد الإله دموزي(٥٠) ، ويعد وجود هذا الحيوان دليلاً على الخصب ، ونتاجاً للزواج الإلهي المقدس ، إذ بهذا الزواج تكثر الأيائل والغنر البري في الغابات(٥١) ، ارتبطت صورته بالمطر ، فقد أورد ستين لويد لوحة يظهر فيها وعلان متعاكسان ، وخلفهما نسر برأس لبؤة سماها " لوحة عاصفة المطر " التي تحمل معها الخير وتنهي مظاهر الجفاف(٥٢) ، ظهر في نقش أكادي مع الإله " أيا " والإناء الفوار(٥٣) ، كان والأراوي من جملة هدايا الإله " أنليل " إلى مدينة أريش(٥٤) ، وفي مشهد أشوري ، ظهرت عشتار وبالقرب منها وعلان متشابكان(٥٥) ، وزينت صور الوعل قصر الإله الكنعاني " بعل "(٥٦) وقدمت الأيائل قرابين للآلهة الفنيقية(٥٧) ، وفي الثقافة الإغريقية اشتهرت الإلهة " فينوس " بمطاردة الغزلان والوعول الشامخة القرون(٥٨) ، أما الإلهة أرتميس فكان الأيل حيوانها البري المقدس الذي لم يقدر عليه أحد(٥٩) ، كان يرافقها في حلها وترحالها ويشب عن يمينها ويسارها(٦٠) . كما كان الأيل هو الصورة الحيوانية التي تحول إليها الإله الشاب الصياد " أكتيون " " الذي اقتحم على أرتميس وهي تستحم عارية في مياه البحيرة العالية عند منبع النهر ، فمسخته الإلهة أيلا طاردته كلابه فمزقته إرباً إرباً(٦١) .

وفي آسيا الغربية ، كان الإله " آتيس " راعياً شاباً ، يحكي عن مولده أن أمه حملت به وهي عذراء من غصن لوز أو رمان ، وأرضعته عنزة برية حتى شبّ وكبر ، ومن هنا جاء الاسم آتيس أي التيس(٦٢) ويلتقي الإله " ديونيسيوس " مع الإله " آتيس " في بعض تجلياته ، فكان يُمثَّل بشكل التيس أو الجدي ، وكان التيس رمزه الثاني بعد الثور ، وكان من ألقابه الذي يلبس جلد التيس "(٦٣) .

وفي الثقافة الإسكندنافية نرى التيوس تجر عربة الإله ثور مفجّر الربيع(٦٤) ، أما في الثقافة العبرية ، فالوعل من الحيوانات الطاهرة ، ورد في التوراة " هذه هي البهائم التي تأكلونها

البقر والضأن والمعز والأيل والظبي واليحمور والوعل والرئم والثيتل والمهاة "[٦٥]، وأقسمت به " أحلفكن يا بنات أورشليم بالظباء وبأيائل الحقول ألا توقظن وتنبهن الحبيب "[٦٦] وحمل التيس المقدس ذنوب بني إسرائيل " ويضع هارون يديه على التيس الحي، ويقر عليه بكل ذنوب بني إسرائيل وكل سيئاتهم مع كل خطاياهم، ويجعلها على رأس التيس، ويرسله بيد من يلاقيه إلى البرية ليحمل التيس عليه كل ذنوبهم إلى أرض مقفرة، فيطلق التيس في البرية "[٦٧]، وقُدّم قرباناً لآلهتهم " ومن جماعة بني إسرائيل يأخذ تيسين من المعز لذبيحة خطية، وكبشاً واحداً لمحرقة "[٦٨].

أما في مصر فقد أطلق الوعل على اسم إقليم فيها[٦٩]، وظهر في تصوير فرعوني مع الأرنب وبيض النعام[٧٠]، وما زال البربر إلى اليوم يعلقون قرون الوعل على أبواب منازلهم.

ويكاد حضور الوعل في الفكر الجاهلي يضاهي حضوره في فكر الأمم الأخرى القديمة إن لم يكن أكثر عمقاً ودلالة، مما يؤكد تواصل الأمم واتصال موروثاتها، ومما يدعم اندغام الفكر الجاهلي في الفكر الإنساني. فقد شكلت الكشوف الأركيولوجية والنقوش الأثرية عنصراً مهماً من عناصر هذا الحضور، حيث تحدث د. جواد على عن أحد الأعمدة زخرف بحيث ظهر وكأنه كتلة من رؤوس خرفان وحيوانات لها قرنان كالوعل، يظن البعض أنها رمز للإله القمر[٧١]، وفي شبوة باليمن عثر على مصباح من البرونز ينتهي مقعده بجسم أيل يقفز[٧٢]، كما عثر على قطع فنية أخرى تتجلى فيها القوة التي تمثل التيوس[٧٣]، ومثلما كان الوعل رمزاً للإله السومري " إنكي " كان أيضاً رمزاً للإله " المقه " أعظم آلهة سبأ، هذا ما أثبتته دراسات أديان العرب المقارنة[٧٤]، وفي الفكر الإسلامي تقل منزلة الوعل فينتقل من الإلوهية ورمزها إلى صف الملائكة، فتصير الوعول من حملة الكون وعرش الإله، ففي حديث الأوعال الذي يُشك في صحة نسبته، ويُسنده ابن كثير إلى العباس بن عبد المطلب قال: " كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبطحاء، فمرت سحابة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتدرون ما هذا؟ قلنا: السحاب، قال: والمزن، قلنا والمزن، قال والعنان. قال: فسكتنا، قال: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: بينهما مسيرة خمسمائة سنة، ومن كل سماء إلى سماء خمسمائة سنة، وكثف كل سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض، والله فوق ذلك، وليس يخفى عليه من أعمال بني آدم شيء "[٧٥].

ومهما يكن من شك في صحة هذا الحديث، فإنه يبقى دليلاً على قداسة الوعل، ومكانته الدينية، وتقبل سيرته عند الناس دون استغراب، وفي حديث أبي هريرة أنه قال عن المدينة المنورة " لو رأيت الوعول تجرش ما بينها ماهجتها، أراد لو رأيتها ترعى كلأها ماهجتها لأن النبي صلى الله عليه وسلم حرّم صيدها[٧٦]، حُكم الوعل الحل بالاجماع، وفيه إذا قتله المحرم أو قتل في الحرم شاة[٧٧].

وفي الفكر الإسلامي أيضاً تتحول علاقة الوعل بالآلهة إلى علاقته بالأنبياء، فإذا كانت العنزة أنثى التيس البري/ الوعل، هي التي أرضعت الإله آتيس، فإن الأروية/ أنثى الوعل هي التي أرضعت النبي يونس بن متى عليه السلام حين هيأ له الإله " أروية وحشية ترعى في البرية، فتنفشخ عليه، فترويه من لبنها كل بكرة وعشية حتى نبت لحمه "[٧٨].

بيد أن الوعل يبقى في التصور الإسلامي قربان الإله المميز كما عند الأمم الأخرى، حيث ينافس الكبش ويحل محله، فقد ذكر ابن الأثير أن قربان هابيل إلى الرب كان كبشاً، وفي رواية أخرى كان وعلاً[٧٩]، كما كان قربان إبراهيم وفداء إسماعيل عليهما السلام، حكى ابن الجوزي عن الحسن في قوله تعالى ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ أنه ذكر من الأروى أهبط عليه من ثبير[٨٠].

ومن الأدلة على قداسة الوعل عند العرب أنهم أطلقوا اسمه على شهر من شهور الجاهلية قيل هو شعبان أو شوال، وسموا باسمه أسماء رجالهم مثل وعله وهو اسم شاعر[٨١]، وكذلك أسماء نسائهم باسم أنثاه أروى، ومنه أروى بنت عثمان.

عناصر أسطورية مشتركة بين الوعل وبين تموز:

الوعل/ تموز / الجبل:

لم ير الإنسان القديم في الجبل ظاهرة طبيعية وحسب، وإنما كان يعتبره المركز أو البؤرة التي تتجمع فيها طاقات روحية وأسرار غيبية، والنقطة التي تتلاقى فيها السماء مع الأرض، ولقد حملت لفظة " جبل " عند سكان ما بين النهرين معنى دينياً دلّ على " المكان الغمر الذي تتركز فيه قوة الأرض الخفية "[٨٢]، منه نشأ الخلق، وحدث التكوين حين أنجبت الإلهة " نمو " السماء والأرض على هيئة جبل سفحه الأرض وذروته السماء[٨٣]، فكان مركزاً للكون ظهرت عليه الإلهة وبنت مقرها فيه[٨٤]. ومثلهم اعتقد المصريون في الرابية الأولى التي أقامها الخالق ليقف عليها وتبدأ الخليقة، وكانت في معبد الشمس في هليوبوليس[٨٥].

وكما كان للجبل صلة بعملية الخلق والتكوين، كان محل ولادة الآلهة ونشأتها، فقد ولد أدونيس في الجبال المنتصبة فوق جُبيل في أفقا[٨٦]، وولدت " فينوس " فوق جبل الأولمب[٨٧]، وعهدت " أفروديت " ابنها " هرما " الذي أنجبته من " هرمس " إلى حوريات جبل " إيدا " في كريت حيث ربيّنه في الأحراش الجبلية[٨٨]، ونقل الإله " زيوس " ابنه " ديونيسيوس " إلى عهدة حوريات جبل " نيسا " حيث كبر واشتد ساعده واكتشف زراعة الكرمة وصناعة الخمر هناك[٨٩]، وحينما خلف الإله " أثتر " " بعلاً " بعد موته، صعد إلى أعالي جبل الشيخ وجلس على عرش بعل، ولكنه لم يستطع ملأه، فاعترف بعجزه، ونزل راجعاً من حيث أتى [٩٠].

وكان الجبل مسكن الآلهة ومكان إقامتها والموطن الطبيعي لنشاطها، أقيمت عليه المعابد والهياكل التي تمثل رباط السماء والأرض وعمادهما، وفيها كان قدس الأقداس المعبّر عن مندالا المكان، كما كان الجبل مصدر الوحي والإلهام، إليه لجأ الأنبياء والكهنة والعرافون واعتكفوا به، وأقيمت عليه أضرحة السادة والرؤساء المقدسين.

ولقد صُوّر الإله في النقوش والتماثيل القديمة في هيئة الجبل " ففي تماثيل عشتار الواقفة نجد أن الشكل كله متمركز حول محور ثقله يتجه نحو الأرض . . . ولعل أصل هذه التمثيلات التشكيلية هي أصل الإشارة إلى الأم الكبرى على أنها الجبل . . . حيث نجد عشتار الكريتية وقد ذاب جزؤها الأسفل في الجبل الذي شكل قاعدة مخروطية لها، بينما يشكل جزؤها الأعلى قمة ذلك الجبل "[٩١] ووصفت الأساطير السومرية الإله " إنليل " بأنه الجبل[٩٢]، ونسبت الأساطير الفينيقية الإله بعل إلى الجبل الذي يقيم فيه فقالت " بعل صفون "[٩٣]، ورحل الإله البابلي الطائر " زو " بألواح القدر إلى جباله البعيدة العالية[٩٤]، كما رحل جلجامش إلى جبال" الأرز " - " مرتع الآلهة ومنصة عرش أرنيني "[٩٥] - وإلى جبل " ماشو " أو جبل الشمس في بحثه عن الخلود[٩٦]، وسكن الإله العبري جبل " باشان "، ورد في التوراة على لسان النبي داود عليه السلام قوله: " لماذا أيتها الجبال المسنَّمة ترصدن الجبل الذي اشتهاه الله لسكنه، بل الرب يسكن فيه إلى الأبد "[٩٧]، كما سكن الإله " زيوس " جبل الأولمب[٩٨].

ومثلما كان الجبل مقر الإله وموطنه، كان كذلك محل موته ومكان دفنه، فها هو الإله " موت " عندما تغلب على الإله بعل، وأمره بمغادرة الحياة قال له:

" ثم توجه شطر جبل كنكيني

فارفع الجبل على يديك
والتل على أعالي رؤوس النخيل
واهبط إلى أقاصي الأرض العميقة
حتى تصبح مع من غادر هذه الأرض "(٩٩)

وحينما عثرت " عناة " على جسد زوجها " بعل " الذي لفظه الإله موت من أعماقه :

" صعدت به أعالي جبل صفون
وهناك بكت عليه وقامت بدفنه
واضعة إياه في مقبرة آلهة الأرض "(١٠٠)

ولأن الجبال " مقبرة آلهة الأرض " كما تقول الأسطورة، يبدو أن السومريين أطلقوا على العالم السفلي/ عالم الأموات اسم " كور " الذي يعني في الأصل عندهم الجبل، ثم أطلق على الوحش السفلي الجبار الذي يختطف الآلهة إلى عالم الموت(١٠١)، واصبح يدل فيما بعد على أحد آلهة العالم السفلي(١٠٢).

واحتفظت العربية بلفظة " الكور " فوردت اسماً لجبال بعينها كما في قول عامر بن الطفيل(١٠٣):

**وبالكور إذ ثابت حلائب جعفر		إليكم وجاءت خثعم للتحاشد**

وقول تميم بن مقبل(١٠٤):

**تهدي الزنابير أرواح المصيف لنا		ومن ثنايا فروج الكور تهدينا**

ومن معاني الجبل في الرفعة والسمو دلت على رحل البعير(١٠٥) وعلى لوث العمامة التي توضع على الرأس وبيوت النحل في الجبال وبناء الزنابير(١٠٦)، وقريب منها في العربية لفظة القور، أخذت منها القارة وهي الجبيل الصغير فوق الجبل(١٠٧).

والجبل كذلك – موطن بعث الإله ونهوضه من مرقده، وانتصاره على سلطان الموت، وعودته إلى الوجود مرة أخرى حاملاً معه قوى الإخصاب وإكسير الحياة، وتشير المشاهد والتشخيصات الماثلة على أختام ما بين النهرين إلى أن جسم إله الخصب ينبثق من جبل والنبات ينمو في يديه وفي جنبات الجبال الأخرى، وكانت آلهة أخرى مثل هذا الإله الممثّل على تلك الصور تعبد في كل المدن هناك على اختلاف أسمائها، وأشهرها تموز، فهناك ختم أكادي " عليه مشهد الإله تموز وهو يخرج من تحت جبل على ما يبدو، بينما تظهر آلهة جالسة على

الأرض، وهي تمد يدها لإعانته على الخروج[١٠٨]، وختم آخر عليه مشهد " يمثل الإله شمس وهو يخرج من قبره في جبل الأموات "[١٠٩] - وفي رسم إغريقي على الخزف نجد إله الخصب يخرج من الأرض عبر تلة مرتفعة، ترفرف إلى جانبه ربة الانتصار المجنحة " فكتوريا " رمز انتصاره على الموت، ومن جانب التلة تنمو أول نبتة مورقة "[١١٠].

ولقد عبّرت الأسطورة عن مضمون تلك المشاهد بقولها: " إن الإله يموت أو أنه يؤسر في الجبل، ومن الجبل يعود في السنة الجديدة عندما تنتعش الطبيعة، ومن هنا كان الجبل أيضاً بلاد الأموات "[١١١].

وكما الإله في علاقته بالجبل كان الوعل، ولقد عكست اللغة العربية وثاقة، وعمق الارتباط بين الوعل وبين الجبل بطريقة تبادلية تنم عن امتزاج الاثنين وتداخلهما بل اتحادهما، فقد نسب العرب الوعل إلى الجبل وأضافوه إليه، وأطلقوا عليه " تيس الجبل "[١١٢] في حين سموا الجزء المنيع من الجبل " وعلة " واشتقوا من الاسم الوعل أسماء بعض جبالهم وأماكنهم مثل: وعال، وأم أوعال، وذات أو عال[١١٣]، التي رددها الشعراء في أشعارهم[١١٤].

وفي ظني يختفي وراء هذه العلاقة ماضٍ مقدس، أو تاريخ قديم، أو إرث مجهول، ينم عن قداسة الوعل والجبل، ويدل على علاقتهما بالإله، إذ الجبل في الفكر القديم هو الإله أو بيته، والوعل - كما رأينا - هو الإله بعينه أو رمزه، ولهذا لن نجد غرابة في اتساع دلالة اللفظ لتشمل الجبل إضافة إلى الوعل/ الأيل، والإله/ إيل، فذكروا من أسماء جبالهم " أيل وإيال، فقال الشماخ[١١٥]:

تربع أكناف القنان فصارة فأيل فالماوان فهو زهوم

وقال امرؤ القيس بن جبلة السكوني[١١٦]:

تضمنها حتى تكامل نسؤها إران فمرفضّ الرداة فأيلُ

ولا غرابة في أن يكون الاسم/ الوعل اسماً للجبل كما ذكرنا ورمزاً له، وأن يطلق اسم البعل الإله على الجبل في قول سلامة بن جندل[١١٧]:

إذا ما علونا ظهر بعل عريضة تخال عليها قبض بيض مفلق

وفي طبيعة حياة الوعل ما يفصح عن تلك العلاقة، فهو لا يسكن إلا في أعالي الجبال، والأماكن الصخرية المرتفعة، وقد أشار العرب في أشعارهم وأمثالهم إلى ذلك فقالت سبيعة بنت الأحب تصف أمان مكة وأمنها[١١٨]:

والله آمــن طيرهـــــــا والعصم تأمـــــن في ثبيــر

وجاء في أمثالهم: " أزهى من وعل[١١٩] " يضرب للشخص المترفع لعلو منزلة الوعل وترفعه في عليائه، وقالوا: " فلان كبارح الأروى "، وذلك أن مأواها الجبل فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا في الدهر مرة، يضرب لمن يرى فيه الإحسان في بعض الأحايين "[١٢٠]، وقالوا " تكلّم فلان فجمع بين الأروى والنعام "[١٢١] أو " ما يجمع بين الأروى والنعام لأن الأروى تسكن الجبال ولا تسهل، والنعام تسكن السهل ولا ترقى في الجبل "[١٢٢]، وقالوا كذلك: " رجل وعل وقل "[١٢٣]، أي صاعد يحسن الدخول بين الجبال، وقد شبه المهلهل مشية الخيول المثقلة بالدارعين بمشية الوعل في أعالي الجبال، فقال[١٢٤]:

وخيل تكردس بالدراعيــــن كمشـــي الوعول على الظاهــرة

وقال سحيم عبد يني الحسحاس[١٢٥]:

وخيل تكدس بالدارعيــــن مشــــي الوعول تؤم الكهوفــا

وشبه دريد بن الصمة رجال قومه الذين يغشون الجبال العالية قفزاً ووثباً بالوعول المسنة فقال[١٢٦]:

إذا أحزنوا تغشى الجبال رجالُناكما اسوفزت فدر الوعول القراهب

وقد عزا المحدثون توجّه الوعل نحو الجبل إلى بحثه الدائم عن " طريق للهروب من الازدحام الشديد للأحياء في المناطق المنخفضة... وما هروبه من الازدحام إلا هروب من الصراع ضد الفناء بين الأحياء المتزاحمين على الحياة "[١٢٧]، من أجل ذلك كثُر وصف الشعراء الجاهليين للوعل بالأعصم، والمتمنع، والصلود، والوقل، والعاقل، وسحبوا هذه الصفات على أنفسهم وغيرهم من ممدوحيهم ليدللوا على تمنعهم في الأماكن العالية مثل الوعل، فهذا امرؤ القيس بن حجر يصف تمنع نوقه بجوار بني ثعل فيقول[١٢٨]:

تبيت لبـــوني بالقرَّية أُمّنـــا وأسـرحها غبّاً بأكنــاف حائــل

بنو ثُعل جيرانها وحماتهــا وتُمنع مـن رُماة سـعد ونائـل

تلاعب أولاد الوعل رباعهــا دوين السماء في رؤوس المجادل

ويصف خوف ابن حذار وهروبه من الشاعر إلى الإكام والأماكن المرتفعة مثل الوعل العاقل في تلك الأماكن فيقول(١٢٩) :

وابن حذار ظل من خوفنـــا ... يَغْمِرُ مثـل الوعـــل العاقـــل

أحزن لو أسهل أحذيْتـــــه ... بعامــــل فـــي خُرُص ذابـل

وهذا النابغة الذبياني يصف تحصنه في أعالي الجبل مثل تمنع الوعل فيه فيقول(١٣٠) :

وحلت بيوتي في يـفـاع ممنـع ... تخـال به راعـي الحمولـة طائــرا

تزل الوعول العصم عن قذفاته ... وتضحي ذراه بالســـحاب كوافرا

أما خوفه، فيزيد على خوف الوعل الذي عُقل في جبل المطارة في قوله(١٣١) :

وقد خفت حتى ما تزيد مخافتي ... علـــى وعل في ذي المطارة عاقل

وسؤالنا الآن بعد أن رأينا قداسة الجبل وصلة الإله والوعل به، هل كان الوعل مجرد حيوان يسكن قمم الجبال، أو هو رمز لقوة أعظم وأسمى؟ بمعنى، هل كان للوعل أسطورة بهتت معالمها واختفت ملامحها؟ فإن كان ذلك كذلك، فما هذه الأسطورة؟ وما جذورها؟

أعتقد أن هذه الأسطورة هي ذاتها أسطورة الإله الابن، والعاشق المحبوب " تموز " وقصة هبوطه السنوي للعالم السفلي، حيث يؤسر في الجبل في نهاية الصيف عندما تذوي النباتات، وتقفر الأرض، ومن الجبل يعود عندما تنتعش الطبيعة في بداية الربيع في شهر نيسان، فهو " يموت كل شتاء ويولد كل ربيع "(١٣٢).

وتموز البابلي هو دموزي السومري، ذكر ستين لويد أن هيكل الإلهة السومرية " يتضمن أشكالاً مثل تموز الذي يهبط من الجبل عندما تذوي النباتات جراء حرارة الصيف، والذي ينبغي بعثه في الربيع ؛ ليتزوج زواجاً رمزياً من إنانا(١٣٣) "، لذا كان إله الخضرة حاضراً غائباً، يحضر في فصل الإنبات ربيعاً وصيفاً، ويختفي في فصل الجدب خريفاً وشتاءً(١٣٤) .

وإذا نظرنا فيما ورد إلينا من أخبار عن الوعل، نجدها تتركز وتتمحور حول قرنه، الذي كان مصدراً لصور القوة، كما في قول امرئ القيس مشبهاً ضلوع ناقته بقرون الوعل(١٣٥) :

فقمت إلى عنس كأن ضلوعهـا ... صياصـــي وعول ضمهن وضيــن

فالوعل هو الحيوان الوحيد الذي ينصل قرنه في كل عام، وقد قرن الجاحظ هذا النصول بالحية والشجرة، وكلاهما مقدس، مرتبط بالحياة فقال: " ورأينا بعضها - أي الحيوانات - ينصل قرناها في كل سنة، كما تسلخ الحية جلدها، وتنفض الأشجار ورقها، وهي قرون الأيائل "[١٣٦]، ويجعله يختفي عن الأنظار خوفاً من الضواري والسباع فيقول: " والأيل ينصل قرنه في كل عام فيصير كالأجم، فإذا كان ذلك الزمان، استخفى، وهرب، وكمن، فإذا نبت قرنه عرّضه للريح والشمس في الوضع الممتنع، ولا يظهر حتى يصلب قرنه ويصير سلاحاً يمتنع به "[١٣٧]، ويحدد الجاحظ زمن ظهوره، ووقت عودته في أيام الربيع، وهو زمن عودة تموز، فيقول: " حتى إذا أمكنه استعمال قرنيه في النزال والاعتماد عليهما، والوثوب من جهتهما، رجع إلى حاله من مراعيه وعاداته "[١٣٨]، هكذا إذن تكون عودة الوعل مع عودة الحياة إلى قرنيه وإلى الطبيعة وإلى تموز.

أما زمن غياب الوعل وهبوطه من الجبل، فهو الزمن الذي يختفي فيه تموز في فصل الشتاء، حينما يشتد المطر، وتنخفض حرارة الجو - وبخاصة كلما ارتفع المكان عن سطح الأرض - فيقوم الوعل برحلته الموسمية التي يفارق فيها الجبل إلى أن تخف وطأة البرد في الربيع، فيعاود صعوده إلى الجبل حيث تطيب له الحياة، ولقد جمعت الأساطير السومرية بين نزول الإله من الجبل وبين نزول الوعل أيضاً، حيث شبهت الإله بالوعل/ العنز البري في نزوله فقالت:

" وبينما كان إنليل يستعد مثل عنز بري
للهبوط من الجبل الشديد الانحدار "[١٣٩]

ومما يدفعنا إلى الربط بين تموز وبين الوعل، أن الوعل لا يموت عند الشعراء الجاهليين إلا في قصائد الرثاء، أي أن اختفاءه وعودته يمثلان تجدد حياة الإله، وأن موته في تلك القصائد الرثائية ما هو إلا موت الإله حين تطول يد القدر ويتسلط المنون. هذا من الناحية التأويلية، أما من الناحية التوثيقية، فإننا نجد في اللوحة السومرية التي ذكرها ستين لويد وعلين يقفان باتجاهين متعاكسين وخلفهما نسر برأس لبؤة وتمثل هذه اللوحة كما أشرنا من قبل - عاصفة المطر التي تنهي الجفاف، ونحن نعلم أن انتهاء الجفاف يكون بعودة الإله تموز من عالم الأموات، واقتران الوعل بهذه العاصفة - التي يعبر عنها النسر بجناحيه المفرودين - يدل على أنه كان رمزاً من رموز الإله تموز.

وقد لمح هذه العلاقة بين تموز وبين الوعل، الدكتور مصطفى ناصف في تحليله أبيات امرئ

القيس في المطر، لكنه لم يصل إلى الربط بينهما، حين قال: بأن المطر ليس مطر عذاب ودمار إذ ما لبثت الوحوش أن عادت من جديد وعادت معها الحياة للسهل والجبل على السواء[١٤٠].

يبقى الوعل متمنعاً في الجبل لا يفارقه إلا عند نزول المطر، وقد كرر الشعراء الجاهليون فكرة نزول الوعل عند نزول المطر، وربطوا بينهما، وكأنهم شاكلوا بين الموت أو الدمار الذي يحدثه المطر والسيل، ويصاحب نزول الوعل عن الجبل، وبين الجدب أو المحل أو الموت الذي يصاحب نزول تموز إلى العالم الأسفل، فالأصل والعرف أن يقيم تموز والوعل في مكانهما الطبيعي الجبل، ونزولهما عنه نذير بالعاصفة والموت والدمار، فها هو امرؤ القيس يصف مشهد الموت الذي يصحب السيل فيقضي على مظاهر الحياة: الحيوان والنبات والجماد، إلا الوعل، فأقصى ما يفعله به أن ينزله إلى أسفل الجبل، لأنه مثل تموز ينزل ليصعد، يموت ليحيا من جديد، يقول[١٤١]:

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة	**يكب على الأذقان دوح الكنهبل**
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة	**ولا أُطُما إلا مشيداً بجندل**
كأن طمية المُجيْمر غدوة	**من السيل والغثّاء فلكة مغزل**
كأن سباعاً فيه غرقى غُديّة	**بأرجائه القصوى أنابيش عنصل**
على قطن بالشيم أيمن صوبه	**وأيسره على الستار فيذبل**
وألقى ببيسان مع الليل برْكه	**فأنزل منه العصم من كل منزل**

ويصرع سيل أبي ذؤيب الظباء التي تشبه النساء بيد أنه لا يميت أولاد الأراوي/ الوعول، وإنما يحطها من على الجبل، قال[١٤٢]:

فحطّ من الحُزَنِ المغفرا	**ت والطير تلثق حتى تصيحا**
كأن الظباء كشوح النسا	**ء يطفون فوق ذراه جنوحا**

ومن ذلك، قول لبيد بن ربيعة[١٤٣]:

فحدّر العصم من عماية للسهـ	**ل وقضّى بصاحة الأربا**

وقوله[١٤٤]:

وحطّ وحوش صاحة من ذراها	**كأن وعولها رمك الجمال**

وقول سحيم عبد بني الحسحاس[١٤٥] :

نعمت بـــه عيناً وأيقنت أنــه يحطّ الوعول والصخور الرواســيا

وقول البُريق الهذلي[١٤٦] :

فحطّ العصم من أكناف شِــــعر فلــم يـتـرك بـذي ســـلـع حمــارا

وقول عبيد بن العزى[١٤٧] :

يحطّ الوعول العصم من كل شاهق ويقذف بالثيــران فـــي المتحيّر

تشير الأفعال التي تدل على فعل النزول في الأبيات السابقة مثل : حطّ، يحط أنزل، حدّر، أن الوعل أُنزل من على الجبل رغماً عنه، وأنه في أثناء نزوله وانحداره كان يقاوم ويقاوم، ويتنكب طريق السيل/ الموت، هرباً منه كما يقول أبو ذؤيب الهذلي[١٤٨] :

فمر بالطير منه فاعم كــــدر فيــه الظباء وفيـــه العصم أجناح

لولا تنكبهنّ الوعث دمرهـــا كمـا تنكب غـــرب البئر متّــاح

وهكذا، كان نزول الإله تموز الذي أهبط إلى العالم الأسفل رغماً عنه، وهذا هو حال دموزي الذي اختطفته عفاريت العالم السفلي، وحال بيرسفوني التي اختطفها إله الموت هاديس[١٤٩]، ولقد حاول دموزي الهروب من شياطين الموت " الكالا " بالصعود إلى الجبل[١٥٠]، وكذلك فعل وعل ساعدة بن جؤية حينما شقت سهام الصائد فؤاده، وتيقن من قدوم شبح الموت، فقال[١٥١] :

وشقت مقاطيع الرماة فؤاده إذا ســمع الصوت المغرد يصلـد

بهذا يكون قدوم السيل/ الطوفان منسجماً مع نزول الوعل، ومقدمة لظلمة الموت، وصدى لنزول تموز إلى العالم السفلي المظلم، وبهذا يمكن تعليل وصف الشعراء الجاهليين نزول المطر ليلاً، حيث يصرع السيل مظاهر الحياة ويقضي عليها، ويبقى الوعل مرتبطاً بالصخر الذي هو جزء من الجبل، فهذا السيل/ يد الدهر، أو حتى الدهر نفسه، يستطيع أن يصدع الصخر ويوهنه، لكنه لن يستطيع صرع الوعل الصدع القوي وإنما غاية ما يفعله به أن يخفيه مؤقتاً عن

شعاف الجبال، كما يقول الأعشى[١٥٢]:

قد يترك الدهر في خلقاء راسية وهيا وينزل منه الأعصم الصدعا

الوعل/تموز/الخلود:

انحصرت جهود إله الخصب في مراحله الأولى في دعم الإنسان في صراعه مع الجوع والفناء، من غير أن يكون قادراً على تحريره من رتقة الموت، ومنحه خلوداً أبدياً حقيقياً، إلا أن حياة هذا الإله، وموته وبعثه أوحت له بأمل الخلاص من سيطرة الموت كما تخلص منها الإله، فكان تعلق قلوب عباده به تعبيراً عن النزوع الإنساني الأبدي نحو الخلود.

كانت عقيدة الخلود من الأمور التي ألحت على ذهن الإنسان القديم، وأرهقت مخيلته، وصبغت كل سـلوكه الدنيوي بصبغتها، ولقد حاول كثير من الحكام والحكماء القدماء نيل الخلود أمثال: أنميدار أنّا، وآدابا، وجلجامش، إلاّ أنهم فشلوا جميعاً، ولم يفز به إلاّ " زيوسدرا " بطل الطوفان السومري[١٥٣]. كما كان الموت الدوري لبعض آلهة الخصب مثل: دموزي/ تموز، وبعل، وآتيس، وأوزوريس، وأدونيس، وديونيسيوس، جوهر فكرة الخلود، وأس عقيدته، ذلك لأن موتهم لم يكن موتاً أبدياً، وإنما كان مؤقتاً، تذهب من خلاله هذه الآلهة إلى العالم السفلي لتجديد قواها، وإعادة دورة حياتها؛ لتبعث الخصب، وتجدد الحياة في الوجود.

وهذا الوعل الذي يمثل الإله تموز، أو يعد صورة من صوره، كان من أوضح الأمثلة التي جذبت انتباه الشاعر الجاهلي في حديثه عن الخلود، ولقد ظن البعض[١٥٤] أن قيمة الخلود التي تنسب إلى الوعل جاءت من علاقته بالجبل، وإقامته فيه، واحتمائه به، على اعتبار أن الجبل كان من أهم المظاهر التي شده بها الإنسان الجاهلي، وفي ظني – بعد كل ما تقدم – أن خلود الوعل ناتج عن قداسة هذا الحيوان وقدسيته، ورمزيته للإله تموز، وأن الجبل اكتسب صفة الخلود هذه من كونه مكان إقامة الإله وإقامة رمزه الوعل معاً.

ولقد وصف الشعراء الجاهليون الوعل بالتمنع والرفعة والسمو والمنعة، ومقاومة الموت والفناء، فكان الحيوان الوحيد من بين ذوات القرون الذي يتجدد قرناه كل عام، كما كان رمز القوة، ونموذج الجلد، فهو المتمنع في قلل الجبال، المقيم في الأماكن البعيدة، يفتت بأظلافه الحجارة الصلدة، يقذف بنفسه على قرنيه من أعالي الجبال، يشرب من مناقع المياه الموغلة في الصحراء، يطالب الحياة ويقوى عليها، وهم يؤكدون هذه الصفات فيه، وهي أقرب ما تكون

إلى صفات الآلهة القديمة منها إلى صفات البشر .

رأى الشعراء أن " الحيوان الذي يلجأ إلى الأعالي هرباً من أعدائه - كما عند الوعل - يوحي بمقاومة الفناء، فالصعود إلى أعلى دائماً يشكل لديه نوعاً من الهروب الواقعي والبعد عن الفناء الأرضي إلى الخلود السماوي [١٥٥] "، فاعتقدوا أن الوعول تحظى بالخلود الذي يفتقده البشر، فهذا أمية بن أبي الصلت حين حضرته الوفاة، أغمى عليه، ثم أفاق فرفع رأسه حيال باب البيت، وقال: لبيكما، ها أنا ذا لديكما، لا عشيرتي تحميني، ولا مالي يفديني، ثم أغمى عليه، ثم أفاق، فرفع رأسه، فقال:

كل حـي وإن تطـاول دهـــراً ... آيـل أمـــره إلـــــــى أن يــــزولا

ليتني كنت قبل ما قد بدا لـــي ... في رؤوس الجبال أرعى الوعولا[١٥٦]

فهو يتمنى بعد أن أدرك حتمية الموت أن يكون راعياً للوعول في رؤوس الجبال، وما هذه الأمنية التي تمناها إلا انعكاس لرغبته في الخلود، وما الربط بينه وبين الوعول إلا تأكيد لهذه الرغبة، فهو يعتقد أنه بارتباطه بها وملازمته إياها؛ يستمد منها تلك الصفة، وكأنه يتمنى أن يكون مثل الآلهة الرعاة التي كانت ترعى الوعول والتيوس والغنم والماعز في رؤوس الجبال، مثل دموزي[١٥٧]، وتموز، والمسيح[١٥٨]، والإله آتيس[١٥٩].

وهذا الشنفري الأزدي ينشد الخلود المفقود، فيرحل إلى الجبال البعيدة العالية المقفرة إلا من الوعول المثال الأعلى المقاوم للموت، وتشبه رحلته هذه رحلة جلجاش الذي مضى يبحث عن الخلود بعد موت صديقه أنكيدو في الجبال البعيدة الموحشة التي تقيم فيها الآلهة رمز الخلود، قال[١٦٠]:

وخرق كظهر الترس قـفـر قطعته ... بعاملتين ظهره ليـــــس يعمـــل

وألحقـت أولاه بأخـراه مـوفـيـاً ... على قنة أقعي مراراً وأمثـــــــل

ترود الأراوي الصحم حولي كأنها ... عذارى عليهن الملاء المذيـــــــل

ويـركدن بالآصـال حـول كأنني ... من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقل

رحل جلجامش إلى جبال الشمس للحصول على نبتة الحياة التي تمنحه الخلود، ورحل الشنفري إلى تلك الجبال العالية لملازمة الوعول، علّه يستمد منها صفة الخلود، كلاهما التمس الخلود من مظهر مقدس: الآلهة والوعول، بيد أنهما أخفقا معاً، فلم يتحقق الخلود لجلجامش

بسبب الحية التي أكلت النبتة، ولم يفصح الشنفري عن سبب إخفاقه ولم يتعرض للحية، إما لزوال عناصر الأسطورة القديمة، أو لأن الشنفري وظف هذه الأسطورة في معرض حديثه عن الخلود الاجتماعي مقابل الخلود البشري حيث تحدث عن مصاحبته الحيوان والأنس به تعويضاً عن الشعور بالنقص والإحساس بالهوان في قبيلته.

ولارتباط الوعل في أذهان الشعراء الجاهليين بالخلود، ومقاومته الشديدة للفناء " اتخذوه مثالاً للعجز عن إدراك الخلود في هذه الحياة، والبقاء فيها، فآمنوا بعد أن لمسوا حقيقة الموت بأن الإنسان لا بد أن يقع في قبضته مهما كانت قوته وقدرته، وكان هذا التعليل – كما يبدو – كافياً لتخفيف هول الصدمة التي كانت تنتاب الشعراء عند وقوع مصيبة الموت[١٦١] " فالوعل لم يكن مثالاً للعجز عن الخلود إلا لأنه متمنع، ولهذا وصفوة بالأبود كما في قول ساعدة بن جؤية رابطاً بينه وبين جبل المناعة:

أرى الدهـر لا يبقى على حدثانه ... أبود بأطراف المناعة جلعـــد[١٦٢]

وهي صفة مأخوذة من الأبد الدهر الخالد، إذ التأبيد كما يقول صاحب اللسان هو التخليد، ومنه سميت الأوابد بذلك، لبقائها على الأبد إذ لم يمت وحشي حتف أنفه قط، إنما موته عن آفة[١٦٣].

بيد أنه ومع تمنع هذا الحيوان، واعتصامه وأبوده، واعتباره القوة الخارقة التي يقف أمامها الموت متردداً – يخضع لجبروت الموت، فكل شيء يفنى ويزول، ولو كان بإمكان الأحياء النجاة من الموت لنجا منه الوعل، ولقد ردّد الشعراء هذه الفكرة، وكرروها في أشعارهم، فقال المرقش الأكبر[١٦٤]:

لو كان حياً ناجياً لـنـجـــا ... مـن يومــــه المزلمّ الأعصم

وقال علقمة ذو جدن[١٦٥]:

لـو كـان شـــيئاً مفلـتاً حـيـنه ... أفلت منه فـــي الجبـــال الصـدع

وقال النمر بن نولب[١٦٦]:

فلـــو أن مـــن حتـفـه ناجـيـاً ... لألفيته الصـــدع الأعصمــــــا

وقال كعب بن زهير[١٦٧] :

ولو أنها جادت لأعصم حِرزهُ متمنع دون السماء منيف
لاستنزلته عيطل مكحولة حوراء جاد لها النجاد خريف

ويلاحظ على أحاديث الشعراء عن هذا الحيوان في سياق العبرة من نوازل الدهر وغوائله، أن الدهر لا يموت، وإنما أقصى ما يفعله الدهر به أن ينزله من عليائه، بينما يموت في قصائد الرثاء تعزية، وسوقاً للعظة، وتصويراً لمفاجآت القدر، فكان موت الوعل هو الصورة الأخيرة التي رددها الشعراء في مراثيهم، يقول ابن رشيق " ومن عادة الشعراء أن يضربوا الأمثال في المراثي بالملوك الأعزة والأمم السالفة والوعول الممتنعة في قلل الجبال[١٦٨] "، قال صخر الغي يرثي ابنه تليداً[١٦٩] :

أرى الأيام لا تبقي كريماً ولا العصم الأوابد والنعاما

وقال في رثاء أخيه[١٧٠] :

فعيني لا يبقى على الدهر فادر بتيهورة تحت الطخاف العصائب
تملي بها طول الحياة فقرنه له حيد أشرافها كالرواجب
يبيت إذا ما آنس الليل كانساً مبيت الغريب ذي الكساء المحارب
بها كان طفلاً ثم أسدس فاستوى فاصبح لَهْما من لهوم قراهب
يروّع من صوت الغراب فينتحي مسام الصخور فهو أهرب هارب
أتيح له يوماً وقد طال عمره جريمة شيخ قد تحنّب ساغب
يحامي عليه في الشتاء إذ شتا وفي الصيف يبغيه الجني كالمناحب
فلما رآه قال لله من رأى من العصم شاة مثل ذا بالعواقب
أطاف به حتى رماه وقد دنا بأسر مفتوق من النبل صائب

فقد صور الوعل، وقد اكتملت قوته، وعظم شأنه، وتمكن من الارتقاء إلى الأماكن العالية، ولكن بالرغم من كل هذا التمكن؛ خضع لسلطان الموت الذي تهيأ له على شكل صياد ماهر، ترقّب حركاته، ولاحقه حتى إذا سنحت الفرصة، سدد سهامه وأرداه قتيلاً يسبح في دمائه، قال ساعدة بن جؤية يرثي ابن أبي سفيان[١٧١] :

أرى الدهر لا يبقى على حدثانه أبود بأطـــراف المناعة جلعــد

تحـول لوناً بـعـد لـون كأنــه بشـفان ريح مقلع الوبل يصــرد
وشـفت مقاطيـع الرمـاة فـــؤاده إذا يســمع الصوت المغرد يصلد
رأى شخص مسعود بن سعد بكفه حديـــد حديث بالوقيعة مُعتـد
فجال وخـال أنـه لـم يـقـع بـه وقد خله ســهم صويب معـــرد

وقال أيضاً[١٧٢]:

تالله يبقــى على الأيام ذو حيـد أرفى صلود من الأوعال ذو خــدم
يأوى إلى مشـــمخرات مصعّدة شم بهن فروع القان والنشـــم
ن فوقه شـعـف مـرٌّ وأســفلـه مجيٌّ تنطـق بالظيـان والعتـــم
حتـــى أتيح له رام بمُجـدلـــة جشءٌ وبيض نواحيهنّ كالســجم
فظل يرقبـه حتى إذا دمـــســـت ذات العشاء بأســداف من الغَسَم
دلّـى يديه له ســيراً فـألـزمـه نفـــاحة غير إنبـــاء ولا شــَرَم
فـراغ منـــه بجنب الريد ثم كبـا على نضي خلال الصـدر منحطـم

يظهر الصياد في المقطعات السابقة، وكأنه ضربات القدر تتربص بالوعل الآمن المطمئن، ونلاحظ أنه يقتل الوعل، لأنه لو نجا من الموت لما أضاف إلى المعنى جديداً، ولما حقق الشاعر غرضه، إذ القصد أن يقول: إن هذا المتمنع المضروب به المثل في التمنع، قد لقي حتفه، وأتاه الموت من حيث لا يدري، ولكن السؤال هنا، لماذا يقتل الشاعر الوعل عن طريق الصياد وليس عن طريق حيوان آخر مثل الكلاب؟ أو أن يجعله يموت حتف أنفه؟ ذلك لأن الوعل " يمكنه الهرب إلى الجبال، وهنا قيمته " التمنعية " التي يفترضها فيه سلفاً، ولذا لا يوجد سوى الصياد الإنسي البعيد عنه تماماً، والذي يمكنه إصابته من حيث لا يحتسب، ويبدو ظهوره قوياً ومؤثراً لأن الشاعر يمعن في حالة خلو الذهن لدى الوعل[١٧٣] " .

الوعل/ الحية/ الخلود:

مما يلقي الضوء على صفة الخلود التي يتمتع بها الوعل في الفكر الجاهلي، ارتباطه الوثيق

وصلته العميقة بالحية، التي جاء اسمها عند العرب مشتقاً من الحياة، لاعتقادهم أنها خالدة لا تموت: " إذ يزعمون أن الحية لا تموت حتف أنفها، وإنما تموت بعرض يعرض لها(١٧٤) " وفي اعتقادنا الشعبي اليوم أن الحية المقتولة لا تموت فعلاً إلا عند ظهور القمر أو القرنين(١٧٥)، وأنها تجدد حياتها في كل عام، وكلما نال منها الهرم من خلال تبديل جلدها القديم بجلد جديد، فهي مثل الوعل الذي تتجدد حياته حينما ينصل قرناه في كل عام أيضاً.

ولقد اكتسب الوعل والحية صفة الخلود هذه من الإله القمر " الذي يجدد حياته أبدياً في دورة شهرية دائمة، فيسلخ جلده القديم في طوره المتناقص، ويلبس جلداً جديداً في طوره المتزايد(١٧٦).

بدت الحية في الفكر القديم محاطة بكل رموز الخصب، واعتبرت تجلياً لقواه، " وما زال رمز الحية التي تحمل الهلال على رأسها قائماً لدى بعض القبائل للدلالة على الحياة الأبدية (١٧٧). من هنا كان الربط بين الحية وبين المرأة، ولقد لاحظنا أثر القمر في خصب المرأة وفي دورتها الشهرية، ونلاحظ علاقة القمر بالحية ماثلة عند الإغريق القدماء الذين اعتقدوا أن عدد أضلاع الحية أو حلقائها يعادل أيام الشهر القمري(١٧٨)، وتعتقد شعوب كثيرة أن القمر يقترن بالنساء في هيئة رجل ثعبان تسميه الإله الأفعوان، وكانت تطلق على أبنائه " أبناء الله(١٧٩) "، وفي الديانة الديونيسية أو الأرفية كانت الأفعى تعبد باعتبارها الإله ديونيسيوس نفسه(١٨٠).

وكما ينزل الوعل من على الجبل، أو يختفي في فصل الشتاء، تختفي الحيات في هذا الفصل، ويتزامن تجدد حياة الإله الأفعوان مع تجدد قرني الوعل وبداية ظهوره على الجبل بعد هطول الأمطار، ففي معابد " دابومي " تُقدم الصبايا المنذورات في احتفال ديني إلى التنين الأسطوري إبان موسم البذار، ويمثل الثعبان " دان " عند قبائل " يوروباس " الإغريقية قوس قزح الذي يجمع أعلى العالم وأسفله، ولا نراه إلا بعد هطول الأمطار(١٨١).

وكما ارتبطت الحية بالوعل في زمني الخفاء والتجليّ، اقترنت به في الولادة والمنشأ، روى الجاحظ عن العرب قولهم: " إن الأروية تضع مع كل ولد وضعته أفعى في مشيمة واحدة (١٨٢) "، ومما يؤكد أن ذلك بقايا معتقدات قديمة، وأصول أسطورة اختفت معالمها، تشكيك الجاحظ فيما أورده حين قال: " ولم أكتب هذا لتقر به، ولكنها رواية أحببت أن تسمعها، ولا يعجبني الإقرار بهذا الخبر، وكذلك لا يعجبني الإنكار له، ولكن ليكن قلبك إلى إنكاره أميل(١٨٣) ". ولقد أيدت الاكتشافات الآركولوجية رواية الجاحظ، فاكتشفت في

اليمن لوحات فنية جمعت بين الآيائل والحيات والتنينات[١٨٤].

ومما يكمل عناصر أسطورة الحية والوعل التي ذكرها الجاحظ، أنهما ورغم التوأمة بينهما، وخروجهما معاً من مشيمة واحدة – دلالة على أصلهما القمري – إلا أنه ضرب بهما المثل في العداوة فقيل:

عاديتنا ياخنفساً كام جَعَل   **عداوة الأوعال حيات الجبل**[١٨٥]

كما أن الأوعال، هي وحدها من بين جميع ما يسكن الجبل من الوحش يأكل الحيات، نتيجة هذه العداوة، قال الشاعر[١٨٦] "

علّ زيداً أن يلاقي مرة   **في التماس بعض حيات الجبل**

غاير العينين مفطوح القفا   **ليس من حيات حجر والقلل**

وترى السم على أشداقه   **كشعاع الشمس لاحت في طفل**

طرد الأروى فما تقربه   **ونفى الحيات عن بيض الحجل**

أعتقد أن هذا الصراع الدامي بين الوعل وبين الحية يرتد إلى الماضي العميق، ويرمز إلى الصراع القديم بين قوى الخير والخصب والحياة التي تتجلى في عطاء الطبيعة، وخصب الأرض، وتكاثر الحيوان والإنسان والتي تمثلها آلهة الخصب وعلى رأسها الإله تموز، وبين قوى الموت والعدم والظلام التي تبدو في إمساك الطبيعة، وجفاف الأرض، وخواء قوى التناسل، والتي تمثلها آلهة الموت حين تسوق تموز إلى العالم الأسفل، سيما وأنه صراع مستمر بين ضدين خالدين، بين الوعل رمز تموز الخير وبين الحية التي تحولت واتخذها الإنسان رمزاً وحقيقة للشر " لأنها تضمر السوء، وتتوارى عن الأنظار، فتزحف على التراب، وتندس في الجحور كيداً وخديعة[١٨٧] " فاتخذت سمت إله الشر ودخلت مع آلهة الخصب في صراع مرير في كل الأساطير القديمة، نجد ذلك في صراع " مردوك " البابلي مع الأفعوان " لايو " وصراع " بعل " الكنعاني مع " موت " و " يهوه " العبري مع " لوياثان " و " وأهورامازدا " الفارسي مع " إهريمان " الذي تشكل في هيئة الأفعى، و " زيوس " الإغريقي مع الأم الكبرى ممثلة بالأفعوان " طيفون " و " أبولو " مع الأفعى " بثون " أفعى الأم الأرض " جيا ".

وتوحدت الأفعى/ الحية بالشيطان أو إبليس في الفكر الجاهلي، حيث سموا الثعبان العظيم

شيطاناً، واعتبروها من الجان، وهو من أسمائها[١٨٨]، وتغلبت قوى الخصب والخير ممثلة في الوعل/ الإله تموز على قوى الشر ممثلة في الأفعى حين جعل العرب الوعول هي الحيوانات الوحيدة القادرة على أكل الحيات وإن كانا من منشأ واحد.

الوعل/ تموز/ الخصب:

كانت عقيدة الخصب من أهم الأسس التي ارتكز عليها الفكر الديني القديم، وكان السامي القديم يشبه قوى الطبيعة التناسلية مثل الذكر والأنثى، فمثّل قوة الذكر بالماء، وقوة الأنثى بالأرض وبموجب التقاء القوتين، تكونت الأشجار والنباتات والحيوانات والناس[١٨٩]. ولقد كان الإله دموزي/ تموز هو القوة الخلاقة التي تبعث الحياة في مظاهر الطبيعة المختلفة " فهو تموز الخضر (الأخضر)، رب الإنبات والدورة الزراعية، الإله الحي الميت، والميت الحي، الذي يهبط إلى باطن الأرض في الخريف، ويبعث من عالم الظلمات مع قدوم الربيع، ساحباً وراءه خيرات الأعماق، وبركات الرحم المظلم الذي خرج منه[١٩٠] " ظهر في الرسوم بلحية وقرنين وهما رمز القوة والخصب، فبدا بلحية لازوردية مثل عنزاته البرية[١٩١].

رأينا من قبل ارتباط الوعل بالخصب وشبهه بدموزي/ تموز في الشكل، ولقد ربط الجاحظ بين القرون واللحى وبين الذكورة حين قال: " والأجناس التي تكون لها القرون تكون قرونها في الذكور منها، وقد يكون الفحل أجم، كما أن اللحى عام في الرجال وقد يكون فيها السناط [١٩٢].

من مظاهر خصوبة تموز صلته الوثيقة بالماء، وينم اسمه عن هذه الصلة، حيث يتألف من العبارة السومرية " دموزي أبسو " ومعناها " الابن الصالح لمياه المحيط[١٩٣]، أو " الابن الحق للمياه العميقة[١٩٤] "، و " أبسو " هو الاسم القديم للإله " إنكى " والد تموز/ دموزي إله المياه الذي كان رمزه الوعل[١٩٥]، وقد يأخذ الابن صفة الخصب من أبيه، وبخاصة عندما تحول إلى " تموز " عند البابليين والأكاديين، وقد يرتبط بالمطر أيضاً لاسيما حينما رحل إلى البيئات التي يعتمد الخصب فيها على مياه الأمطار كما هو الحال عند " بعل " و " أدونيس ".

ولقد لعب الماء دوراً مهماً في حياة آلهة الخصب وأعيادها، ففي أعياد تموز في بابل " كان صنم تموز يحمم بالماء النقي... وفي عيده الصيفي بالإسكندرية كان يلقى بصنمه، وصنم خليلته الإلهية في خضم الموج، وكذلك في عيده الصيفي في بلاد اليونان كانت ترمي جنائن

أدونيس في البحر أو في مياه العيون[١٩٦] " ، وفي طقوس استنزال المطر السومرية التي ظهرت على وعاء صخري منقوش ؛ يظهر الإله دموزي أو كهنته ، وإلى جانبه تياران متدفقان من الماء[١٩٧]، ويتوحد أوزوريس في الفكر المصري مع ماء النيل والينابيع والندى[١٩٨] .

وبدهي والحال هذه أن يرتبط الوعل بالماء في الفكر القديم ، لعلاقته بالإله الأب " إنكي " والإله الابن " دموزي/ تموز " ولأن أماكن المياه هي أماكن إقامة الآلهة ، ولقد وصفت أسطورة " بعل وعناة " الكنعانية شهية الإله " موت " بشهية " الأيائل قرب عيون الماء [١٩٩]، وشبهت التوراة اشتياق العبد إلى ربه بشوق الأيائل إلى جداول الماء فقالت : " كما يشتاق الأيّل إلى جداول المياه هكذا تشتاق نفسي إليك يا الله "[٢٠٠]، وذكر الابشيهي أن أكثر ما يكون الأيل قرب البحر ، والسمك يحب رؤيته ، ولهذا يلبس الصيادون جلده ليراهم السمك[٢٠١] .

وتعددت مظاهر اقتران الوعل بالماء في الشعر الجاهلي ، فارتبط بالمياه الغزيرة ، والسيول المدمرة التي تنزل الوعل من على الجبل ولا تميته ، وارتبط بأماكن المياه كالمُعُن والشرائع ، فكان مشهد ورود الوعل على هذه الأماكن مصدراً لكثير من الصور الشعرية عندهم ، فالنابغة الجعدي يصف غلظ أرساغ فرسه برقاب الوعول الواردة على المشرب فيقول[٢٠٢] :

كأن تماثيل أرساغه رقاب وعول على مشرب

ويشبه بشر بن أبي خازم الأسدي ضلوع ناقته القوية بقرون الوعول في شريعة الماء فيقول[٢٠٣] :

وتأوي إلى صلب كأن ضلوعه قرون وعول في شريعة مأزم

وقد تضطر الوعول إلى الابتعاد عن أماكن المياه هذه ، وتركها ، واللجوء إلى أعالي الجبال إذا أحست بخطر الصيادين والقناصين كما يقول صخر الغي[٢٠٤] :

لها مُعُن وتصدر في لهوب بها ذبّت أوائلها هياما

أما إذا أراد الشعراء الحديث عن سلطان الدهر وسطوة القدر ، فإنهم يجمعون بين الوعل رمز الحياة والخلود ، وبين الصياد رمز الموت والفناء وجهاً لوجه على شريعة الماء ، حيث يظهر الصياد/ الموت في صورة رزية محتقرة تشعر بالرهبة والعداء ، فيسقي الوعل الموت الزؤام ،

مما يذكرنا بمصرع آلهة الخصب على أيدي آلهة الموت والدمار، يقول صخر الغي في رثاء ابنه تليد[٢٠٥]:

أرى الأيام لا تبقي كريمـــاً ولا العصم الأوابد والنعاما

أُتيح لها أقيدر ذو حشـــيف إذا سامت على الملقات ساما

خفي الشخص مقتدراً عليها يشن على ثمائلها السماما

فيبدرها شرائعها فيرمـــي مقاتلها فيسقيها الزؤاما

ومن مظاهر اقتران الوعل بالماء، ارتباطه بالمطر، وقد يكون للاسم " أروية " – أنثى الوعل ومنها سميت المرأة أروى – علاقة بالماء الروي والرواء وهو العذب الكثير، وبالراوية وهي مزادة الماء أو الدابة التي تحملها، وبالروّي وهي السحابة العظيمة القطر الشديدة الوقع[٢٠٦]، وبخاصة أنها جميعاً تنتمي إلى الأصل " روى "، هذا على صعيد اللغة، أما على صعيد الأسطورة، فهناك تقارب صوتي ومعنوي بين " الأرويّة " وبين اسم الإلهة السومرية " أرورو " بعلة الآلهة، وسيدتها[٢٠٧]، خالقة الحيوانات الوحشية وكل حيوانات السهوب، أخت إنليل، والمشرفة على الولادة، وأخت الإله إنكي[٢٠٨]، ومما يؤكد هذا التوجه أن " أروية " في الأصل على وزن أفعولة، قلبت الواو الثانية فيها ياءً، وأدغمت في التي بعدها وكسرت الأولى لتسلم الياء[٢٠٩].

وقد عبّر الشعراء عن هذه العلاقة فربطوا بين الأروية وبين المطر في قلته وكثرته فحينما أراد الأعشى وصف قلة المطر وانحباسه قال: إن ما نزل منه لا يروي الأروية، ذكر ذلك في مدحه قوم قيس بن معد يكرب أيام القحط في قوله[٢١٠]:

وهم يطعمون إذ قحط القطـ ـروهبت بشمأل وضريب

وخوت جربة النجوم فما تشـ ـرب أروية بمري الجنوب

وحينما مارس بشر بن أبي خازم دوره السحري، وقام بطقس الاستمطار وإنزال المطر اعتمد في ذلك على الأراوى والبقر الوحشي، فقد روي عنه " أنه خرج في سنة أسنت فيها قومه وجهدوا، فمروا بصوار من البقر، وإجل من الأروى، فذعرت منه؛ فركبت جبلاً وعراً ليس له منفذ، فلما نظر إليها قام على شعب من الجبل، وأخرج قوسه، وجعل يشير إليها كأنه

يرميها، فجعلت تلقي أنفسها، فتنكسر، وجعل يقول: تتابعي بقر، تتابعي بقر، حتى تكسرت، ثم قال[٢١١]:

" أنت الذي تصنع ما لـم يصنع
أنت حططت مـن ذرى مقنـع
كل شـــــبوب لهق موّلع "

ففـي عمق هذا الخبر، وفي أعماق هذه الصورة الشعرية تكمن تعويذة الاستسقاء الجاهلية التي تعتمد على السحر التشاكلي، وتستند إلى اعتقاد ديني يرى في الوعول والبقر – وهي وحشية آبدة من ذوات القرون – آلهة للخصب والمطر، ويرى في الجبل مكان إقامتها وإقامة الإله، موطناً لطلب السقيا، فكانوا " إذا تتابعت عليهم الأزمات، وركد عليهم البلاء، واشتد الجدب، واحتاجوا إلى الاستمطار، اجتمعوا وجمعوا ما قدروا عليه من البقر، ثم عقدوا في أذنابها، وبين عراقيبها السلع والعشر، ثم صعدوا بها في جبل وعر، وأشعلوا فيها النيران، وضجوا بالدعاء والتضرع[٢١٢]" وكأن انحدارها من الجبال، أو إنزالها والنار في أذيالها إيذان بقدوم البرق ونزول المطر الذي سينزل هذه الحيوانات من الجبل تمثيلاً لنزول تموز ومن ثم عودته ومعه الخصب والحياة.

ويشارك الوعل تموز في صفة السيادة اسماً ومعنى، وهي مظهر من مظاهر المنعة والخصوبة، وقد اكتسب الإله تموز لقب " السيد " من اسم أبيه الإله إنكي " ســـيد الأرض "، " وما التسمية " أدونيس " إلا الكلمة السامية ومعناها السيد، وهو لقب احترام كان يطلقه عليه عبّاده، وفي النص العبري لكتاب العهد القديم كثيراً ما يطلق هذا الاسم على " يهوه " بشكل " أدوناي "، ولعلها أصلاً " أدوني " أي سيدي "، غير أن الإغريق أساءوا الفهم، فحولوا لقب الاحترام إلى اسم علـم [٢١٣]"، " وما أدونيس إلا الأدون أو السيد الإلهي للمدينة، وهو لقب يكاد لا يختلف في شيء من المعنى عن سيد أو رب أو ملك [٢١٤]".

ومن معاني الوعل في العربية " السيد "، يذكر ابن منظور، أن " الأوعال والوعول هم الأشراف والرؤوس، يشبهون بالأوعال التي لا ترى إلا في رؤوس الجبال، وفي الحديث لا تقوم الساعة حتى تهلك الأوعال يعني الأشراف، ويقال لأشراف الناس الوعول، ولأرذالهم التحوت، وفي حديث أبي هريرة: لا تقوم الساعة حتى تعلو التحوت وتهلك الوعول [٢١٥]"، وفي سيرة هذا الحيوان ما يدل على سيادته، وذلك حين يتقاتل الذكران وجهاً لوجه، ثم يشبان، وتتصادم قواعد قرونهما، وبعد العراك يجمع الذكر الفائز عدداً من الإناث يقودها

بسرعة ورشاقة[٢١٦].

وقد عبّر الشنفري الأزدي عن صفة السيادة هذه حين جعل نفسه وعلاً ترود حوله الأراوى، يتمتع بالتفرد والسيادة، يصل إلى هذا المكان المنيع في أعلى الجبل ويبسط سيطرته عليه. فيقول[٢١٧]:

ويركدن بالآصال حولي كأنني من العصم أدفى ينتحي الكيح أعقل

ومن مظاهر سيادة الوعل تلك الصفات التي ذكرناها، مثل وصف الشعراء له بالأعصم، والأصدع، والمتمنع والعاقل والواقل، وضربهم المثل به في الزهو، وتشبيههم مشية الأفراس والفرسان بمشيته، وكلها تدل على شرفه وعلوه وسيادته.

وتتسع دائرة معنى السيد لتدل على الرب والمالك والرئيس والزوج والمقدم والشريف والكريم، وكلها تتجسد في تموز والوعل سواء بسواء، وتلتقي هذه اللفظة في أصلها مع كل ما يمت إليهما بصلة مثل: الجبل والحية والمرأة والزوج والجنس، فالسَّوْد: سفح من الجبل مستدق في الأرض خشن أسود، والجمع أسواد، وتسمى القطعة منه " سودة "، وبها سميت المرأة، والأسود: العظيم من الحيات، يقال له أسود سالخ – غير مضاف – لأنه يسلخ جلده في كل عام، وجمعه أساود وهي الحيات ارتفعت ولسعت من فوق، والسِّواد: المسارّة، وقيل المراودة، وقيل الجماع بعينه، وسيد المرأة، زوجها[٢١٨]. وقد يكون لهذا الجذر " سود " ومعانيه الصادرة عنه علاقة بالإلهة السومرية " سود " زوجة الإله إنليل التي أخذت اسمها فيما بعد من اسم زوجها فأطلق عليها " ننليل " أي سيدة السماء[٢١٩].

والخصوبة الجنسية مظهر مشترك بين الوعل وبين تموز، ولقد عزا الإنسان القديم مظاهر الخصب والتكاثر في الطبيعة إلى إلهي الخصب: عشتار/ الأنثى وتموز/ الذكر، قياساً على البشر، باتحادهما واتصالهما يعم الخير وتخضر الأرض، ويتكاثر الإنسان والحيوان والنبات، وبغيابهما يبطل عن وجه الأرض كل نزو وجماع. من أجل ذلك عني الفكر القديم بإبراز مظاهر الخصوبة الأنثوية والذكرية على حد سواء في الخطاب الأسطوري ونظيره البصري (الرسومات والمنحوتات) فأبرزت تماثيل عشتار مواطن الخصوبة فيها مثل الثديين والفخذين والحوض، ووصفتها الأساطير بأنها شابة ممتلئة الجسم ذات صدر بارز وقوام جميل وعينين مشرقتين، وبدا الذكر فحلاً قوياً، حيث جاء وصف فحولة جلجامش في الملحمة سافراً، وبخاصة وصف قوته الجنسية وعضوه الذكري، إذ لم تقف عذراء بعيدة عن سطوة فحولته أو

ضد رغبته، حتى عشتار أسرت بها فنادته قائلة(٢٢٠):

[تعال يا جلجامش، وكن حبيبي الذي اخترت
امنحني ثمرتك (بذرتك) أتمتع بها
ستكون أنت زوجي وأكون زوجتك
وإذا ما دخلت بيتنا
فستقبل قدميك العتبة والدكة
سينحني خضوعاً لك الملوك والحكام والأمراء
وستلد عنزاتك " ثلاثاً ثلاثاً " وتلد نعاجك " التوائم "]

وكانت خصوبة دموزي/ تموز الجنسية هي جوهر قوته الخلاقة، وسر خصوبته بشكل عام، وصفته الأساطير القديمة بأنه ملهم النساء، وإله النسل، والرجل القوي، والعريس المحبوب(٢٢١)، والزوج والقرين والحبيب والرجل العسل(٢٢٢)، ومحرك الأجنة في الأرحام ينتج الحليب ويضعه في الأثداء(٢٢٣).

لقد حمل دموزي/ تموز صفات أبيه الإله/ الأب/ الذكر/ القمر، وصُوّر - كما الآلهة القمرية - بصور الحيوانات المشهورة بالإخصاب الجنسي، وبخاصة ذوات القرون كالثور والتيس، كما وصفت عملية جماعه بالحراثة، تقول إنانا/ عشتار(٢٢٤):

" أنا الملكة، من الذي سيضع فيّ
ثيرانه للحراثة ".

فيأتي الجواب من دموزي/ تموز متحدثاً عن نفسه بصفة الغائب أو من المجموعة:

" أي إينين إنه الملك الذي سوف يحرثك
إنه الملك دموزي الذي سوف يحرثك "

وقد عرف الوعل التيس - كما الثور - بشبقه الجنسي وقدرته على الجماع، حتى إنه " إذا لم يجد الأنثى انتزع المني بالامتصاص بفيه، وإذا ضعف عن النزو أكل البلوط، فتقوى شهوته(٢٢٥)" كما عرف بكثرة جماعه في العدد وفي طول المكث(٢٢٦)، وللبنه وبوله علاقة بالطاقة الجنسية المتفجرة في الإنسان والحيوان، ذكر ابن منظور في معنى الأُيَّل - لاحظ علاقته اللغوية بالأيّل ذكر الوعل - " أنه ألبان الأيائل، وقيل هو البول الخائر من أبوال الأروية، إذا شربته المرأة اغتلمت، وقيل: هو الماء في الرحم، وزعموا أن لبن الأيائل يُغلم ويسمّن، وفي ذلك يقول النابغة الجعدي في هجاء ليلى الأخيلية:

وبرذونة بلّ البراذين ثفرها وقد شربت في آخر الليل أيلا

وإذا شربت الخيل ألبان الأيائل اغتلمت "[٢٢٧]

واعتقاد العرب هذا بخصوبة لبن الأيائل يقويّ من ربطنا بين الوعل وبين تموز، وبخاصة أن الإغريق كانوا يعتقدون بمثل ذلك، حيث كان ديونيسيوس إله الكرمة والخمرة، ورمز النشوة والانطلاق والوحشية البدائية يسقي عابداته حليب الوعول[٢٢٨].

يبدو أن الشعراء الجاهليين حين ربطوا بين الوعل وبين المرأة جاء من هذا القبيل، وأنهم كانوا يتمثلون بقايا أسطورة تموز وعشتار في جانبها الجنسي، فاتخذت الأروية أنثى الوعل وزوجته صورة عشتار أنثى تموز وزوجته، ولهذا سمى العرب الأنثى " أروى " وكأنهم أرادوا جمع جنس الأروية وتمثل خصوبتها، ولهذا لن تبدو مشاكلة الشماخ بين " أروى " حبيبته وبين " الأروية " أنثى الوعل غريبة إذا سيقت في هذا السياق، لا سيما وأن حبيبته اتصفت بصفات عشتار، قال[٢٢٩]:

كلا يوميْ طُوالةَ وصل أروى ظنونٌ آن مُطَّرحُ الظَّنون

وما أروى وإن كرمت علينا بأدنى من موقَّفة حرون

تُطيف بها الرماةُ وتتّقيهم بأوعال معطّفة القرون

فأروى الأنسية ليست بأقرب منالاً من واحدة من الأروى الحيوانية التي تعتصم بأعلى الجبل، فتتمنّع على الصيادين، وهما - المرأة ومثيلتها الحيوانية أنثى الوعل - في تمنّعهما يذكراننا بتمنّع عشتار " السيدة القوية المسيطرة، ربة نفسها، وربة جسدها[٢٣٠]"، وقلة وصلها أو عدم وفائها الذي وصفه بالظنون، جعله يحدث نفسه بطرح حبها ونسيانها، ولكن أنّى له ذلك؛ فقد هام بها رغم حرونها وإعراضها، وهذا يذكرنا بوصف جلجامش لعشق عشتار القاتل، وبما فعلته بعشاقها السابقين رغم حبهم لها[٢٣١]، ويذكرنا بأفروديت في تعدد مغامراتها وتنقلها من عاشق إلى آخر[٢٣٢]، ولهذا يصف الشماخ هؤلاء المحبين بالصيادين وهي النزقة القاسية المتسلطة المعشوقة المتمنعة التي تحيط بها الوعول ذوات القرون.

وإذا كان الشماخ في أبياته الغزلية هذه، قد تمثّل أروى مثيلة لعشتار في دلّها ودلالها، وتمنعها وحرونها؛ فإن الشعراء الجاهليين قد تمثلوا في غزلهم الوعل مثيلاً لتموز، فكانوا إذا أرادوا وصف سحر المرأة وأثره فيهم، قالوا: إنها تنزل الأعصم من رأس الجبل، ولنا أن

نسأل: لماذا اختير الوعل من بين الحيوانات ليقوم بهذا الدور؟ وينقل أثر هذا السحر؟ وهل كان مكانه العلوي المترفع عن المألوف، البعيد عن الممكن مصدراً لهذا الاختيار، ليصار إلى مدى أثر هذا السحر؟ أو أننا هنا أمام الوجه الآخر للوعل الذي تتراءى فيه صورة تموز المحب الوله، الذي أغوته عشتار بسحرها؛ فأمرت عفاريب العالم السفلي بأن يأخذوه بديلاً عنها إلى عالم الأموات:

" ثم ركّزت إنانا عليه أنظارها، ركزت أنظار الموت
ونطقت ضده بالكلمة، نطقت بالكلمة التي تعذب الروح
وصرخت في وجه الاتهام
أمّا هذا... فخذوه
وبذلك أسلمت إنانا الطاهرة دموزي إلى أيديهم (٢٣٣) "

لقد أشار الناس في كل زمان ومكان إلى استعداد النساء الفطري للسحر، وقدرتهن على ممارسته وسيطرتهن على القوى الخفية، بسحرها كانت المرأة تمارس سيطرتها على الرجل، وكانت تساعده في اصطياد طرائده البرية، ففي نقش على الحجر من العصر الحجري؛ نجد مشهدين جمعهما الفنان في حيّز واحد " الأول يُظهر الرجل في حقل الصيد وسط مجموعة من الطرائد الكبيرة مستعداً لإطلاق سهمه، والثاني يُظهر المرأة في كهف تمارس طقساً سحرياً من شأنه إمداد الرجل بالقوة، والتأثير على الحيوان، تبدو المرأة رافعة ذراعيها نحو الأعلى لاستمداد الطاقة العشتارية الخفية، وتمثلها في داخل جسدها، وإطلاقها من ثم عبر بوابة رحمها في قناة خفية تتصل بالمنطقة الجنسية للرجل الضارب في البراري؛ فتسري فيه، وتعطيه الغلبة على الطرائد الشرسة (٢٣٤) ".

هذه القوة السحرية – الصادرة عن المرأة – التي عبّر عنها الفنان البدائي، فأثرت في الإنسان والحيوان، هي القوة ذاتها التي عبّر عنها الشاعر الجاهلي حين أخضع نفسه (الإنسان) والوعل (الحيوان) تحت هذا التأثير من خلال التشبيه في قول سويد بن أبي كاهل اليشكري (٢٣٥):

خبلتني ثم لما تشفني	**ففؤادي كل أوب مُنتزع**
ودعتني برقاها إنها	**تنزل الأعصم من رأس اليفع**

فهي كما يقول الدكتور الحوفي تيّمته وخبلت عقله، واجتذبته إلى حبها بسحرها الذي

يشبه الرقى، ولم يستطع أن يقاومه، لأنه كفيل باجتذاب الوعول من قمم الجبال، فالسحر الذي يختلب الوعول أحرى بأن يختلب الإنسان[٢٣٦] "، ولم لا يكون تأثيرها في الإنسان والحيوان معاً فلا يستطيعان مقاومة إغرائها أو الفكاك من أسرها كما هي عشتار في تحديها حين تقول:

" من باستطاعته الوقوف أمامي، ومن يستطيع
الوقوف خلفي؟
من يستطيع تحاشي النظرة التي أُلقى؟
من يستطيع الفرار عندما أبدأ مسيرتي؟ [٢٣٧] "

يروي التبريزي البيت الأول من البيتين السابقين بـ " حبلتني " بالحاء المهملة ويقول في معناه " أي كأنني صرت في حبالة صيد[٢٣٨] " وأرى أن لا حاجة للتبريزي لتفسير قول سويد على التشبيه حين قال " أي كأنني " وقد مر بنا في المشهد السابق كيف كانت المرأة تصطاد الحيوان من خلال الرجل، وكانت تصطاد الرجال بسهام عينيها أو نظراتها كما في قول عشتار السابق أو بشباكها كما في قول عشتار واصفة نفسها:

" أنا صاحبة السيادة، أنا الشبكة المتسعة
المنشورة فوق سهل الأشباح
أنا الشبكة ذات العقد المتقاربة المنصوبة في السهل[٢٣٩] "

ولقد تعددت الأسلحة السحرية للمرأة/ الحبيبة/ عشتار، التي كانت تخبل بها الوعل/ تموز/ الشاعر وتجذب قلبه إليها في الشعر الجاهلي، منها جمالها الأخاذ كما يقول حميد بن ثور الهلالي[٢٤٠]:

فلو أنها كانت بدت يوم حية لمنعطف القرنين وعر مطامره
من الهائبات السهل في مشمخرّةٍ بحيد وعول يأمن القوم فادره
أتاها ولو قام الرماة وساقه حبال الصبا حتى تحين مفادره

لو رأى الوعل هذه المرأة المليحة يوم حيّة وهو جبل من جبال طيء، إذن لبهره جمالها، ولنزل من معقله، ولأتاها غير عابئ بما في طريقه من الرماة الذين ينصبون له حبائل الموت، إنه تموز الذي نزل رغماً عنه إلى عالم الأموات بكلمات عشتار السحرية، ومنها حلاوة صورتها، ولذة حديثها كما يقول النابغة الذبياني في وصف المتجردة[٢٤١]:

بتكلم لو يستطيع كـــلامــه　　　لدنت له أروى الهضاب الصّخد

ومنها الجمال والصوت معاً كما في قول حميد بن ثور الهلالي(٢٤٢):

إن اللتين لقيت يوم ســـويقـة　　　لو تلمعان بـعـاقل الأوعـــــال

لاختار سهل...* لحزن مكانه　　　ولظل يطمع منـهما بوصـــال

أذنا لصوتهمـا ينـازع نفســه　　　تنأى به ويـهمّ بالإقبــــــال

ومنها الدل والدلال كما في قول العباس بن مرداس(٢٤٣):

ليالي سلمى لا أرى مثل دلها　　　دلالاً وأنساً يهبط العصم آنسا

ومنها الابتسام والضحك كما في قول النابغة الذبياني(٢٤٤):

وإن ضحكت للعصم ظلت روابنا　　　إليـهـا وإن تبسـم إلـى المـزن يـبـرق

هذه هي قدرة المرأة السحرية في الجاهلية، كانت تضرب المحبوب بالجنون، فيفقد لبّه، ويتشتت عقله، فيستسلم وينقاد لها حتى الموت، إنها قدرة عشتار الساحرة، وبريخت إلـهة السلت التي كانت تضرب العقل بالجنون، وهيقات سيدة الرؤى، وسيبيل التي ضربت ابنها وحبيبها أتيس بالجنون فخصى نفسه تحت شجرة تين، ونزف حتى الموت(٢٤٥).

وهذه هي صورة الوعل بقداستها وجلالها، وأبعادها التي تتشابك مع صورة الإلـه في خلوده وخصبه، وتجدد حياته وسيادته، ويبدو أن هذه الصورة قد تغيرت بعد الإسلام وأن مكانته الدينية قد اهتزت، فبعد أن كان مصدر إكبار وإجلال أصبح موطناً للسخرية والإضحاك، فازدري بقرنيه ولحيته رمز ألوهته وذكورته، فقيل " لا تسخر من قرني الوعل أن يحولا بك " وسخر المتنبي من لحيته فقال(٢٤٦):

وافت الفدر مـن الأوعــــال　　　مرتديات بقـــــــسيّ الضال

نواخس الأطـراف للأكفال　　　يكدن ينفذْن مـــن الآطـــال

لها لحى ســـود بلا سـبال　　　تصلح للإضحــاك لا الإجلال

لقد أشار أبو الطيب صراحة إلى إجلال الوعل وتعظيمه عند سابقيه.

الهوامش

(١) الشواف، قاسم: ديوان الأساطير، ط١، دار الساقي، بيروت ١٩٩٦, / ٢١.
(٢) انظر في هذه الرسومات: السواح، فراس، لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط٦، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦، ص ٣٨٢، والماجدي، خزعل: أديان ما قبل التاريخ، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٧م، ص ١٢٤.
(٣) السواح: لغزعشتار، ص ٨٦.
(٤) انظر المرجع السابق، ص ٨٣، والماجدي: أديان ما قبل التاريخ، ص ١٢٣.
(٥) ميخائيل نجيب: مصر والشرق الأدنى القديم، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١, ٦/ ١٢٤.
(٦) انظر: نيلسون، ديتلف: التاريخ العربي القديم، ترجمة الدكتور حسنين علي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، د.ت ص ٢٠٨، وعلي جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠, ٥/ ١٢٣.
(٧) السواح فراس: مغامرة العقل الأولى، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠، هامش ١ ص ٢٨٣.
(٨) انظر: د. المطلبي، عبد الجبار: مواقف في الأدب والنقد، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠، ص ٦٥.
(٩) نيلسون، ديتلف: التاريخ العربي القديم، ص ٢٠٨.
(١٠) أطلق على الإله دموزي/ تموز لقب الثور الوحشي، وظهر في ختم أكادي يمسك غصناً بيده وتقف معزى أمامه " [د. علي، فاضل عبد الواحد: عشتار ومأساة تموز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ص ٥٣]، وظهر الإله آشور رب الدولة الأشورية وهو يلبس قلنوسة ذات قرنين [د. القمني، سيد محمود: الأسطورة والتراث، ط٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص ٢٤٧] وزينت القرون تماثيل الإله بعل، ونحت المصريون تمثال الإله آمون في هيئة الكبش، وتمثال الإله أبيس في هيئة الثور، وعبدوا البقرة السماوية ذات القرنين، كما رسموا الشمس بقرنين، ويعني اسم الإله الابن أوزوريس سيد القمر، وكان الإله الإغريقي ديونيسيوس ثوراً، ورمزاً للإله الإيراني أهورامازدا بقرنين [السواح: فراس: لغز عشتار، ص ٧٤ +٢٧٤ والقمني: الأسطورة والتراث ص ٢٢٨، واتخذ العرب القمر على شكل عجل [الآلوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ت ٢/ ٢١٦]
(١١) القزويني، زكريا بن محمد: عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية. دمشق، د.ت.
(١٢) ابن هشام، عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الكنوز الأدبية ١/ ١٤٦.
(١٣) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب: دار صادر، بيروت، دون تاريخ " قمر " + " قرن ".
(١٤) القرشي، أبو زيد، محمد بن أبي الخطاب: جمهرة أشعار العرب، شرح وضبط علي فاعور، ط ٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٢، ص ٣٥٩.
(١٥) ديوانه، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت، د.ت، ص ٧٠.
(١٦) ديوانه، تحقيق،/ طلال حرب، ط١، دار صادر، بيروت، ١٩٩٦م، ص ٥٧.
(١٧) نعمة، حسن: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني، بيروت، ١٩٩٧، ص ٣٠١.

(١٨) ديوانه، تحقيق خليل إبراهيم العطية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢م، ص ٧٩.
(١٩) اللسان " ورخ ".
(٢٠) اللسان " ورخ ".
(٢١) اللسان " أرخ ".
(٢٢) بوتيرو، جان: الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجادر، منشورات جامعة بغداد، ١٩٧٠، ص ٤٠.
(٢٣) د. القمني، سيد محمود، الأسطورة والتراث، ط ٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣، ص ١١٥.
(٢٤) موسكاتي، سبيتنيو: الحضارات السامية، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧، ص ٣١٩.
(٢٥) د. القمني: الأسطورة والتراث، ص ١١٥.
(٢٦) اللسان " تيس ".
(٢٧) وردت لفظة الوعل في اللسان مضبوطة هكذا " الوَعْل والوُعْل " أما الأيل " الأَيّل، والإيَّل، والأُيَّل ".
(٢٨) ديتلف، نيلسون: التاريخ العربي القديم ص ٢١٢.
(٢٩) المرجع السابق، ص ٢١١.
(٣٠) اللسان " ألل ".
(٣١) ديتلف، نيلسون: التاريخ العربي القديم، ص ٢١٥.
(٣٢) اللسان " وأل "
(٣٣) المرجع السابق " وعل ".
(٣٤) الفراهيدي، الخليل بن أحمد: معجم العين، تحقيق د. حمدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دار مكتبة الهلال، بغداد، د. ت.
(٣٥) عبّودي، هنري: معجم الحضارات السامية، ط٢، جروس برس، طرابلس/ لبنان، ١٩٩١, ١/ ٣٥.
(٣٦) انظر: الغول، عمر: أوجاريتيات، دار الأمل للنشر والتوزيع، إربد، ١٩٩٧، ص ١٣٤، والخازن، نسيب وهيبة: أوغاريت، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١، ص ١٧٧.
(٣٧) سورة، الصافات، آية ١٢٥.
(٣٨) الحوراني، يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨، ص ١٦٨.
(٣٩) الغول، عمر: أوجاريتيات، ص ١٢٦.
(٤٠) اللسان " أيل ".
(٤١) روكينغ، بوب: قاموس الآلهة والأساطير، تعريب محمد وحيد خياطة، دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧، ص ١٨١.
(٤٢) اللسان " أيل ".
(٤٣) رولينغ: قاموس الآلهة والأساطير، ص ١٧٧.
(٤٤) فريحة، أنيس: أوغاريت، ص٢٥. وكنتينو: الحضارة الفينيقية، ترجمة د. محمد عبد الهادي

شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، ص ١٧١، القاهرة، ١٩٤٨، ص ١٤٤.
(٤٥) الحوراني، يوسف: البنية الذهنية الحضارية ص ١٥٧.
(٤٦) اللسان " علو ".
(٤٧) المرجع السابق " وقل ".
(٤٨) المرجع السابق "عول ".
(٤٩) الماجدي: أديان ما قبل التاريخ ص ٧٠.
(٥٠) بشور، وديع: سومر وأكاد، دمشق، ١٩٨١، ص ١٨٦، ص ٢١٥.
(٥١) الشواف: ديوان الأساطير ١/ ٨٣ + ١٦٣.
(٥٢) لويد، ستين: فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٨، ص ٩٠.
(٥٣) د. سوسة، أحمد: تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣, ٢/ ٣٨.
(٥٤) الشواف: ديوان الأساطير، ٢/ ٣٨.
(٥٥) د. علي، فاضل عبد الواحد، عشتار ومأساة تموز، ص ٥١.
(٥٦) الخازن: أوغاريت، ص ٢٢٠.
(٥٧) كونتنو: الحضارة الفينيقية، ص ١٤٤.
(٥٨) د. جمعة، بديع محمد: فينوس وأدونيس، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١، ص ٤٧.
(٥٩) السواح: لغز عشتار، ص ٨١.
(٦٠) المرجع السابق، ص ١٠٨.
(٦١) المرجع السابق، ص ٢٩.
(٦٢) السواح: مغامرة العقل الأولى، ص ٢٨٣.
(٦٣) السواح: لغز عشتار، ص ٣٣٣.

(٦٤) المرجع السابق، ص ١٤٦ + ٢٦٧.
(٦٥) التوراة، سفر التثنية، ٥: ١٤.
(٦٦) التوراة، نشيد الإنشاد، ٧: ٢.
(٦٧) التوراة، سفر لاويين ٢: ١٦.
(٦٨) المصدر السابق، ٢: ١٦.
(٦٩) د. صالح، عبد العزيز: شبه الجزيرة العربية في المصادر المصرية القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، وزارة الإعلام - الكويت، ص ٣٠١.
(٧٠) لويد، ستين: فن الشرق القديم، ص ١٨٦.
(٧١) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ٨/ ٣٨.
(٧٢) نيلسون، ديتلف: التاريخ العربي القديم، ص ١٦٨.
(٧٣) المرجع السابق، ص ١٦٧ + ١٦٩.
(٧٤) د. عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب، ط١، دار الفارابي، بيروت، ١٩٩٤, ١/ ٣١١.
(٧٥) البداية والنهاية، ط١, ١٩٩٦, ١/ ١٠ وانظر الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان

الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤ , ٢/ ٥٥١ .

(٧٦) الدميري : حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ٥٥١ .

(٧٧) المصدر السابق، ٢/ ٥٥٢ .

(٧٨) المصدر السابق، ١/ ٤١ .

(٧٩) ابن الأثير، أبو الحسن علي : الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٥ , ١/ ٦٥ .

(٨٠) الدميري : حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٤١ .

(٨١) اللسان : " وعل " .

(٨٢) فرانكفورت، هنري : فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، ط٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥، ص ٧٠ .

(٨٣) السواح : مغامرة العقل الأولى، ص ٣٥ .

(٨٤) الماجدي، خزعل : الدين السومري، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ص٥٠ .

(٨٥) فرانكفورت، هنري : ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط ٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٤ .

(٨٦) مازيل، جان : تاريخ الحضارة الفينيقية، ترجمة ربا الخش، دار الحوار، اللاذقية، ١٩٩٧، ص ٣٤ .

(٨٧) د. جمعة، بديع : فينوس وأدونيس، ص ١٧ .

(٨٨) السواح : لغز عشتار، ص ٣٠٥ .

(٨٩) المرجع السابق، ص ٣٣٠ .

(٩٠) السواح : مغامرة العقل الأولى، ص ٢٧٧ .

(٩١) السواح : لغز عشتار ص ٥٠ + ٥١

(٩٢) تقول أسطورة سومرية " وسوف يراك صافي العينين، الجبل الباذخ، الأب إنليل الراعي الذي يقرر المصائر " [كريمر، صموئيل نوح : أساطير العالم القديم، ترجمة أحمد عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص٧٨]، وتقول أسطورة أخرى : " مليكك هو الجبل العظيم الأب إنليل "، السواح : فراس، مغامرة العقل الأولى ص ٤٣، وانظر : بشور، وديع : سومر وأكاد، ص ١٣٧ + ١٣٨ + ٢٤٠ .

(٩٣) كان يشخص جبل صفون نفسه إلها، يقول الإله بعل مخاطباً " عناة " : " تعالي وسوف أكشفها لك في وسط جبلي الإله صفون، في المحراب في جبل ميراثي، في المكان الطيب على تل القوة " [كريمر : أساطير العالم القديم، ص ١٧٦ .

(٩٤) السواح : مغامرة العقل الأولى، ص ٢٢٨ +٢٢٩ .

(٩٥) السواح، فراس : كنوز الأعماق/ قراءة في ملحمة جلجامش، ط ١، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، نيقوسيا/ قبرص، ١٩٨٧، ص ١٤٠ .

(٩٦) د. النعيمي، أحمد إسماعيل : الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٦٥ .

(٩٧) المزمور ١٥ : ٦٨ .

(٩٨) د. نعمة، حسن : ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، ص ٣٧ .

(٩٩) السواح : مغامرة العقل الأولى، ص ٢٧٦ .

(١٠٠) المرجع السابق، ص ٢٧٧ .
(١٠١) المرجع السابق، ص ٢٢٠ ، وانظر : علي، فاضل : عشتار وماساة تموز ص ٥٣ ، والماجدي : الدين السومري، ص ٥٥ + ١٢٥ .
(١٠٢) المرجع السابق، ص ٢٨ .
(١٠٣) ديوانه : تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ ، ص ٥٣ .
(١٠٤) القرشي : جمهرة أشعار العرب، ص ٣٩٦ .
(١٠٥) انظر ديوان أوس بن جحر، تحقيق وشـرح د. محمود يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩ ، ص ٤٢ .
(١٠٦) اللسان : " كور " .
(١٠٧) اللسان : " قور " .
(١٠٨) د. علي، فاضل عبد الواحد : عشتار ومأساة تموز، ص ٥٣ .
(١٠٩) المرجع السابق : هامش ٥ ، ص ٥٣ .
(١١٠) السواح : لغز عشتار، ص ٢٧٨ .
(١١١) فرانكفورت : فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ص ٧١ .
(١١٢) اللسان " وعل " .
(١١٣) المصدر السابق " وعل " .
(١١٤) انظر : ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤ ، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤ ، ص ٢٨ ، وديوان عروة بن الورد، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ت، ص ٦٣ ، وديوان أوس بن حجر ص ١٠٤ ، وديوان الخنساء، دار كرم للطباعة والنشر، دمشق، د.ت، ص ٩٣ .
(١١٥) اللسان " أيل " وورد عجز البيت في ديوانه، تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٢٩٩ برواية " فما وان حتى قاظ وهو زهوم " .
(١١٦) د. الجبوري، يحيى : قصائد جاهلية نادرة، ط١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢ ، ص ١٤١ .
(١١٧) اللسان " بعل " وورد البيت في ديوانه، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط٢ ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧ ، ص ١٦٢ برواية " ظهر نشز " .
(١١٨) ابن هشام : السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الكنوز الأدبية، بيروت، د.ت ١/ ٢٣ .
(١١٩) الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد : مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت، ١٩٧٢ , ١/ ٤٥٩ .
(١٢٠) الدميري : حياة الحيوان الكبرى، ١/ ٤٢ .
(١٢١) الميداني : مجمع الأمثال، ١/ ١٢٦ .
(١٢٢) الجاحظ، أبو عثمان عمر بن بحر : الحيوان، تحقيق : عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦ , ٤/ ٣٥٢ .
(١٢٣) اللسان : " وقل " .
(١٢٤) الجاحظ : الحيوان، ٤/ ٣٥٣ .
(١٢٥) ديوانه، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥ ، ص ٤٥ .

(١٢٦) الأصمعي، عبد الملك بن قريب: الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص ١١٢.
(١٢٧) د. عبد الحافظ، صلاح: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢، هامش ١، ص ٧٥.
(١٢٨) ديوانه، ص ٩٥.
(١٢٩) ديوانه، ص ٢٥٧.
(١٣٠) ديوانه: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧، ص ٦٩ + ٧٠.
(١٣١) المصدر السابق، ص ١٤٤.
(١٣٢) د. نعمة، حسن، ص ٩١.
(١٣٣) فن الشرق الأدنى، ص ٩١.
(١٣٤) د. القمني: الأسطورة والتراث، ص ٢٣٠.
(١٣٥) ديوانه، ص ٢٨٦.
(١٣٦) الجاحظ: الحيوان، ٣/ ٢٣٢.
(١٣٧) المصدر السابق، ٧/ ٤٣.
(١٣٨) المصدر السابق، ٧/ ٣١.
(١٣٩) الشواف: ديوان الأساطير، ٢/ ١٠٠.
(١٤٠) قراءة ثانية لشعرنا القديم، نشر كلية الآداب، الجامعة الليبية. د.ت ص ١٢٥ + ١٢٩.
(١٤١) ديوانه، ص ٢٤ + ٢٦.
(١٤٢) ديوان الهذليين، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥, ١/ ١٣٢+١٣٣.
(١٤٣) ديوانه، تحقيق د. إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢، ص ٣١.
(١٤٤) المصدر السابق، ص ٨٨.
(١٤٥) ديوانه، ص ٣١.
(١٤٦) ديوان الهذليين، ٣/ ٦٢.
(١٤٧) الجبوري: قصائد جاهلية نادرة، ص ١٢٥.
(١٤٨) ديوان الهذليين، ١/ ٤٨+٤٩.
(١٤٩) السواح: لغز عشتار، ص ٢٨٨.
(١٥٠) الماجدي: الدين السومري، ص ١٤٢.
(١٥١) ديوان الهذليين، ١/ ٢٤١.
(١٥٢) ديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٤، ص ١٥١.
(١٥٣) الماجدي: الدين السومري، ص ٤٨.
(١٥٤) د. الحافظ، صلاح: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، ص ٧٦.
(١٥٥) المرجع السابق، ص ٧٦أ.
(١٥٦) ديوانه، ص ٥٧.

(١٥٧) الماجدي: الدين السومري، ص ٨٦.
(١٥٨) علي، فاضل عبد الواحد: عشتار وماساة تموز، ص ١٨٢.
(١٥٩) السواح: مغامرة العقل الأولى، ص ٢٨٢.
(١٦٠) مختارات ابن الشجري، ص ١٠٥+١٠٦.
(١٦١) د. القيسي، نوري حمودي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط ١، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد، ١٩٧٠، ص ١٦٥.
(١٦٢) ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم: كتاب المعاني الكبير، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤, ٢/ ٧٢٨.
(١٦٣) اللسان " أبد ".
(١٦٤) الضبي، المفضل: المفضليات، ط ٣، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٤، ص ٢٢٨.
(١٦٥) القرشي، أبو زيد: جمهرة أشعار العرب، ص ٣٣١.
(١٦٦) ديوانه، ص ١٠٣، ومختارات ابن الشجري، ص ٦٨.
(١٦٧) ديوانه، دار القاموس الحديث، بيروت، ١٩٦٨، ص ٨٥+٨٦، وانظر ديوان الهذليين ١/ ٢١٨/ -٢١٩، وديوان عمرو بن قميئة، ص ٥٤ + ٨٩، وديوان أمية بن أبي الصلت، ص ٧٠.
(١٦٨) القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق: العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢، ص ١٥٠.
(١٦٩) ديوان الهذليين، ٢/ ٦٣.
(١٧٠) المصدر السابق، ٢/ ٥٢-٥٥.
(١٧١) المصدر السابق، ١/ ٢٤٠.
(١٧٢) المصدر السابق، ١/ ١٩٣.
(١٧٣) د. عبد الحافظ، صلاح: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، ص ٦٩.
(١٧٤) الجاحظ: الحيوان، ٤/ ١١٨.
(١٧٥) د. القمني: الأسطورة والتراث، ص ٢٢٨.
(١٧٦) السواح: لغز عشتار، ص ١٣٦.
(١٧٧) المرجع السابق، ص ١٣٦.
(١٧٨) أبو يحيى، أحمد إسماعيل: الحية في التراث العربي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت، ص ١٨٦.
(١٧٩) فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز ص ٧٧-٨٠.
(١٨٠) السواح: لغز عشتار، ص ١٤٠.
(١٨١) أبو يحيى، أحمد: الحية في التراث العربي، ص ١٧٧.
(١٨٢) الجاحظ: الحيوان ٦/ ٣٤.
(١٨٣) المصدر السابق والصفحة السابقة.
(١٨٤) نيلسون، ديتلف: التاريخ العربي القديم، ص ١٦٧.
(١٨٥) الجاحظ الحيوان ٣/ ٤٩٨.
(١٨٦) المصدر السابق، ٣/ ٤٩٧+٤٩٨.

(١٨٧) العقاد، محمود عباس: إبليس، كتاب الهلال، القاهرة، رقم ١٩٢، ص ٨٩.
(١٨٨) الدميري: حياة الحيوان الكبرى، ١/ ١٨٣.
(١٨٩) فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ص ٣٥.
(١٩٠) السواح: لغز عشتار، ص ٢٧٧.
(١٩١) الماجدي: الدين السومري، ص ١٣٤+١٤٢.
(١٩٢) الجاحظ: الحيوان، ٢/ ٢٤٧.
(١٩٣) علي، فاضل عبد الواحد: عشتار ومأساة تموز، ص ٢٩.
(١٩٤) فريزر، جيمس: أدونيس أو تموز، ص ١٩.
(١٩٥) بشور: سومر وأكاد، ص ١٨٦.
(١٩٦) فريزر: أدونيس أو تموز، ص ١٧٤.
(١٩٧) الماجدي: الدين السومري، ص ١٦٦.
(١٩٨) برستد، جيمس هنري: فجر الضمير، ترجمة د. سليم حسن، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧، ص ١١١.
(١٩٩) فريحة، أنيس: ملاحم واساطير من أوغاريت، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠، ص ١٥٧.
(٢٠٠) التوراة، المزمور: ١: ٤٢.
(٢٠١) الأبشهي، شهاب الدين بن محمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت ١٩٨٢، ص ٣٤٢.
(٢٠٢) القالي، أبو علي: الأمالي، تحقيق، محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتاب العربي، بيروت، د.ت، ٢٥/ ٢٥١.
(٢٠٣) ديوانه، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥، ص ٢٠٣.
(٢٠٤) ابن قتيبة: كتاب المعاني الكبير، ٢/ ٧٣١.
(٢٠٥) ديوان الهذليين، ٢/ ٦٣، وانظر أبيات مالك بن خالد الخناعي، ديوان الهذليين ٣/ ٢.
(٢٠٦) اللسان " روى ".
(٢٠٧) الشواف: ديوان الأساطير ٢/ ٩٤.
(٢٠٨) المرجع السابق، ٢/ ٨٩.
(٢٠٩) اللسان " روى "
(٢١٠) ديوانه، ص ٣٨٤+٣٨٥.
(٢١١) ديوانه، ص ٢٣١.
(٢١٢) الجاحظ، : الحيوان، ٤/ ٤٦٦، وانظر: المرزوقي، أبو علي: الأزمنة والأمكنة، مطبعة مجلس دار المعارف، حيدر أباد – الهند، ١٣٣٢هـ، ٢/ ١٢٣، والآلوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، مطبعة دار السلام، بغداد، ١٣١٤هـ، ٢/ ٣٠١.
(٢١٣) فريزر: أدونيس أو تموز، ص ١٨.
(٢١٤) المرجع السابق، ص ٢٦.
(٢١٥) اللسان " وعل "
(٢١٦) موسوعة الغد، عالم الحيوان، ٢/ ٥٠١.

(٢١٧) مختارات ابن الشجري، ص ١٠٦ .
(٢١٨) اللسان " سود "
(٢١٩) انظر أسطورة زواج إنليل من سود الجملية الشواف : ديوان الأساطير ، ١/ ٤٩ .
(٢٢٠) باقر، طه : ملحمة جلجامش، منشورات وزارة الإعلام العراقية، بغداد ١٩٨٠ ، ص ١٠٨+١٠٩ .
(٢٢١) الماجدي : الدين السومري، ص ١٤١ .
(٢٢٢) الحوراني : البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الآسيوي القديم، ص ٢١٥ .
(٢٢٣) بشور : سومر وأكاد، ص ٢٠٢ .
(٢٢٤) الشواف : ديوان الأساطير ، ١/ ١٢٤
(٢٢٥) حياة الحيوان الكبرى، ٢/ ٥٥١ .
(٢٢٦) الجاحظ : الحيوان، ٦/ ٤٥٨ .
(٢٢٧) اللسان " أول "
(٢٢٨) د. عوض، ريتا : بنية القثصيدة الجاهلية، ط ١ ، دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢ ، ص ٢٣٨ .
(٢٢٩) ديوانه : تحقيق صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ ، ص٣١٩+٣٢٠ .
(٢٣٠) السواح : لغز عشتار، ص ١٨٢ .
(٢٣١) باقر، طه : ملحمة جلجامش، ص ١٠٩-١١١ .
(٢٣٢) الشواف : ديوان الأساطير ، ٣/ ٢٤٢ .
(٢٣٣) السواح : لغز عشتار، ص ٢٩٤ .
(٢٣٤) السواح : لغز عشتار، ص ٢٥٨ ، وانظر المشهدين في الصفحة نفسها .
(٢٣٥) التبريزي، أبو زكريا الشيباني : شرح المفضليات، تحقيق علي محمد البخاري، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د.ت، ٢/ ٧٠٨ .
(٢٣٦) د. الحوفي، أحمد محمد : الغزل في العصر الجاهلي، ط ٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣ ، ص ٦٢ .
(٢٣٧) الشواف : ديوان الأساطير ، ٣/ ٢٧٩ .
(٢٣٨) التبريزي : شرح المفضليات، ٢/ ٧٠٨ .
(٢٣٩) الشواف : ديوان الأساطير ، ٣/ ٢٧٩ .
(٢٤٠) ديوانه : تحقيق، عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٥١ ، ص٩١ .
(٢٤١) ديوانه، ص ٩٦ .
(٢٤٢) ديوانه، ص ١٢٢ .
* هذا الفراغ موجود في الأصل لم يهتد المحقق إلى سده .
(٢٤٣) ديوانه، صنعه وحققه د. يحيى الجبوري، ط ١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١ ، ص ٩١ ، والأصمعيات، ص ٢٠٥ .
(٢٤٤) ديوانه، ص ١٨١ .
(٢٤٥) السواح : لغز عشتار، ص ٢٥٢ .
(٢٤٦) ديوانه، شرح أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار المعرفة، بيروت، د.ت، ٣/ ٣١٧+٣١٨ .

المصادر المراجع

- القرآن الكريم.
- الكتاب المقدس / العهد القديم والعهد الجديد.
- الألوسي، محمود شكري: بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.
- الإبشيهي، شهاب الدين بن محمد: المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، ١٩٨٢م.
- ابن الأثير، أبو الحسن علي: الكامل في التاريخ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٥م.
- الأصمعي، عبد الملك بن قريب: الأصمعيات، تحقيق أحمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.
- الأعشى الكبير، ميمون بن قيس: ديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤م.
- امرؤ القيس: ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤م.
- أمية بن أبي الصلت: ديوانه، تحقيق سيف الدين الكاتب وأحمد عصام الكاتب، دار مكتبة الحياة، بيروت، د. ت.
- أوس بن حجر: ديوانه، تحقيق وشرح د. محمد يوسف نجم، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- باقر، طه: ملحمة جلجامش، منشورات وزارة الأعلام العراقية، بغداد، ١٩٨٠م.
- برستيد، جيمس هنري، فجر الضمير، ترجمة د. سليم حسن، مكتبة مصر، القاهرة، ١٩٧٧م.
- بشر بن أبي خازم الأسدي: ديوانه، تحقيق د. عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٩٥م.
- بشور، وديع: سومر و أكاد، دمشق، ١٩٨١م.
- بوتيروا، جان: الديانة عند البابليين، ترجمة وليد الجاد، منشورات جامعة بغداد، ١٩٧٠م.
- تأبط شراً، ديوانه، تحقيق طلال حرب، ط١، دار صادر بيروت، ١٩٩٦م.
- التبريزي، أبو زكريا الشيباني: شرح المفضليات، تحقيق على محمد البخاري، دار النهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، د. ت.
- الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر: الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٦م.
- د. الجبوري، يحيى: قصائد جاهلية نادرة، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢م.
- د. جمعة، بديع محمد: فينوس وأدونيس، الدار النهضة العربية، بيروت، ١٩٨١م.
- حميد بن ثور الهلالي: ديونه، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٧٣م.
- الحوراني، يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٨م.
- د. الحوفي، أحمد محمد: الغزل في العصر الجاهلي، ط٣، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٣م.
- الخازن، نسيب وهيبة: أوغاريت، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦١م.

- الخنساء: ديوانها، دار كرم للطباعة والنشر، دمشق، د.ت.
- الدميري، كمال الدين محمد بن موسى: حياة الحيوان الكبرى، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- روكينغ، بوب: قاموس الآلة والأساطير، تعريب محمد وحيد خياطة، دار مكتبة سومر، حلب، ١٩٨٧م.
- سحيم عبد بني الحسحاس: ديوانه، تحقيق عبد العزيز الميمني، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٥م.
- سلامة بن جندل: ديوانه، تحقيق د. فخر الدين قباوة، ط٢، دار الكتب العليمة، بيروت، ١٩٨٧.
- السواح، فراس: =كنوز الأعماق/ قراءة في ملحمة جلجماش ط١، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، نيقوسيا/ قبرص، ١٩٨٧م.
- = لغز عشتار، الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ١٩٩٦م.
- = مغامر العقل الأولى، ط١، دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠م.
- د. سوسة، أحمد: تاريخ حضارة وادي الرافدين، دار الحرية، بغداد، ١٩٨٣م.
- ابن الشجري: مختارات ابن الشجري، تحقيق محمود حسن زناتي، ط١، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٥٢م.
- الشماخ: ديوانه: تحقيق وشرح صلاح الدين الهادي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- الشواف، قاسم: ديوان الأساطير، ط١، دار الساقي، بيروت، ١٩٩٦م.
- د. صالح، عبد العزيز: شبه جزيرة العرب في المصادر القديمة، مجلة عالم الفكر، المجلد الخامس عشر، العدد الأول، وزارة الإعلام، الكويت، ١٩٨٤م.
- الضبي، المفضل: المفضليات، ط٣، تحقيق أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة ١٩٦٤.
- عامر بن الطفيل: ديوانه، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، ١٩٧٩م.
- العباس بن مرداس: ديوانه، صنعه وحققه د. يحيى الجبوري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩١م.
- د. عبد الحافظ، صلاح: الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٢م.
- عبودي، هنري: معجم الحضارات السامية، ط٢، جروس برس، طرابلس/ لبنان، ١٩٩١م.
- د. عجينة، محمد: موسوعة أساطير العرب، ط١، دار الغارابي، بيروت، ١٩٩٤م.
- عروة بن الورد: ديوانه، تحقيق كرم البستاني، دار صادر، بيروت، د.ت.
- العقاد، عباس محمود: إبليس، كتاب الهلال، القاهرة رقم ١٩٢.
- د. علي، جواد: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٠م.
- د. علي، فاضل عبد الواحد: عشتار ومأساة تموز، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦م.
- عمرو بن قميئة: ديوانه، تحقيق خليل إبراهيم العطية، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٢م.
- د. عوض، ريتا: بنية القصيدة الجاهلية، ط١ دار الآداب، بيروت، ١٩٩٢م.
- الغول، عمر: أوجاريتيات، دار الأمل للنشر التوزيع، إربد، ١٩٩٧م.
- فرانكفورت، هنري: = فجر الحضارة في الشرق الأدنى، ترجمة ميخائيل خوري، ط٢، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٦٥م.
- = ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٢، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،

١٩٨٢م .
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد : معجم العين، تحقيق د . حمدي المخزومي ود . إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم والفهارس، دار مكتبة الهلال، بغداد، د . ت .
- فريحة، أنيس : ملاحم وأساطير من أوغاريت، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٨٠م .
- فريزر، جيمس، أدونيس أو تموز، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا، ط٣، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٢م .
- القالي، أبو علي : الأمالي، تحقيق محمد عبد الجواد الأصمعي، دار الكتاب العربي، د . ت .
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم : كتاب المعاني الكبير، ط ١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٤م .
- القرشي، أبو زيد، محمد بن الخطاب : جمهرة أشعار العرب، شرح وضبط علي فعور، ط٢، دار الكتب العليمة، بيروت، ١٩٨٢م .
- القزويني، زكريا بن محمد : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، المكتبة الأموية، دمشق، د . ت .
- د . القمني، سيد محمود : الأسطورة والتراث، ط٢، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٣م .
- القيرواني، أبو علي الحسن بن رشيق، العمدة في محاسن الشعر و آدابه ونقده، نحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م .
- د . القيسي، نوري حمودي : الطبيعة في الشعر الجاهلي، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م .
- ابن كثير، أبو الفداء : البداية والنهاية، ط١، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٦م .
- كريمر، صمويل نوح : أساطير العالم القديم . ترجمة أحمد عبد الحميد يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤م .
- كعب بن زهير : ديوانه، دار القاموس الحديث، بيروت، ١٩٦٨م .
- كنتينو : الحضارة الفينيقية، ترجمة د . محمد عبد الهادي شعيرة، شركة مركز كتب الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٨٤م .
- لبيد بن ربيعة : ديوانه، تحقيق د . إحسان عباس، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م,
- لويد، ستين : فن الشرق الأدنى القديم، ترجمة محمد درويش، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد ١٩٨٨م .
- الماجدي، خزعل : = أديان ما قبل التاريخ، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان ١٩٩٧م .
- = الدين السومري، ط١، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨م .
- مازيل، جان : تاريخ الحضارة الفينيقية، ترجمة ربا الخش، دار الحوار اللاذقية، ١٩٩٧م .
- المتنبي، أبو الطيب : ديوانه، شرح، أبي البقاء العكبري، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، بيروت، د، ت .
- المرزوقي، أبو علي : الأزمنة والأمكنة، مطبعة مجلس دار المعارف، حيدر أباد، الهند، ١٣٣٢هـ .
- د . المطلبي، عبد الجبار : مواقف في الأدب والنقد، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨٠م .
- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم : لسان العرب، دار صادر، بيروت، د . ت .
- ميخائيل، نجيب : مصر والشرق الأدنى القديم، ط١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١م .
- موسكاتي، سبتينو : الحضارات السامية، ترجمة السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي للطباعة، القاهرة، ١٩٥٧م .
- الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد : مجمع الأمثال، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر،

بيروت، ١٩٧٢م.
- النابغة الزيباني: ديوانه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧م.
- د. ناصف، مصطفى: قراءة ثانية لشعرنا القديم، نشر كلية الآداب، الجامعة الليبية، د. ت.
- د. نعمة، حسن: ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة، دار الفكر اللبناني بيروت، ١٩٩٧م.
- د. النعيمي، أحمد إسماعيل: الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام، ط١، سينا للنشر، القاهرة، ١٩٩٥م.
- النمر بن تولب: ديوانه
- نيلسون، ديتلف: التاريخ العربي القديم، ترجمة د. حسنين علي، مطبعة لجنة البيان العربي، القاهرة، د. ت.
- الهندليون: الديوان، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٦٥م.
- ابن هشام، عبد الملك: السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، دار الكنوز الأدبية، بيروت، د. ت.
- أبو يحيى، أحمد إسماعيل: الحية في التراث العربي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.

المشكلات التي تواجه سائقي السيارات العمومية لنقل الركاب في محافظة نابلس خلال انتفاضة الأقصى

أ.د.جودت أحمد سعادة*

د.روحي مروح عبدات**

د.زهدي نديم طبيلة***

د.اسماعيل جابر أبو زيادة****

* كلية العلوم التربوية، جامعة ا لنجاح الوطنية
** مرشد تربوي/نابلس
*** مرشد تربوي/ نابلس
**** محلل احصائي ومدرب معلمين/ نابلس

ملخص البحث

هدفت هذه الدراسة إلى تعرّف المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي العاملين على الخطوط الخارجية في محافظة نابلس الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى في ضوء خمسة متغيرات : الحالة الإجتماعية ، وعدد الأفراد المعالين ، والعمر ، والمستوى التعليمي ، وخط سير السيارة . وقد تم تطوير استبانة مؤلفة من خمسين فقرة لقياس المشكلات التي تواجه هؤلاء السائقين ، وذلك بعد تحكيمها وإخراج معامل الثبات لها باستخدام معادلة كرونباخ ألفا ، حيث بلغ معامل الثبات (٩٢ , ٠) . وقد تم توزيع هذه الإستبانة على (٢١٣) من السائقين .

ولاختبار أسئلة الدراسة وفحص فرضياتها ، فقد تم استخراج المتوسطات الحسابية والنسب المئوية ، واستخدام اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين ، واختبار تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA ، واختبار (شفيه) Scheffe Test للمقارنات البعدية .

وقد أظهرت النتائج وجود العديد من المشكلات التي تواجه السائقين مثل المشكلات الأمنية والمادية والعائليةومشكلات الركاب ومشكلات الطرق الخارجية . كما تبين وجود فروق تعرّف إلى المشكلات تعزى إلى متغير الحالة الإجتماعية (أعزب ، متزوج) ولصالح السائق الأعزب ، وللعمر (أقل من ٣٠ سنة ، من ٣٠ إلى اقل من ٤٠ سنة ، ٤٠ سنة فأكثر) ولصالح السائق الذي يقل عمره عن ٣٠ سنة ، وللمستوى التعليمي (ابتدائي ، إعدادي ، ثانوي ، أعلى من الثانوية العامة) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي والإعدادي .

كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق في استجابات السائقين على الدرجة الكلية لأبعاد المشكلات تعزى لمتغير عدد الأفراد المعالين (٤ أشخاص فأقل ، من ٥ - ٨ أشخاص ، ٩ أشخاص فأكثر) بينما كانت هناك فروق في استجاباتهم على بعد المشكلات الأمنية ولصالح السائقين الذين يعيلون (٤) أشخاص فأقل . وأظهرت أيضاً عدم وجود فروق في استجابات السائقين على الدرجة الكلية لأبعاد المشكلات تعزى لمتغير خط سير السيارة (من مدينة إلى مدينة أخرى ، ومن قرية إلى مدينة) بينما كانت هناك فروق في استجاباتهم على بعد مشكلات الركاب ولصالح السائق الذي يعمل على خط سير من مدينة إلى قرية ، وبعد المشكلات العائلية ولصالح السائق الذي يعمل على خط سير من مدينة إلى مدينة أخرى .

Abstract

The purpose of the study was to define the problems facing taxi drivers in Nablus district during Al-Aqsa Intifada in the light of five variables : social status, family size, age, educational level and driving route .

The researchers have developed a questionnaire of (50) items dealing with different problems facing taxi drivers . Twenty two specialists approved its validity as a jury . The reliability of the questionnaire has been calculated by using Cronbach Alpha formula and it was 0.92 .

The sample of the study consisted of (213) taxi drivers in Nablus district.

To test the hypotheses of the study, the researchers used means, percentages, independent "t" test, One Way ANOVA and Scheffe test .

The results showed that taxi drivers faced many problems during Al-Aqsa Intifada such as security problems, economic problems, family problems, passanger problems and problems related to the out city roads .

Results also showed that there were statistical differences related to social status in favour of single drivers, and to the age variable in favour of those who were thirty years old or less, and to the educational level in favour of drivers who finished tenth grade or less .

In the same time there were no statistical differences in drivers responses on the total degree of the four dimensions of drivers problems due to the family size variable, in favour of those who had four children or less, and due to the drivers route in favour of those who travelled from city to another.

المشكلات التي تواجه سائقي السيارات العمومي لنقل الركاب في محافظة نابلس خلال انتفاضة الأقصى

مقدمة الدراسة ومشكلتها

لقد تعرض شعبنا العربي في فلسطين خلال انتفاضة الأقصى التي انطلقت في الثامن والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) من عام ٢٠٠٠م، إلى مختلف صنوف البطش والتنكيل من جانب سلطات الإحتلال الإسرائيلي، تمثلت بسياسة منظمة من الحصار الجماعي والتجويع والقتل ونسف البيوت وقطع الأشجار، إضافة إلى تقطيع أوصال الوطن، وعزل القرى والمدن الفلسطينية عن بعضها ليتسنى لسلطات الإحتلال الإنفراد بالمناضلين وقتلهم أو إصابتهم أو اعتقالهم، حتى أصبحت عملية السفر والتنقل من مكان إلى آخر تنطوي على مخاطر لا تحمد عقباها.

إلا أن ذلك كله قد جوبه بإرادة قوية منقطعة النظير من جانب فئات الشعب الفلسطيني كافة، والتي أكسبتها التجربة النضالية الإصرار على مواجهة العدو الغاصب واختراق كل سياسات الحصار الجغرافي، وكسر الطوق الإقتصادي المفروض على المدن والقرى الفلسطينية.

وفي خضم هذا الوضع الصعب، وفي ظل قدرات الشعب الفلسطيني المتواضعة، وهو ما زال في المراحل الأولى من بناء دولته المنشودة، فقد تضررت كافة قطاعاته وقواه جراء عنجهية الإحتلال، الذي حاول جاهداً وبشتى الوسائل والطرق إخماد جذوة انتفاضة الأقصى المشتعلة. وكان من بين القطاعات المتضررة وبدرجة كبيرة سائقي سيارات نقل الركاب العمومي الذين يعملون على الخطوط الخارجية بين القرى والمدن الفلسطينية، الذين أصروا على أن يكونوا دوماً في خط المواجهة من أجل تحطيم الحصار المفروض، وتخطي جميع العوائق والحواجز التي وضعتها أمامهم سلطات الإحتلال، وبالتالي إفشال مخططاتهم الرامية إلى عزل المناطق الفلسطينية وتحويلها إلى سجون جماعية كبيرة.

ولقد لجأ السائقون في ظل هذه الظروف الصعبة إلى سلوك طرق وعرة وخطيرة، وإلى تخطي السواتر الترابية، والسياقة في الطرق الإلتفافية الخاصة بالمستوطنات، رغم التهديدات

المتكررة من جانب الجيش الإسرائيلي وقطعان مستوطنيه، وذلك إصراراً من هؤلاء السائقين على ربط أوصال الوطن الفلسطيني المقطوعة وخدمة مصالح الركاب المختلفة.

ومن المعروف أن إجراءات سلطات الإحتلال القمعية هذه قد دعت السائقين إلى الإضطرار للسير مسافات طويلة عبر طرق غير معتادة، من أجل تجنب الخنادق والأتربة والمواقع العسكرية، والإنتظار لفترات طويلة على الحواجز الإسرائيلية، والتعرض للإهانات، والوقوف تحت أشعة الشمس اللافحة أو المطر الشديد لفترات غير محدودة، وأحياناً اللجوء إلى السير على الطرق الإلتفافية للمستوطنات الإسرائيلية، التي تكون محفوفةً بالمخاطر الجمة، أو سلوك الطرق الترابية الوعرة بين القرى للوصول إلى المدن الرئيسية الفلسطينية.

ولا شك أن الطرق الطويلة والترابية الوعرة ترهق السائق جسدياً ونفسياً، إضافة إلى كثرة الأعطال الميكانيكية التي تلحق الأذى بسيارته، هذا ناهيك عن قلق السائق المستمر وتخوفه في فصل الشتاء من سقوط الأمطار والتزحلق، ووجود الضباب الكثيف الذي يحجب الرؤية على قمم الجبال، في طرق تخلو من إشارات المرور وغير متوفر فيها أدنى مواصفات السلامة العامة، إضافة إلى الغبار أو التراب الكثيف الذي يكسو السيارة ويغمرها من كل جانب متسرباً بين الحين والآخر داخل السيارة، تحت وطأة حرارة الجو في فصل الصيف، مما يزيد من مشكلات السفر والتنقل طيلة فصول السنة.

إن الطرق الملتوية التي يقود فيها السائق الفلسطيني، والتي تكون مليئة بالمطبات، عدا عن كثرة الشوارع الضيقة التي يضطر السائق المرور بها داخل القرى والمخيمات، والتي تكون مزدحمة بالسيارات والمارة، قد جعلت من الوقت المطلوب للوصول إلى مدينة أخرى طويلاً، مما يؤدي إلى حدوث توتر وقلق مستمرين لكل من السائق والمسافر على حد سواء.

وخلال هذه المعادلة الصعبة والوضع الجديد الذي فرضته قوات الإحتلالً، والذي أوجد آليات جديدة لدى السائقين من أجل التكيف مع أجواء انتفاضة الأقصى، فقد جعل هذا كله السائقين عرضة لمشكلات عديدة لم تكن معهودة لديهم من قبل، حيث تعرض العديد منهم لإطلاق النار والإستشهاد أو الإصابة، والضرب وتكسير زجاج السيارات أو أجزاء من هيكلها الخارجي، والمنع من سلوك الطرق العادية والتعرض للمخاطر عند سلوك الطرق الإلتفافية الخاصة بالمستوطنات. كما أدت صعوبة الأوضاع أيضاً إلى قلة عدد الركاب الذين يتنقلون بين القرى والمدن المختلفة نتيجة لسوء الأوضاع الأمنية وخطورة التنقل، مما ينعكس سلباً على الناحية الإقتصادية للسائق، الذي تعدّ هذه المهنة مصدر رزقه الوحيد ورزق عائلته. كل

ذلك دعا السائق إلى ضرورة التفكير ملياً في جدوى هذه المهنة من الناحية الإقتصادية، وإيجاد بديل عنها أقل خطورة، خاصة بعد الضغوط العائلية التي يتعرض لها السائق من جانب أسرته من أجل ترك هذه المهنة الخطرة.

وتختلف المشكلات التي يتعرض لها السائق خلال انتفاضة الأقصى من حيث الدرجة والنوع والحدة بالمقارنة مع المشكلات التي كان قد تعرض لها قبل الإنتفاضة، لذلك فإن التركيز على الخصائص السيكولوجية التي ينبغي أن يتمتع بها السائق في الإنتفاضة لهو أحوج بكثير من ذي قبل، وذلك نظراً لأن تمتع السائق بتلك الخصائص سوف يساعده على التكيف مع المشكلات اليومية التي يتعرض لها.

وقد لخص أبو النيل مجموعة من الخصائص والقدرات المطلوبة للنجاح في مهنة السياقة تتمثل في الآتي:

١ - السمات السيكولوجية التي تتضمن عدم التقلب المزاجي، والثبات الإنفعالي والقدرة على ضبط النفس عند التعرض للمواقف الصعبة وحسن التصرف في الوقت المناسب، واللباقة في التعامل مع المسافرين، والقدرة على امتصاص غضبهم، إضافة إلى الثقة بالنفس والإتصاف بالروح المعنوية المرتفعة.

٢ - القدرات الجسمية والعقلية التي تتعلق بالإنتباه واليقظة المستمرة، والتركيز وسط أشياء مشتتة، والذكاء العام وسرعة البديهة، والتآزر بين حركة العينين واليدين والقدمين، إضافة إلى حدة كل من حاستي السمع و البصر.

٣ - القدرات المهنية التي تتمثل في الإلمام بالمعلومات الميكانيكية والكهربائية الخاصة بتحديد الأعطال في السيارة، والإلمام بمكونات وأجهزة وآلات السيارة وكيفية عمل وأهمية كل منها، من أجل المساعدة في مواجهة الطوارئ والأعطال الخفيفة العابرة، والمعرفة بأنواع الزيوت والوقود المختلفة معرفة بسيطة حتى يتمكن من التصرف ضمن هذه المعلومات، وكذلك الإلمام بطريقة استخدام مضخة الحريق، ومعرفته بالشوارع والمداخل الفرعية الموجودة في المنطقة التي يمر بها.

٤ - القدرات العلمية التي تتلخص في القدرة على القراءة والكتابة لما تتطلبه هذه الوظيفة من معرفة السائق بالأرقام للدلالة على الشوارع، وقراءة اللافتات التي ترشد إلى الأماكن، إضافة إلى معرفة إشارات المرور، والسير بموجب خرائط الطرق المتعلقة بالسفر (أبو النيل، ١٩٨٥).

هذا ويتلقى سائقو السيارات العمومي لنقل الركاب في ظل وجود السلطة الوطنية الفلسطينية دورة تدريبية شاملة، تتضمن مواد نظرية وعملية تشمل مواضيع متعددة منها (تعرّف المركبة ميكانيكياً، والإلمام بجغرافية فلسطين، وبقوانين السير، وخطوات إطفاء الحريق، ومبادئ الإسعاف الأولي، وآداب وسلوكيات مهنة السياقة) ويتم ذلك من جانب مدربين متخصصين في كليات تعليم أساسيات مهنة السياقة التابعة للسلطة الوطنية الفلسطينية (كلية الشهيد أبو جهاد، ٢٠٠١).

ويتعرض السائق أثناء قيادته للسيارة لمثيرات خارجية مختلفة تشكل خطورةً عليه أهمها: الإهتزازات والضوضاء، والتعرض لدرجات إضاءة مختلفة أثناء الليل، والتقلبات الجوية، والسير لساعات طويلة دون راحة، مما ينجم عنه أمراض يكون السائق عرضة لها مثل الروماتزم وآلام الظهر، وضغط الدم، وأمراض العيون، والصداع، وآلام الرأس، وأمراض الجهاز التنفسي والأمعاء، والأمراض العصبية (طبيله، ١٩٩٨).

ويرى القائمون على الدراسة الحالية أن تقصي المشكلات التي يتعرض لها سائقو سيارات نقل الركاب العمومي - الخطوط الخارجية خلال انتفاضة الأقصى، يمثل مطلباً وطنياً وحضارياً وبحثياً، نظراً لما قدمته هذه الفئة وتقدمه من جهود جبارة في سبيل اختراق سياسة العزل الجماعي التي اتبعتها سلطات الإحتلال الإسرائيلي، حيث كانت فئة السائقين دوماً في الخنادق الأولى من خطوط المواجهة، وإن التعرف على المشكلات التي واجهتهم من شأنه أن يدفع المسؤولين باتجاه اتخاذ الإجراءات الكفيلة للتقليل من حدة هذه المشكلات، والتخفيف عن السائق الذي كان ضحية للأوضاع الإقتصادية والأمنية السيئة.

هذا ويعتبر تسليط الضوء على هذه المشكلات أيضاً من الأهمية بمكان كي يضع كثير من المسؤولين في كليات تدريب سائقي السيارات العمومي أمام مسؤولياتهم في إعداد خطط تدريبية أكثر عمقاً وجدية، بما يتناسب مع الأوضاع التي يمر بها الشعب الفلسطيني خلال انتفاضة الأقصى، من أجل أن يصبح سائقو سيارات نقل الركاب العمومي أهلاً لما يواجهونه من مصاعب ومخاطر على الطرق، والتصدي لها بكل حزم وشجاعة ومسؤولية ودقة، واتباع أسس السياقة الصحيحة في كل الظروف، والتصرف السليم إزاء ما تتعرض له السيارة وركابها من أخطار في الوقت المناسب، وهذا ما ركزت عليه الدراسة الحالية.

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة الحالية إلى تحقيق الأهداف الآتية :

١ . التعرف على أهم المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي الذين يعملون على الخطوط الخارجية في محافظة نابلس الفلسطينية، نتيجة لسياسات القمع الإسرائيلي خلال أحداث انتفاضة الأقصى .

٢ . تحديد دور كل من متغيرات (الحالة الإجتماعية، وعدد الأفراد المعالين، والعمر، والمستوى التعليمي، وخط سير السيارة) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي ــ الخطوط الخارجية ــ خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس .

أسئلة الدراسة:

حاولت الدراسة الحالية الإجابة عن الأسئلة المهمة الآتية :

١ . ما أهم المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس نتيجة سياسات القمع الإسرائيلي ؟ .

٢ . هل للحالة الإجتماعية (أعزب، متزوج) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس، والناجمة عن سياسات الحصار الجماعي والإغلاق الإسرائيلية ؟ .

٣ . هل لعدد الأفراد المعالين (٤ أشخاص فأقل، ومن ٥ – ٨ أشخاص، و٩ أشخاص فأكثر) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس نتيجة ممارسات جيش الإحتلال الإسرائيلي ؟ .

٤ . هل للعمر (أقل من ٣٠ سنة، ومن ٣٠ إلى اقل من ٤٠ سنة، و٤٠ سنة فأكثر) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس نتيجة الممارسات التعسفية الإسرائيلية ؟ .

٥ . هل للمستوى التعليمي (ابتدائي، وإعدادي، وثانوي، وأعلى من الثانوية العامة) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس بسبب الممارسات الإسرائيلية القمعية ؟ .

٦ . هل لخط سير السيارة (من مدينة إلى مدينة أخرى، ومن قرية إلى مدينة) دور في التعرف

إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس نتيجة لسياسات جيش الإحتلال الإسرائيلي ؟ .

فرضيات الدراسة:

لقد انبثقت عن أسئلة الدراسة السابقة الفرضيات الخمس الآتية :

١ . لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥). في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم، تعزى لمتغير الحالة الإجتماعية .

٢ . لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم، تعزى لمتغير عدد الأفراد المعالين .

٣ . لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم، تعزى لمتغير العمر .

٤ . لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم، تعزى لمتغير المستوى التعليمي .

٥ . لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم، تعزى لمتغير خط سير السيارة .

أهمية الدراسة:

ترجع أهمية الدراسة الحالية في كونها :

١ . الأولى في فلسطين التي تسلط الضوء على المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي ولا سيما خلال انتفاضة الأقصى (على حد علم القائمين على هذه الدراسة) .

٢ . الإلمام بالمشكلات التي ظهرت لدى سائقي سيارات نقل الركاب العمومي – الخطوط

الخارجية – خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس جراء سياسة الحصار الجماعي التي تنتهجها قوات الإحتلال الإسرائيلي .

٣ . معرفة دور المتغيرات التي تتناولها الدراسة مثل الحالة الإجتماعية ، وعدد الأفراد المعالين ، والعمر ، والمستوى التعليمي ، وخط سير السيارة ، في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي العاملين على الخطوط الخارجية بين القرى والمدن الفلسطينية في محافظة نابلس .

٤ . من الممكن لنتائج هذه الدراسة أن تساعد من الناحية النظرية في التعرف إلى المشكلات العديدة التي تواجه سائقي سيارات النقل العمومي خلال انتفاضة الأقصى ، وبالتالي وضع آليات دقيقة للتغلب عليها . أما من الناحية التطبيقية فإنه يمكن للمسؤولين في وزارة المواصلات الفلسطينية والمسؤولين عن تدريب السائقين وتأهيلهم ، الإفادة من نتائجها في وضع البرامج العلاجية الشافية لهذه المشكلات أو التخفيف من حدتها على الأقل ، مما يتوقع أن يؤثر إيجاباً على سلوك هؤلاء السائقين ومعنوياتهم وأنشطتهم .

التعريفات الإجرائية:

فيما يلي عرض لأهم مصطلحات الدراسة التي تحتاج إلى تعريف وتوضيح وهي كالآتي :

انتفاضة الأقصى: وهي عبارة عن هبة جماهيرية فلسطينية بدأت في ٢٨/ ٩/ ٢٠٠٠ م ، وذلك كردة فعل جماهيرية لاقتحام زعيم الحرب الإسرائيلي شارون لساحات المسجد الأقصى المبارك ، وعمّت جميع المدن والبلدات والقرى والمخيمات الفلسطينية ضد سياسة القمع الإسرائيلية ، وطلباً للحرية والإستقلال بدولة فلسطينية مستقلة عاصمتها القدس الشريف .

سائق سيارة نقل الركاب العمومي: هو الشخص الحاصل على رخصة قيادة مركبة عمومية لغاية سبعة ركاب ، بموجب ترخيص من دائرة السير ، والذي اجتاز بنجاح الدورة النظرية الخاصة بسائقي سيارات نقل الركاب العمومي ، ويعمل على أحد الخطوط الخارجية المسجلة في دائرة الترخيص الفلسطينية ، ضمن إحدى مجمعات نقل الركاب العمومي التابعة لبلدية نابلس ، ويحمل رقم بيرمت (تصريح) خاص بالمركبة التي يقودها .

الطرق الإلتفافية: وهي الطرق التي صادرها جيش الإحتلال الإسرائيلي من أراضي المواطنين الفلسطينيين ، وتربط المستوطنات الإسرائيلية المقامة على أراضي الضفة الغربية بعضها ببعض ، حيث تم شقها عقب اتفاقية أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية

عام ١٩٩٣، كجزء من نظرية الأمن الإسرائيلية من أجل توفير الحماية السريعة للمستوطنين.

مشكلات السائقين: هي عبارة عن الصعوبات أو العقبات التي يعاني منها سائقو سيارات نقل الركاب العمومي العاملين على الخطوط الخارجية بين القرى والمدن الفلسطينية خلال انتفاضة الأقصى، جراء سياسة القمع والإغلاق الإسرائيلي، وهذه المشكلات متعددة المجالات، وقد عبر عنها السائقون خلال المقابلات التي تم إجرائها معهم، إذ تم تقسيمها إلى: المشكلات الأمنية، ومشكلات تتعلق بالطرق الخارجية بين المدن والقرى الفلسطينية، ومشكلات تتعلق بالركاب، ومشكلات مادية وإقتصادية، ومشكلات عائلية، والتي يمكن قياسها جميعاً عن طريق استجابات أفراد عينة الدراسة على الأداة المطورة من جانب القائمين على هذه الدراسة.

حدود الدراسة وافتراضاتها:

تتمثل أهم حدود الدراسة الحالية وافتراضاتها في الآتي:

١. اقتصار هذه الدراسة على سائقي سيارات نقل الركاب العمومي العاملين على الخطوط الخارجية في محافظة نابلس، والتي أجريت بين شهري تموز (يوليو) وأيلول (سبتمبر) من عام ٢٠٠١ م وخلال انتفاضة الأقصى الفلسطينية، وبعد عام كامل على انطلاقها.
٢. افترضت الدراسة أن الأداة المستعملة لقياس المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومية التي طورها القائمون على الدراسة الحاليه هي أداة صادقة في قياس الأهداف التي وضعت من أجلها.
٣. افترضت الدراسة الحالية أن العينة التي تم اختيارها هي عينة ممثلة للمجتمع الأصل.

الدراسات السابقة

رغم خلو الادب التربوي من دراسات ميدانية حول مشكلات السائقين خلال الحروب، فقد عمل القائمون على الدراسة الحالية على مراجعة ما توفر من دراسات حول مشكلات السياقة والسائقين في الظروف العادية في عدد من الدول العربية والاجنبية.

من بين أهم الدراسات التي دارت حول مشكلات السائقين ما قام به (عبد الغني، ١٩٨٥) من دراسة هدفت إلى التعرف على تسجيل الحوادث على الطرق الطويلة في السعودية، حيث

اشارت إلى أن إحصاءات الحوادث المرورية ينقصها الكثير من المعلومات المهمة والمطلوبة في اتخاذ القرارات الهندسية بتعديل تقاطع معين أو إصلاح منحنى معين بناءً على الحوادث التي يتسبب فيها تصميمه الحالي.

وترجع الدراسة أسباب نقص المعلومات المتوافرة لدى المرور إلى طريقة تسجيل بيانات الحوادث أثناء التحقيق فيها. حيث تركز على مواقع السيارات الدقيقة أثناء الحادث وعلى وجهة كل منها بالتحديد أثناء الحادث، كذلك يوجد قصور واضح في تسجيل الحوادث البسيطة التي لا ينتج عنها إصابات أو وفيات، وعدم تطرق التقارير والإحصاءات إلى الخسائر التي تصيب الممتلكات العامة أو إلى عدد الوفيات الناجمة عن الحادث.

واتبعت في الدراسة عدة أساليب منها تحليل عينات عشوائية من تقارير الحوادث المرورية من جانب سائقي السيارات ثم توزيع استبانة لرجال المرور في كل من الدمام والرياض وجدة، حيث اتضح منه أن رجال التحقيق في إدارة المرور يتفقون على عدم تسجيل الحوادث البسيطة، وعدم الاهتمام بالتحديد الدقيق لمواقع السيارات واتجاهاتها أثناء الحادث وذلك لاعتبارات أهمها ضيق الوقت واضطرارهم لتلبية قرابة أربعة نداءات للحوادث في كل ساعة.

وطبق (بروك وبيرسون، ١٩٨٥) دراسة هدفت إلى تقصي أسباب حوادث السيارات الصغيرة العائدة إلى تلف إطارات السيارات أثناء السير عن طريق سجلات حوادث السيارات في شركة أرامكو بالسعودية عن الفترة ما بين (١٩٧٧م إلى ١٩٨٤م) واتضح منها أنه من بين (٣٦٢٧) حادثة كان تلف الإطارات سبباً في (٩١) منها. وقد استعرضت الدراسة أدبيات البحث في هذا الموضوع عالمياً، كما استعرضت سجلات الحوادث العائدة لتلف الإطارات في الولايات المتحدة الأمريكية. بعد ذلك قامت الدراسة بتوجيه استبانة إلى عينات مختلفة من سائقي السيارات في السعودية بلغت (٣٧٠٠) سائق، ودارت الاستبانة حول خبراتهم في استخدام الإطارات.

وبالإضافة إلى ذلك قام فريق الدراسة بمراجعة الخصائص الفنية للإطارات من واقع كتيبات المواصفات المتوفرة عند الوكلاء بالإضافة إلى مناقشات مع الوكلاء أنفسهم.

وقد خلصت الدراسة إلى أن نسبة الحوادث الناتجة عن تلف الإطارات في السعودية هي أعلى من نظيراتها في أوروبا وأمريكا وهي (٢,٥٪) من مجموع حوادث السيارات مقابل (١٪ – ٢,٤٪) في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. وكان انخفاض الضغط في الإطار عن معدله المطلوب هو أهم عوامل التلف المتسبب للحوادث، وذلك لأن انخفاض الضغط

يسبب ارتفاع درجة حرارة الإطار.

وتوصلت الدراسة أيضاً إلى تأثير العوامل الخارجية مثل حرارة الجو، وحرارة سطح الطريق، وعدم وضوح معالم الطريق، مما يؤدي إلى تعرض الإطارات لظروف تشغيل قاسية ويسبب تلفها. كما تعرضت إلى عوامل نقص تسهيلات صيانة الإطارات مثل محطات الكشف والصيانة للإطارات، ونقص معرفة سائقي السيارات بقواعد استخدام الإطارات التي تحددها مواصفات الشركة الصانعة، والتي تؤثر في زيادة التعرض للحوادث الناتجة عن تلف الإطارات.

وأجريت دراسة أخرى حول مشكلات السلامة على الطرق في المملكة العربية السعودية من جانب (أرجن ورفاقه، ١٩٨٦) تم فيها تحديد تسعة أهداف فرعية لتحقيق هدفها العام المتمثل في حصر مشكلات السلامة على الطرق، ولكل هدف منها دراسة مستقلة وتقرير مستقل بحيث تم ضمها جميعاً في مجلد واحد تناول الآتي:

(١) دور العوامل الإنسانية في السلامة على الطرق الطويلة: حيث تم الإعتماد على سجلات الحوادث وعلى مقابلات أجراها الفريق مع مستخدمي الطرق الطويلة. وبعد إجراء التحليلات الإحصائية توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها أن العوامل الإنسانية فى ظل ظروف هندسية معينة للطريق تكون أساسية ورئيسية كسبب للحوادث، ولكن إذا تحسنت حالة الطرق يمكن تقليل هذه المخاطر.

(٢) دور السيارة في السلامة على الطرق: وذلك عن طريق جمع معلومات عن تأثير الصيانة الدورية للسيارة على تأمين السلامة لركابها عن طريق توزيع استبانة وإجراء مقابلات مع مستخدمي الطريق، حول أنواع الفحص الفني التي يجريها السائقون لسياراتهم قبل رحلاتهم. وتوصلت الدراسة إلى عدد من الاستنتاجات بخصوص ضرورة توجيه برامج إعلامية وإرشادية للمواطنين حول أنواع الصيانة الفنية المطلوبة قبل الرحلات الطويلة.

(٣) الخدمات الطبية الطارئة على الطرق السريعة: وذلك عن طريق جمع بيانات عن كفاءة المستشفيات في تقديم الخدمات الطبية الطارئة وجمع بيانات عن سيارات الإسعاف، وحساب الوقت الواقع بين تلقي البلاغ والوصول إلى مكان الحادث، وطرح توصيات بخصوص نظام الخدمات الإسعافية الطارئة.

(٤) تأثير أعمال الصيانة على السلامة في الطرق الطويلة: حيث عملت الدراسة على مسح أعمال الصيانة والإنشاءات على الطرق وأشكال علامات التحذير ومسافاتها عن مناطق

العمل . وتوصلت الدراسة من هذا المسح إلى عدم وجود نظام لإشارات التحذير وعلامات التحويل ، وإذا وجد مثل هذا النظام فهو غير متكامل . وانتهت الدراسة إلى تصميم نظام متكامل لإشارات التحذير والتحويلات بهدف تقليل الإعاقات على طريق السيارات وتحسين أوضاع السلامة على الطريق ، كما تضمنت الدراسة صوراً واقعية للممارسات الخاطئة لأعمال الصيانة وإشارات التحذير .

(٥) تحديد التقاطعات الخطرة وتنظيمها : وذلك من خلال الملاحظات الميدانية وسؤال رجال الشرطة والمرور واستعراض البيانات المتوفرة عن الحوادث والتي توصلت إلى أن هذه التقاطعات لا تتوافر فيها الخصائص الهندسية المناسبة ، كما تنقصها الإشارات المرورية والعلامات الإرشادية ، وتوصلت إلى ضرورة إنشاء إدارة لتحليل معلومات الحوادث الخطرة لسرعة اكتشاف الأخطار واتخاذ الإجراء المناسب .

(٦) التحقيق في الحوادث : حيث استعرضت وسائل التحقيق في الحوادث المتبعة في إدارة المرور ومقارنتها بالوسائل المتبعة فى التحقيق عالمياً ، وقد توصلت الملاحظات الميدانية لعملية التحقيق في الحوادث إلى عدد من المشكلات التي تواجه عملية التحقيق ، وتوصلت أخيراً إلى عدد من التوصيات بخصوص تحسين طريقة التحقيق وتسجيل معلومات الحوادث .

(٧) تأثير التصميم الهندسي للطريق على سلامة المرور : حيث توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها قصور النواحي الهندسية عن الوفاء بمتطلبات السلامة ، وصعوبة الرؤية المتبادلة بين السيارات العابرة للتقاطع .

(٨) إصدار رخص القيادة : حيث قامت الدراسة باستعراض المتطلبات الواجب توافرها لإصدار رخص القيادة ، واقتضى ذلك زيارات لمدارس قيادة السيارات وتوزيع استبانات لقياس مدى معرفة الناجحين فى هذه المدارس للمعلومات الضرورية اللازمة للقيادة الآمنة . وتوصلت الدراسة إلى بعض التوصيات الهادفة إلى تحسين برامج تعليم القيادة .

وقام (السيف ورفاقه ، ١٩٨٦) بإجراء دراسة حول أسباب ارتفاع نسبة إصابات حوادث المرور في كل من منطقة مكة المكرمة والمنطقة الشرقية ، حيث لاحظ الباحثون أن منطقتي مكة المكرمة والمنطقة الشرقية من أكثر مناطق المملكة في ارتفاع معدل إصابة الأفراد بالمقارنة بأعداد المركبات الداخلة في حوادثهم ، إذ تشير إحصاءات المرور في دول مجلس التعاون الخليجي (عام ١٩٨٥م) أنه في كل سيارة تشترك في حادث بمكة المكرمة يصاب أكثر من فرد في هذا الحادث ، وهي نسبة عالية بالمقارنة بالنسبة لعدد الأفراد إلى الحوادث والتي تبلغ حوالي (١ , ٦)

فرداً مصاباً لكل ١٩ , ٣ سيارة تشترك في حادث .

وهدفت هذه الدراسة بناءً على الملاحظة السابقة إلى دراسة العوامل النفسية والاجتماعية الكامنة خلف هذه الظاهرة ، وذلك بغرض اتخاذ التدابير الكفيلة بتقليل نسبة ضحايا الحوادث . وتقوم خطة جمع البيانات على الرجوع للإحصاءات الرسمية ، بالإضافة إلى توجيه استبانة وإجراء مقابلات متعمقة على عينات من السائقين ورجال المرور والأطباء وسكان المناطق القريبة من الحوادث .

وأجرى كل من (عبد الغني ، ورفاقه ، ١٩٨٦) دراسة هدفت الى تحديد حالة السير وسرعة السيارات على مجموعة من الطرق ، واقتراح السرعة القصوى عليها واقتراح برنامج لتطبيق نظام تحديد السرعات . وقد تم توزيع الباحثين على (٣٦) موقعاً بمدينة الدمام لدراسة متوسط السرعة الملائمة للسيارات المارة بهذا الموقع في غير ساعات الذروة . وقام الباحثون باستخدام الرادار اليدوي في تحديد هذه السرعات بناءً على البيانات التي تم جمعها ومراجعتها من جانب الباحث الرئيسي . وقد توصلت الدراسة إلى إستراتيجية خاصة بتطبيق نظام تحديد السرعات التي لا ينبغي على السائق تجاوزها في شوارع الدمام ، وذلك من حيث اللوحات المرورية المطلوبة وطريقة تنفيذ رجال المرور للأنظمة والاعتبارات الواجب مراعاتها في تنفيذ النظام . وتم تصميم خريطة للسرعات المحددة ، وإعداد خطة لتحديد السرعات والأنظمة الواجب مراعاتها لتطبيق النظام المقترح . ويمكن الاستفادة من هذه الدراسة على النحو الآتي :

١ . نشرة توجيهية لرجال المرور خصوصاً المبتدئين والمنضمين إلى هذه الإدارة حديثاً ، إذ سيفيدهم ذلك في تفهم وضع المدينة مرورياً وتوضيح خطورة التقاطعات والطرق التي كشفت الدراسة عن أن معدل السير فيها سريع .

٢ . نشرة إرشادية : لتوزيعها على المواطنين وقادة الرأي العام في المدينة أثناء أسابيع المرور وذلك لزيادة معرفتهم بالأوضاع الخاصة للمرور في مدينتهم .

وركزت دراسة (آل شارع ورفاقه ، ١٩٨٧) على تحليل الخصائص النفسية والاجتماعية المتعلقة بسلوك قيادة السيارات بالمملكة العربية السعودية ، حيث اهتمت بتحليل إحصاءات وأسباب حوادث السيارات في المملكة ووجدت أن ٨٤٪ من الحوادث تعود إلى سلوك السائق . وقد هدفت الدراسة إلى تحديد وتحليل الخصائص النفسية والاجتماعية لسلوك السائقين والتعرف على التصرفات والعادات الشائعة والمسببة للحوادث لأخذ ذلك في الاعتبار في برامج سياسات القيادة الآمنة وتعليم سلامة المرور . وطورت الدراسة لذلك مقاييس

لتحليل سلوك القيادة شملت استبانة تتعلق بسلوك قيادة السيارات ومقياس سمات الشخصية واختباراً خاصاً بالمعلومات المرورية.

وكشفت الدراسة عن وجود نمط عام لسلوك قيادة السيارات يتسم بالميل إلى المخاطرة، وعدم اتباع قواعد السلامة والأمان ومراعاة النظم وآداب المرور. وأن هناك ارتباطاً قوياً بين هذا النمط السلوكي وارتفاع معدلات الحوادث والمخالفات المرورية التي تقع على الشوارع والطرقات. فقد كشفت الدراسة عن أن ٤٦٪ من السائقين يتعرضون لحادث أو أكثر خلال فترة قيادتهم و ١٠٪ معرضون للإصابة نتيجة للحوادث، كما أن ٤٣٪ يقومون بارتكاب مخالفات مرورية وأن ٦٦٪ يقودون سياراتهم بسرعة زائدة عن الحد الأعلى المسموح به. كما كشفت الدراسة عن معدل للمخاطرة أعلى، وتعرض للحوادث أكبر بين الشباب من السائقين وصغار السن وانتشار نسبة أعلى من المخالفات والتصرفات المسببة للحوادث، بالإضافة إلى الارتباط بين سمات الشخصية ونقص المعلومات المرورية ونسبة ارتفاع الحوادث.

ومن بين الدراسات المرورية الأخرى ما قام به (عبد الغني وزملاؤه، ١٩٨٧)، والتي هدفت إلى تحديد أوزان الحمولات والشاحنات المتحركة على الطرق الخارجية بين المدن، وتحديد نظام للرسوم الواجب فرضها على هذه الشاحنات بهدف استخدامها في إعادة إصلاح هذه الطرق.

ولجمع البيانات لهذه الدراسة، فقد تم إجراء مقابلات مع سائقي الشاحنات لتحديد الأضرار والعوامل المتسببة في تلف الطريق الناتج عن الحمولات الزائدة بعد اختيار سبع محطات لتوزين الشاحنات ومراقبة المرور، وأربع مراكز للمرور في المنطقة الشرقية السعودية، وذلك لتحديد حجم الحركة المرورية ومقدار الأوزان الزائدة على الشاحنات، ومدى حوادث التدهور الذي نتج عن هذه الحمولات الزائدة.

وقد أوضحت الدراسة أن حركة الشاحنات على الطرق تتراوح بين (١٠٪-٥٨٪) من إجمالي الحركة المرورية، واتضح في جميع المراكز التي شملتها الدراسة أن نسبة عالية من الشاحنات تتجاوز أطوالها وعرضها وأوزانها الحدود المسموح بها. واتضح من الدراسة أن هذه الحمولات الزائدة تشكل دماراً للطرق التي تمر عليها، وانتهت بعد تحديد تكاليف اصلاح الآثار التي تحدثها الحمولات الزائدة وقيمة الغرامة المستحقة على مخالفة أنظمة وزارة المواصلات إلى اقتراح طريقة لتقدير الرسوم الواجبة على هذه الشاحنات.

وطبق (صليل ورفاقه، ١٩٨٨) دراسة حول مشروع سلامة المشاة، حيث أوضحت إحصاءات الإدارة العامة للمرور أن حوادث المشاة التي وقعت عامي (١٩٨٦ و١٩٨٧) قد بلغت (٥٠٠٠) حادثة. ولكن لم تبين الإحصاءات المذكورة تصنيفاً لهذه الحوادث من حيث توزيع المصابين حسب العمر، والمنطقة، والمهنة، والعوامل الخاصة بسبب الحادث مثل: سلوك المشاه، وسلوك قائد السيارة، وتصميم مسارات المشاة، ومكان الحادث. لذا، فقد هدفت هذه الدراسة إلى تحديد هذه العوامل من خلال إعادة تحليل البيانات المتوفرة لدى إدارة المرور، وتحديد الأسباب المرتبطة بارتفاع حوادث المشاه، وتحليل الاتجاهات النفسية المتبادلة بين المشاه وقائد السيارة وذلك من خلال جمع بيانات ميدانية حول هذا الموضوع. وخلصت الدراسة إلى اقتراح نموذج التصميم الأمثل لمسارات المشاة وعلاماتهم الإرشادية على الطرق واقتراح خطة توعية للمشاة وسلوكياتهم الواجبة عند استخدام الطرق.

و أجرى هكاميز (Hakamies-Blomqvist,١٩٩٥) دراسة عن كبار السن من السائقين في فنلندا ولا سيما من حيث سلامة المرور من جهة وسلوكهم أثناء السياقة من جهة ثانية، ولا سيما بعد أن زاد عددهم في السنوات الأخيرة بسبب ارتفاع نسبة ذوي الأعمار الكبيرة في الدول المتقدمة واستمرار كبار السن في السياقة رغم التقدم في العمر. وقد أشارت إحصائيات شركات تأمين السيارات في فنلندا إلى زيادة عدد الحوادث القاتلة بفعل سلوك السائقين من فئة كبار السن الذين اجتازوا الخامسة والستين من العمر، حيث تبين وجود مشكلات لديهم نحو الإنتباه عند التقاطعات ومفارق الطرق وعند الظلام.

وهدفت دراسة كراوز(Krause,١٩٩٦) إلى تقصي دور العوامل النفسية المرتبطة بآلام الظهر والرقبة التي تسببها طبيعة العمل لدى السائقين، حيث تم توزيع استبانة على (١٤٤٩) من سائقي سيارات النقل العمومي في مدينة سان فرانسيسكو الامريكية ممن زاروا الأطباء لأنهم يشكون من آلام جسمية ونفسية مختلفة. واشتملت الإستبانة على فقرات لها علاقة بالأمور الخاصة الفردية وبالنواحي المهنية وبالعوامل النفسية المرتبطة بالعمل، كما تمت متابعتهم لمدة خمس سنوات متتالية. وقد تم قياس عبء العمل الجسماني عن طريق حساب عدد الساعات الأسبوعية والسنوية للسياقة، أما عن مدى انتشار آلام الظهر والرقبة، فقد قاسه الباحث عن طريق الإستبانة، في حين تم وضع وثائق الشركة للتعرف على تاريخ الحالات المهنية والمرضية في آن واحد. وتمثلت أهم متغيرات الدراسة في العبء الجسماني الذي يقوم به السائقون، ونوعية الحافلة، والجنس، ومقاييس وقدرات الجسم البشري.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى أن الأسباب النفسية والجسمية كان لها علاقة بآلام العمود الفقري وأن أكثر العوامل المؤثرة في إيجاد آلام الظهر والرقبة ومخاطرها تتمثل في طابع الأنوثة عند السائقات، وطول السائق ووزنه، وعدد سنوات السياقة التي قضاها في المهنة، وعدد ساعات السياقة الأسبوعية، وعدد فترات الراحة التي يقضيها السائق، ونوعية الحافلة، ومشكلات ظروف العمل، وتكرار مشكلات العمل، والمطالب النفسية، ومقدار التركيز في العمل، وعدم الرضا عن العمل، وضعف الدعم من جانب المشرفين على السائقين. لذا، فان مثل هذه العوامل قد أدت إلى التنبؤ بحدوث إصابات في العمود الفقري وآلام في الظهر والرقبة. أما عامل العمر فلم يكن له تأثير في تلك الآلام أو الإصابات.

وأجرى مكفيتي (McVittie, ١٩٩٦) دراسة حول سائقي الشاحنات من حيث الإنهاك المفرط من ناحية التكرار في عملية التنقل والتكاليف المادية الناجمة عن ذلك. وبعد توزيع استبانة ترتيب العوامل المؤثرة في العمل، قام سائقو الشاحنات والمشرفون على تحركاتهم بترتيب عشرة متغيرات لها علاقة بالعمل الذي يقومون به وهي: الولاء للمشرف، والرواتب الجيدة، والعمل المثير، وتقدير العمل المنجز، والأمن الوظيفي، والشعور بالوجود الحقيقي في العمل، والنظام المناسب والعادل خلال العمل، وظروف العمل الملائمة، والمساعدة في حل المشكلات الشخصية، والترقيات أو الترفيعات في مجالات العمل المختلفة. وقد أظهر استخدام كل من اختبار (ت) والتحليل المجمع للمتغيرات واستجابات الفئات المستهدفة، اختلافاً كبيراً في المتغيرات بين سائقي الشاحنات والمسؤولين أو المشرفين على تحركاتهم، حيث كانت الإستجابات ٤٠٪ و٦٠٪ على التوالي.

وحاولت دراسة بوتس (Botes, ١٩٩٧) تقصي اتجاهات سائقي التكسي نحو قوانين المرور وتشريعاته. وكان من بين أهم المشكلات التي تم تحديدها عن طريق استبانة وزعت على السائقين هي: ضعف العلاقة بين قوانين المرور والجدية في تنفيذها من جانب السائقين، وفقدان احترام الناس للسائقين، وزيادة عدد المشتغلين في مهنة السياقة، وشدة المنافسة بينهم. وقد اشارت النتائج إلى الحاجة الماسة إلى عقد دورات تدريبية لهؤلاء السائقين من وقت لآخر للتطرق إلى هذه المشكلات، مع وضع الوسائل العملية لحلها ولا سيما الربط بين قوانين السير والأمن والأمان على الطرق.

وطبقت جراينر (Greiner, ١٩٩٧) دراسة عملت على تقصي دور الضغوط النفسية المهنية في تناول السائقين للكحول. ونظراً للإستخدام المحدد بالمقاييس المعتمدة على الضغوط النفسية للتقارير الفردية، فقد اثارت مشكلات عدة حول الصحة الجسمية والصحة النفسية لسائقي

الحافلات، مما أدى إلى اقتراح تصميم خاص بالدراسة يتمثل في استخدام مقاييس الضغوط الهادفة جنباً إلى جنب مع المقاييس الذاتية. ويرتكز هذا التصميم على مبدأ المعارف المتعددة ومبدأ خدمة المجتمع ومبدأ النظرية الموجهة. واعتماداً على ذلك كله فإنه قد تم تطبيق هذه الدراسة على سائقي الحافلات في بعض مناطق مدينة سان فرانسسكو الامريكية لتقصي مدى تأثير ضغوط العمل النفسية على تناول الكحول. وقد تم قياس هذه الضغوط عن طريق ثلاثة أساليب: (١) عوامل الضغوط النفسية الهادفة كخصائص للعمل الفني المنظم تم قياسها عن طريق ملاحظين مدربين على تقييم العمال بصورة فردية (٢) وعوامل الضغوط النفسية القائمة على التقارير الذاتية كما تم تكرارها بين عشرين من مشكلات العمل (٣) وعوامل الضغوط النفسية كما توضحها المشاعر العميقة نحو كل مشكلة من هذه المشكلات العشرين.

وقد أشارت نتائج الدراسة إلى وجود شكاوي حول وجود مشكلات جسمية وعقلية وعاطفية، وقلة الوقت المخصص للراحة، ووجود الحواجز بين العاملين، وظهور أثر مخاطر تناول الكحول على طبيعة العمل.

وأجرت بيري (Berry,١٩٩٨) دراسة للكشف عن العلاقة المعقدة بين جنس العامل وطبيعة العمل الذي يقوم به ولا سيما سائقات سيارات تكسي الاجرة في مدينة هاليفاكس الكندية. فالعمل في مصنع تقليدي يسيطر عليه الرجال يجعل عنصر النساء يثير اهتمام الزوار والعاملين في الصحافة ووسائل الاعلام كوسيلة للهو والتسلية. وتعكس هذه الصورة وجهة نظر الناس بصورة عامة نحو هذه الظاهرة، خاصة وان الناس ترى في مهنة سياقة تكسي الأجرة التي يسيطر عليها عنصر الذكور، مما يجعل من عمل النساء فيها يمثل الاستثناء في مهنة ثقافتها في الغالب تمثل ثقافة رجال. واشارت نتائج الدراسة الى كثرة الاسئلة التي يطرحها الركاب على سائقات تكسي الاجرة مما يثير المتاعب لهن، كما يواجهن مضايقات كلامية من زملائهن سائقي تكسي الاجرة الذكور.

وأجرى شو (Chou,٢٠٠٠) دراسة اقتصادية مصغرة لدعم العمل، مستخدما استبانة وزعها على سائقي سيارات الاجرة في سنغافورة ضمن نموذجين يتناول الأول نموذج دورة الحياة، بينما يركز الثاني على نموذج الدخل المستهدف. وقد اشارت نتائج الدراسة الى اختلاف سائقي تكسي الأجرة في طلبهم لأجور التنقل من يوم لآخر تبعاً لظروف الطقس او ظروف قاهرة أخرى أو مطالب دائرة السير او البلدية نحو نظافة السيارة وصلاحيتها للعمل.

وطبقت فيسي (Facey,٢٠٠٠) دراسة حول العلاقة المتداخلة والمعقدة بين كل من العمل والصحة والأصول العرقية وأنماط السلوك الصحية، حيث أجريت مقابلات مع عشرة من

سائقي تكسي الأجرة من ذوي الأصول العرقية المختلفة بمدينة تورنتو الكندية، وذلك من أجل الكشف عن علاقة الأصل العرقي والخصائص الاجتماعية والتنظيمية للعمل وتأثيراتها على صحتهم والأنماط السلوكية الصحية لديهم. وقد أشارت نتائج الدراسة إلى ان العلاقات الاجتماعية للعاملين والثقافة التنظيمية الخاصة بالعمل وظروف الوظيفة نفسها تؤثر في إدراك السائقين لمخاطر العمل الكثيرة الخاصة بمهنتهم، كما تؤثر في أنماط السلوك الصحية لديهم حيث يهملون صحتهم ضمن هذه الظروف الصعبة.

وهدفت دراسة هولاند (Holland,٢٠٠٠) إلى تقصي آثار الإجهاد والتعب على الحياة المهنية والشخصية لسائقي القطارات. وقد أثبتت عملية مراجعة الأدب التربوي المتصل أن دراسات عديدة قد ركزت على الآثار الفسيولوجية الجسمية لمهنة السياقة على السائقين ولكن الدراسة الحالية هي من بين الدراسات النوعية التي تحاول الكشف عن ظاهرة الإجهاد وتأثيراتها النفسية والاجتماعية المختلفة.

وقد قامت هذه الدراسة على المبدأ النوعي الذي يعتمد تطبيق المقابلة العميقة مع (١١) من سائقي القطارات ممن لهم خبرة شخصية مع الإجهاد، حيث أشارت النتائج إلى أربعة مجالات أهمها المجال الفسيولوجي المتمثل في صعوبة أو قلة النوم، وتوزيع المناوبات الكثيرة وآثارها السلبية على الناحية الصحية، هذا بالإضافة إلى قضايا العمل المختلفة المتعلقة بالعلاقة مع المشرفين على سائقي القطارات والعلاقة بين السائقين أنفسهم، مما أثار مشكلات نفسية مثل المزاج المتقلب، وضعف التركيز، وتأثير كل ذلك سلبياً على علاقة السائقين مع عائلاتهم وحياتهم الإجتماعية مع الآخرين.

وأجرت مايرز (Myers,٢٠٠٠) دراسة نوعية للكشف عن نمط الخبرات المدرسية لدى سائقي السباق المحترفين من أجل تحليل طبيعة الإهتمام بهذا النوع من السباقات. وقد تم جمع البيانات عن طريق المقابلة مع استخدام تصميم بحثي نوعي معين، حيث تمت مقابلة اثنى عشر سائقاً من الذين تتراوح أعمارهم بين (٢٥-٥٤) سنة من الذكور البيض وجميعهم تخرجوا من المدرسة الثانوية، بعد أن درس ثمانية منهم بعض المساقات الجامعية، في حين تخرج أربعة منهم من الجامعة. وقد أشارت النتائج إلى وجود خبرات مدرسية سلبية لدى هؤلاء السائقين سواء من الناحية التعلمية أو من ناحية الإنتباه داخل الحصة، أو المنافسة مع الزملاء أو الانعزالية من جانب بعضهم.

تعقيب على الدراسات السابقة:

في ضوء مراجعة الدراسات السابقة ذات العلاقة بمشكلات السائقين، يطرح القائمون على الدراسة الحالية الملاحظات المهمة الآتية:

١. تناولت بعض الدراسات السابقة العوامل النفسية والجسدية والضغوط التي تسببها مهنة السياقة مثل دراسة كراوز (Krause,١٩٩٦) ودراسة بوتس (Botes,١٩٩٧) ودراسة جراينر (Greiner,١٩٩٧) ودراسة هولاند (Holland,٢٠٠٠)، وتتشابه الدراسة الحالية مع هذه الدراسات في تناولها المشكلات والضغوط التي يتعرض لها السائقون من وجهة نظرهم.

٢. يتناول جزء من الدراسات السابقة مواضيع حوادث السير والأمان على الطرق، مثل دراسة (عبد الغني، ١٩٨٥) ودراسة (أرجن ورفاقه، ١٩٨٦) ودراسة (آل شارع ورفاقه، ١٩٨٧) ودراسة (السيف ورفاقه، ١٩٨٦) مع الأخذ بالإعتبار دور العوامل النفسية والإجتماعية خلف هذه الظاهرة. وتختلف الدراسة الحالية عن هذه الدراسات في طرحها لموضوع السياقة والمشكلات على الطرق في ظل ظروف انتفاضة الأقصى، وهي ظروف غير مستقرة، في حين تم تطبيق جميع هذه الدراسات في ظروف واضحة من الإستقرار والأمان والاطمئتان، خاصة وأن الطرق التي يسلكها سائقو سيارات نقل الركاب العمومي وقت إجراء الدراسة الحالية ليست هي الطرق الإعتيادية الطبيعية التي كانوا يسلكونها قبل اندلاع انتفاضة الأقصى.

٣. تتميز الدراسة الحالية أيضا بوجود متغيرات جديدة لم تكن موجودة في الدراسات السابقة، مثل الحالة الإجتماعية، والمستوى التعليمي للسائق، وخط سير السيارة.

٤. تختلف الدراسة الحالية عن سابقاتها في أنها مطبقة على سائقي سيارات نقل الركاب العمومي، في حين كانت بعض الدراسات السابقة مطبقة على فئات أخرى من السائقين مثل سائقي القطارات وسائقي الشاحنات، ومع ذلك فقد استفاد القائمون على الدراسة الحالية من نتائج تلك الدراسات في تفسير نتائج الدراسة الحالية.

٥. تمت معظم الدراسات السابقة في ضوء رغبة الباحثين بالدرجة الأولى في تناول بعض المشكلات التي يواجهها سائقي سيارات النقل العمومي، بينما طبقت الدراسة الحالية في ضوء المناشدات المتكررة من جانب نقابة السائقين وبلدية مدينة نابلس بضرورة وضع مشكلاتهم على بساط البحث في ظل الظروف الصعبة جداً التي عاشوها خلال انتفاضة الأقصى.

الطريقة والإجراءات

تتمثل أهم إجراءات الدراسة الحالية وطريقتها في الآتي :

منهجية الدراسة : استخدم القائمون على الدراسة الحالية المنهج الوصفي المسحي الميداني عن طريق توزيع أداة الدراسة المتمثلة في استبانة مصممة لهذا الغرض .

مجتمع الدراسة : تألف مجتمع الدراسة الحالية من جميع سائقي سيارات نقل الركاب العمومي العاملين على الخطوط الخارجية في محافظة نابلس ، والمسجلين ضمن مجمعات النقل التابعة لبلدية المدينة . وقد بلغ عددهم خلال فترة إجراء الدراسة (٧٥٠) سائقاً .

عينة الدراسة : اختار القائمون على هذه الدراسة عينة عشوائية بسيطة بلغت (٢١٣) سائقاً من المجتمع الأصلي في مجمعات النقل ببلدية نابلس وبنسبة مئوية بلغت (٢٨٪) من المجتمع الأصل ، وهي نسبة كافية لأغراض الدراسة ، والجدول (١) يوضح توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير خط سير السيارة .

الجدول (١)

توزيع عينة الدراسة تبعاً لمتغير خط سير السيارة

خط سير السيارة	التكرار	النسبة المئوية
من مدينة إلى مدينة أخرى	١٠٧	٪٢,٥٠
من قرية إلى مدينة	١٠٦	٪٨,٤٩
المجمـــوع	٢١٣	٪١٠٠

أداة الدراسة: طور القائمون على الدراسة الحالية أداة بحث خاصة بالمشكلات التي تواجه سائقي سيارات العمومي ، من خلال مراجعة الأدب التربوي والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة الحالية ، هذا بالإضافة إلى رؤية المشكلات التي يتعرض لها السائقون يومياً أثناء سفرهم وتنقلهم عبر الحواجز التي أقامتها قوات الإحتلال الإسرائيلية خلال انتفاضة الأقصى ، وإجراء مقابلات عديدة مع السائقين الذين قاموا بدورهم بالتعبير عن المعاناة اليومية التي يتعرضون لها أثناء عملهم على خطوط السير الخارجية لمحافظة نابلس . وقد تألفت أداة الدراسة من خمسين فقرة وفق مقياس ليكرت الخماسي من أجل قياس درجة المشكلات التي

يتعرض لها سائقو سيارات نقل الركاب العمومي .

صدق الأداة: تم عرض أداة الدراسة الحالية على عدد من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص في التربية وعلم النفس في كل من جامعة النجاح الوطنية بنابلس، وجامعة القدس المفتوحة، وجامعة القدس في بلدة (أبو ديس)، وعدد من سائقي سيارات نقل الركاب العمومي ذوي الخبرة الطويلة والثقافة الجيدة، وعدد من مدربي السياقة والمحاضرين في دورات تعليم وتأهيل سائقي سيارات نقل الركاب العمومي بلغ عددهم (٢٢) محكماً، وذلك من أجل التأكد من صدق الأداة. وقد أجمع المحكمون من خلال ملاحظاتهم على فقرات أداة الدراسة بأنها تقيس ما وضعت لقياسه بعد أن قاموا بتقديم العديد من الملاحظات والآراء الدقيقة. وقد تم تعديل الفقرات التي أجمع عليها (٧٠٪) فأكثر من المحكمين.

ثبات الأداة : تأكد القائمون على الدراسة الحالية من ثبات الاستبانة عن طريق استخدام معادلة كرونباخ الفا، حيث بلغ معامل الثبات الكلي (٩٢ ، ٠) وهو ثبات جيد ومرتفع يفي بأغراض الدراسة.

متغيرات الدراسة : تتمثل متغيرات الدراسة الحالية في الآتي :

أولاً: المتغيرات المستقلة وتشمل الآتي:

- الحالة الإجتماعية للسائق وله مستويان (أعزب، متزوج).
- عدد الأفراد المعالين وله ثلاثة مستويات (٤ أشخاص فأقل، من ٥ - ٨ أشخاص، ٩أشخاص فأكثر).
- العمر وله ثلاثة مستويات (أقل من ٣٠ سنة، من ٣٠ إلى أقل من ٤٠ سنة، ٤٠ سنة فأكثر).
- المستوى التعليمي وله أربعة مستويات (إبتدائي، إعدادي، ثانوي، أعلى من الثانوية العامة).
- خط سير السيارة وله مستويان (من مدينة إلى مدينة أخرى، ومن قرية إلى مدينة).

ثانياً: المتغير التابع:ويتمثل في استجابة أفراد عينة الدراسة على الإستبانة المطورة من جانب القائمين عليها.

المعالجة الإحصائية : من أجل الإجابة عن أسئلة الدراسة والتحقق من فرضياتها، استخدم القائمون على الدراسة الحالية الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) للوصول إلى النتائج الدقيقة، حيث تم استخدام المعالجات الآتية :

* المتوسطات الحسابية والنسب المئوية Means and Percentages.
* اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين Independent "t" test.
* تحليل التباين الأحادي One way ANOVA.
* اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية Scheffe test.

خطوات الدراسة: تتمثل أهم الخطوات البحثية التي طبقها القائمون على الدراسة الحالية في الآتي:

* إجراء مقابلات مع مجموعة من سائقي سيارات نقل الركاب العمومي العاملين على الخطوط الخارجية في محافظة نابلس، وإتاحة المجال لهم للتعبير شفوياً عن المشكلات التي يواجهونها يومياً أثناء سفرهم خلال انتفاضة الأقصى.
* الرجوع إلى الأدب التربوي والدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع السائقين وظروف عملهم والمشكلات التي يواجهونها بهدف الإستفادة منها في تطوير أداة الدراسة.
* تطوير أداة الدراسة الحالية والتي تقيس أهم المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي في محافظة نابلس.
* التأكد من صدق الأداة بعرضها على لجنة من المحكمين من ذوي الخبرة والاختصاص.
* حساب معامل ثبات الأداة باستخدام معادلة كرونباخ ألفا.
* تحديد مجتمع الدراسة وعينتها.
* الحصول على إذن رسمي من المسؤولين عن مجمعات سيارات نقل الركاب العمومي في بلدية نابلس.
* توزيع الإستبانة بواسطة اليد واسترجاعها وترميزها وإدخالها للحاسوب.
* استخراج النتائج ومناقشتها.
* اقتراح مجموعة من التوصيات.

نتائج الدراسة ومناقشتها

بعد أن استخدم القائمون على الدراسة الحالية الرزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS) فقد تم استخراج النتائج وتبويبها في جداول تمهيداً لعرضها ومناقشتها في ضوء أسئلة الدراسة وفرضياتها كالآتي:

النتائج المتعلقة بالسؤال الأول مع المناقشة: نص السؤال الأول من أسئلة الدراسة على

الآتي :

ما أهم المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس نتيجة سياسات القمع الإسرائيلي ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال ، استخدم القائمون على الدراسة الحالية المتوسطات الحسابية والنسب المئوية ودرجة المشكلات التي تواجه السائقين الخاصة بفقرات أداة الدراسة والتي يوضحها الجدول (٢) الآتي :

الجدول (٢)

المتوسطات الحسابية والنسب المئوية ودرجة المشكلات التي تواجه السائقين لفقرات الاستبانة

* للتعرف على درجة المشكلات التي تواجه السائقين ، فقد استخدم القائمون على الدراسة

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	النسبة المئوية	درجة المشكلات
١	التعرض لإطلاق النار من جانب جيش الاحتلال الإسرائيلي على السيارة.	٣,٦٠	٧٢٪	متوسطة
٢	قذف الحجارة على السيارة من جانب المستوطنين الإسرائيليين.	٣,٩٣	٧٨,٦٪	مرتفعة
٣	مصادرة مفتاح تشغيل السيارة من جانب جيش الاحتلال الإسرائيلي خلال انتفاضة الأقصى .	٣,٦٨	٧٣,٦٪	متوسطة
٤	مصادرة رخصة القيادة والهوية الشخصية من جانب جيش الاحتلال الإسرائيلي .	٣,٦١	٧٢,٢٪	متوسطة
٥	التعرض للضرب والشتم بالألفاظ النابية من جانب جيش الاحتلال الإسرائيلي خلال انتفاضة الأقصى .	٤,٠٥	٨١٪	مرتفعة
٦	التفتيش الدقيق لمحتويات السيارة وممتلكات الركاب والعبث بها وإجبار السائقين على إنزال حمولة السيارة .	٤,٥٠	٩٠٪	مرتفعة جداً
٧	الوقوف تحت أشعة الشمس أو المطر لساعات طويلة مع الركاب بناء على تعليمات جيش الاحتلال الإسرائيلي خلال الانتفاضة .	٤,٤٤	٨٨,٨٪	مرتفعة
٨	كثرة الحواجز الإسرائيلية المتنقلة التي تظهر فجأة وما يترتب عليها من إهانة وتأخير وخوف من الاعتقال أو الضرب .	٤,٦٤	٩٢,٨٪	مرتفعة جداً
٩	الخوف المسيطر على السائقين من إمكانية إرجاع جيش الاحتلال الإسرائيلي السيارة إلى المكان الذي انطلقت منه ، مما يثير القلق طوال اليوم	٤,٧٧	٩٥,٤٪	مرتفعة جداً

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	النسبة المئوية	درجة المشكلة
١٠	سيطرة الخوف على السائقين كلما سمعوا الأخبار عن الاقتحامات من العمليات الاستشهادية وردود الفعل المتوقعة من جيش الاحتلال .	٤,٢٩	%٨٥,٨	مرتفعة جداً
١١	وعورة الطرق التي تسلكها سيارات العمومي خلال الانتفاضة الأقصى .	٤,٨٤	%٩٦,٨	مرتفعة جداً
١٢	كثرة الأعطال الميكانيكية التي تحدث للسيارة بسبب سلوك الطرق الترابية خلال الانتفاضة .	٤,٦٩	%٩٣,٨	مرتفعة جداً
١٣	استشعار السائقين من سلوك الطرق الاستيطانية الممهدة كالتعرض لإطلاق النار أو القذف بالحجارة من المستوطنين الإسرائيليين .	٤,٦٢	%٩٢,٤	مرتفعة جداً
١٤	الانتظار لساعات على الحواجز من وقت لآخر بسبب ممارسات جيش الاحتلال الإسرائيلي خلال الانتفاضة .	٤,٦٢	%٩٢,٤	مرتفعة جداً
١٥	طول المسافات التي تقطعها السيارة بسبب إغلاق الطرق القصيرة والمعبدة .	٤,٧٩	%٩٥,٨	مرتفعة جداً
١٦	ضيق الطرق الجبلية التي تسلكها سيارات العمومي مما يعيق من سرعة الوصول ويشكل خطراً على السيارات والركاب .	٤,٨٤	%٩٦,٨	مرتفعة جداً
١٧	كثرة تعرض سيارات العمومي إلى التفتيش من قبل الاحتلال الإسرائيلي على الطرق المختلفة خلال الانتفاضة .	٤,٧٦	%٩٥,٢	مرتفعة جداً
١٨	مرور السيارات في شوارع وأزقة داخل بعض القرى والمخيمات خلال الانتفاضة مما يزيد من أزمة السير ويشكل اختناقات مرورية.	٤,٦٣	%٩٢,٦	مرتفعة جداً
١٩	خطورة الطرق الجديدة التي يمر بها السائق لأول مرة لقلة خبرته فيها .	٤,٥٣	%٩٠,٦	مرتفعة جداً
٢٠	اضطرار السائق إلى التوقف من وقت لآخر للسؤال عن اتجاه الطرق الجديدة لأنه يجهلها ، مما يطيل من مدة السفر .	٤,٤٤	%٨٨,٨	مرتفعة
٢١	اختلاف آراء الركاب وإلحاحهم بالنسبة لاختيار الطريق الأفضل للوصول إلى المدينة أو القرية المقصودة.	٤,٢٢	%٨٤,٤	مرتفعة
٢٢	شكوى الركاب من ارتفاع أجرة النقل بين المدن والقرى خلال الانتفاضة رغم طول المسافة ووعورتها.	٤,٢٣	%٨٤,٦	مرتفعة
٢٣	انخفاض عدد الركاب الذين يتنقلون بين المدن والقرى في المنطقة عما كان الأمر عليه قبل انتفاضة الأقصى .	٤,٦٢	%٩٢,٤	مرتفعة جداً
٢٤	استياء الركاب من طلب السائق التعاون معه لإزالة بعض الحواجز التي يضعها الجيش الإسرائيلي والمستوطنون أو السير مشياً على الأقدام لمسافة بسيطة .	٣,١٤	%٦٢,٨	متوسطة

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	النسبة المئوية	درجة المشكلات
٢٥	كثرة الكلام من جانب بعض الركاب خلال الطريق بطريقة مزعجة مما يثير إزعاج السائق والركاب الآخرين .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة
٢٦	رغبة بعض الركاب في سلوك طرق معينة رغم خطورتها لأن تسهم في الوصول بسرعة.	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة
٢٧	تأخر الركاب عن الفترة التي تأخذها السيارة حتى تكتمل حمولتها خلال الانتفاضة الأقصى .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً
٢٨	تذمر الركاب من طول الفترة التي تأخذها السيارة حتى تصل إلى المدينة أو القرية المتوجهة إليها ؛ بسبب طول الطريق.	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً
٢٩	إلحاح الركاب إذا تعطلت السيارة من الناحية الميكانيكية رغم معرفتهم بوعورة الطرق وصعوبتها.	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة
٣٠	منافسة السيارات الخصوصية وكونها تنقل الركاب بين المدن والقرى مما يقلل من الحصة اليومية لسائقي السيارات العمومية .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة
٣١	منافسة السيارات العمومية للخطوط الأخرى وقيامها بنقل ركاب على خطوط ليست مخصصة لها وذلك منذ بدء انتفاضة الأقصى	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة
٣٢	كثرة عدد الرحلات التي ينتقل فيها السائق من مدينة إلى أخرى والركاب يومياً مقارنة بالفترة ما قبل الانتفاضة .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً
٣٣	التصليحات المتكررة للسيارة بسبب وعورة الطرق الالتفافية [illegible] من الدخل عليها [illegible] خلال الانتفاضة .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً
٣٤	تعرض السائقين إلى مخالفات عديدة من الشرطة الإسرائيلية مما يقلل من فرص الراحة الاجتماعية .	٤.٤٠	٨٨ %	مرتفعة
٣٥	كثرة الاتصالات الهاتفية التي يجريها السائق قبل التوجه إلى المدينة الأخرى للاطمئنان على الظروف الأمنية .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً
٣٦	ارتفاع أسعار قطع السيارات وأجرة التصليح خلال انتفاضة الأقصى مما يزيد من التكاليف المادية على السائقين	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة
٣٧	استمرار دفع الضريبة المقررة للسلطة الوطنية الفلسطينية رغم صعوبة الأوضاع الاقتصادية .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً
٣٨	عدم تغطية شركات التأمين للتكاليف عند [illegible] من المستوطنين أو تعرض السيارة للأذى في الطرق الصعبة والوعرة .	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً
٣٩	عدم مراعاة السلطة الفلسطينية للظروف الصعبة للسائقين في ظل الانتفاضة [illegible] على دفع الضريبة المفروضة على السيارات العمومي.	[illegible]	[illegible] %	مرتفعة جداً

رقم الفقرة	الفقرة	المتوسط الحسابي	النسبة المئوية	درجة المشكلات
٤٠	الطلب المتواصل للنيابة بدفع مبلغ من المال في كل مرة يمسك فيها السائق يعمل على السيارات العمومي .	٤,٦٨	%٩٣,٦	مرتفعة جداً
٤١	الخروج في وقت مبكر جداً لتجنب الحواجز الإسرائيلية مما يحرم السائق من فرصة الراحة الكافية في المنزل .	٤,٧٠	%٩٤,٠	مرتفعة جداً
٤٢	اضطرار السائق للنوم خارج المنزل نتيجة عدم تمكنه من العودة إلى عائلته بسبب الحواجز والاغلاقات الإسرائيلية المتكررة .	٤,١٢	%٨٢,٥	مرتفعة
٤٣	رجوع السائق في وقت متأخر إلى البيت مما يحرمه من الحديث مع الأطفال وتوجيههم وحل مشكلاتهم .	٤,٤١	%٨٨,٢	مرتفعة
٤٤	ضعف العلاقة الاجتماعية بين السائق والأقارب والجيران والأصدقاء بسبب انشغاله كل النهار ومعظم الليل في عمله خلال انتفاضة الأقصى .	٤,٤٧	%٨٩,٤	مرتفعة
٤٥	حرمان السائق من الأكل المنتظم مع أفراد أسرته بل قد يمر وقت طويل دون تناول الطعام بسبب مصاعب العمل خلال الانتفاضة .	٤,٦٤	%٩٢,٨	مرتفعة جداً
٤٦	زيادة قلق العائلة على السائق وزيادة قلق السائق على عائلته بسبب ظروف انتفاضة الأقصى .	٤,٧٦	%٩٥,٢	مرتفعة جداً
٤٧	تعرض السائق إلى ضغوط عائلية قوية بعدم السفر خوفاً على حياته وتعرضه إلى مخاطر الحياة التي تتطلب منه العمل لسد متطلبات الأسرة المادية .	٤,٦٤	%٩٢,٨	مرتفعة جداً
٤٨	سيطرة الخوف والقلق على السائق وعائلته من ضعف مصدر رزقهم وربما انقطاعه جزئياً في ظل ظروف الحصار الإسرائيلي .	٤,٦٠	%٩٢	مرتفعة جداً
٤٩	ظهور مشكلات عائلية عديدة نتيجة لقلة رعاية الأب لأبنائه في ظل عمله الطويل تحت ظروف الانتفاضة الصعبة .	٤,١٨	%٨٣,٦	مرتفعة
٥٠	ضعف اقتناع العائلة بالاستمرار في مهنة السياقة في ظل الظروف الأمنية المتدهورة من جهة وقلة المردود الاقتصادي من جهة ثانية.	٤,٥٨	%٩١,٦	مرتفعة جداً
	الدرجة الكلية	٤,٤٤	%٨٨,٨	مرتفعة

الحالية التقدير الآتي والذي اقترحه المحكمون :

- أقل من ٦٠ ٪ مشكلات منخفضة .
- من ٦٠ ٪ إلى أقل من ٧٥٪ مشكلات متوسطة .
- من ٧٥٪ إلى أقل من ٩٠ مشكلات مرتفعة .
- من ٩٠ فأكثر مشكلات مرتفعة جداً .

ونلاحظ من نتائج الجدول السابق (٢) أن الفقرات (١ , ٣ , ٤ , ٢٤) فقط قد حصلت على تقادير متوسطة ، بينما حصلت بقية الفقرات على تقادير مرتفعة أو مرتفعة جداً، كما كانت الدرجة الكلية للاستبانة قد حصلت على درجة مرتفعة أيضاً .

ويعزو القائمون على الدراسة الحالية هذه النتيجة إلى درجة القمع والبطش الإسرائيلي التي تقع على أبناء شعبنا عامة منذ اندلاع انتفاضة الأقصى ، حيث استشهد العديد من السائقين أثناء عملهم على خطوط السير التي تربط القرى والمدن الفلسطينية بعضها ببعض ، ولم ينجُ سائق واحد من ممارسات جيش الإحتلال وقطعان مستوطنيه على الطرق الإلتفافية سواء عن طريق إطلاق النار أو قذف الحجارة ، أو الوقوف على الحواجز لفترات طويلة والتعرض للضرب والإهانات والاعتقال .

ولا يقل الأمر خطورة على السائق وركاب السيارة عندما يضطر السائق إلى سلوك طرق وعرة وترابية غير آمنة وتفتقر إلى السلامة العامة ، مما يجعل كل ذلك مهنة السياقة مهنة شاقة وصعبة ، وبالتالي غير مجدية من الناحية الإقتصادية ، كما ان تذمر الركاب من ارتفاع الاجرة ينعكس بشكل سلبي على السائقين .

وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الأول ونتائج الدراسات السابقة نجد أنها تتفق مع دراسة هكاميز (Hakamies,١٩٩٥) ، التي اشارت الى وجود مشكلات لدى السائقين نحو الانتباة عند التقاطعات ومفارق الطرق وعند الظلام ، كما اتفقت أيضاً مع نتائج دراسة كراوز (Krause,١٩٩٦) التي اكدت على وجود مشكلات يعاني منها السائقون مثل : مشكلات ظروف العمل ، وتكرار مشكلات العمل ، ومقدار التركيز في العمل ، وقلة عدد فترات الراحة التي يقضيها السائق . كما اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة بوتس (Botes,١٩٩٧) التي دلت على وجود مشكلات يعاني منها السائقون مثل فقدان احترام الناس لهم . واتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة جراينر (Greiner,١٩٩٧) التي اشارت نتائجها الى وجود مشكلات يعاني منها السائقون

مثل : المشكلات الجسمية والعقلية والعاطفية ، وقلة الوقت المخصص للراحة ، ووجود الحواجز بين العاملين . كما اتفقت نتائجها مع نتائج دراسة شو (Chou,٢٠٠٠) التي اكدت على ان اختلاف سائقي تكسي الاجرة في طلبهم لاجور التنقل من يوم لآخر تبعا لظروف الطقس او ظروف قاهرة اخرى او مطالب دائرة السير او البلدية نحو نظافة السيارة وصلاحيتها للعمل . كما اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة هولاند (Holland,٢٠٠٠) التي اشارت الى وجود مشكلات نفسية مثل : المزاج المتقلب وضعف التركيز ، وتاثير كل من ذلك سلبيا على علاقة السائقين مع عائلاتهم ، وحياتهم الاجتماعية مع الاخرين . وفي الوقت نفسه اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة فيسي (Facey,٢٠٠٠) التي دلت نتائجها على ان انماط السلوك الصحية لدى السائقين تتاثر بظروف الوظيفة والعلاقات الاجتماعية للعاملين ، حيث يهمل السائقون صحتهم ضمن هذه الظروف الصعبة . كما اتفقت نتائج هذه الدراسة أيضاً مع نتائج دراسة (أرجن ، ورفاقه ، ١٩٨٦) التي اشارت الى ان العوامل الانسانية في ظل ظروف هندسية معينة للطريق تكون اساسية ورئيسة كسبب للحوادث التي يتعرض لها السائق ، ومع نتائج دراسة (بروك ، وبيرسون ، ١٩٨٥) التي ركزت نتائجها على تاثير العوامل الخارجية مثل : حرارة الجو ، وحرارة سطح الطريق ، وعدم وضوح معالم الطريق مما يؤدي الى تلف اطارات السيارات وبالتالي الى زيادة التعرض للحوادث المختلفة .

ثانياً : النتائج المتعلقة بالسؤال الثاني مع المناقشة : لقد نص السؤال الثاني من أسئلة الدراسة الحالية على الآتي :

هل للحالة الإجتماعية (أعزب ، متزوج) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نق الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس والناجمة عن سياسات الحصار الجماعي والإغلاق الإسرائيلية ؟ .

وقد انبثق عن هذا السؤال الفرضية الآتية : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠٫٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم ، تعزى لمتغير الحالة الإجتماعية .

ولفحص هذه الفرضية ، استخدم القائمون عليالدراسة الحالية اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين Independent -t- test . والنتائج يوضحها الجدول (٣) الآتي :

الجدول (٣)

نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لمتغير الحالة الإجتماعية

المتغير / الأبعاد	أعزب (ن = ٤٩)		متزوج (ن = ١٦١)		قيمة (ت)	الدلالة
	المتوسط	الإنحراف	المتوسط	الإنحراف		
المشكلات الأمنية	٤,١٠	٠,٥٤	٤,٠٥	٠,٦٤	٥,٥١	٠,٠٠٠ *
مشكلات الطرق الخارجية	٤,١٦٦	٠,٣٠	٤,١٦٢	٠,٣٤	٠,٠٦	٠,٩٥٠
مشكلات الركاب	٤,٣٩	٠,٥٩	٤,١٧	٠,٤٠	٢,٩٧	٠,٠٥٠ *
المشكلات المادية	٤,٧١	٠,٤٠	٤,٥٣	٠,٤٣	٢,٦٥	٠,٠٠٩ *
المشكلات العائلية	٤,٤٠	٠,٦٢	٤,٥٥	٠,٥٢	-١,٧٠	٠,٠٨٩
المجموع	٤,٥٦	٠,٢٦	٤,٤٠	٠,٢٨	٢,٧٥	٠,٠٠٦ *

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥).

ويتبين من الجدول السابق (٣) وجود فروق دالة إحصائياً بين كل من السائق المتزوج والسائق الأعزب في الدرجة الكلية لاستجاباتهم نحو المشكلات التي تواجههم، حيث كانت لصالح السائق الأعزب، أي أن درجة المشكلات التي تواجه السائق الأعزب هي أعلى من درجة المشكلات التي تواجه السائق المتزوج وبدلالة إحصائية. كما يتبين من الجدول السابق نفسه وجود فروق دالة إحصائياً بين كل من السائق المتزوج والسائق الأعزب، في استجاباتهم على أبعاد المشكلات الأمنية، ومشكلات الركاب، والمشكلات المادية، بينما لم تكن الفروق في استجاباتهم على أبعاد كل من مشكلات الطرق الخارجية، والمشكلات العائلية تصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية.

ويفسر القائمون على الدراسة الحالية هذه النتائج كما يلي:

الدرجة الكلية: يعزو الباحثون وجود فروق دالة إحصائياً بين كل من السائق المتزوج والسائق الأعزب في الدرجة الكلية لاستجاباتهم نحو المشكلات التي تواجههم، إلى أن هذه المشكلات قد يواجهها السائق الأعزب بخبرة قليله تجعله أكثر قلقاً على الحاضر والمستقبل، لا سيما من الناحية المالية والتخطيط لتكوين أسرة، وخشيته من أن يتصرف جيش الإحتلال تجاهه بشكل أكثر سلبية من السائق المتزوج عند رؤية البطاقة العسكرية التي يكون قد تمّ فيها تسجيل اسم الزوجة وعدد الأولاد، حيث يكون السائق الأعزب على الأرجح أصغر سناً من السائق المتزوج، مما يجعل جيش الإحتلال ينظر إليه نظرة الريب والشك، وبالتالي يكون

السائق الأعزب أكثر عرضة للمساءلة والاعتقال والتعذيب من السائق المتزوج .

وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الثاني ونتائج الدراسات السابقة نجد أنها تتفق مع دراسة كراوز (Krause,١٩٩٦) التي اكدت على وجود مشكلات يعاني منها السائقون مثل : مشكلات ظروف العمل ، وتكرار مشكلات العمل ، ومقدار التركيز في العمل ، وعدد فترات الراحة التي يقضيها السائق . كما اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة جراينر (Greiner,١٩٩٧) التي اشارت نتائجها الى وجود مشكلات يعاني منها السائقون مثل : المشكلات الجسمية والعقلية والعاطفية وقلة الوقت المخصص للراحة ، ووجود الحواجز بين العاملين .

بُعد المشكلات الأمنية: يعزو القائمون على الدراسة الحالية وجود فروق دالة إحصائياً بين كل من السائق المتزوج والسائق الأعزب في استجاباتهم على بعد المشكلات الأمنية ولصالح السائق الأعزب ، إلى أن الشخص الأعزب هو أكثر ميلاً واهتماماً بالإلتحاق بالمنظمات الفدائية المقاومة للإحتلال الإسرائيلي ، وذلك نظراً لأنه بالدرجة الأولى مسؤول عن نفسه ولا توجد أسرة يخشى على مصيرها ، وكل ما قد يكون لديه هو مجرد أب وأم كبيرين بالسن وقد يكون أحدهما أو كلا هما قد توفيا ، وإذا كان لديه أخوة أو أخوات فكل واحد منهم في الغالب مسؤول عن نفسه .

بُعد مشكلات الطرق الخارجية : لم تكن هناك فروق دالة إحصائياً في استجابات مجتمع الدراسة على هذا البعد تبعاً لمتغير الحالة الإجتماعية ، ويعود ذلك من وجهة نظر القائمين على هذه الدراسة إلى تشابه الظروف لدى كل من السائق الأعزب والمتزوج ، حيث الصعوبة والخطورة والمغامرة ، وممارسات جيش الإحتلال القمعية التي لا تكاد تفرق بين الطرفين سواءً على الطرق الخارجية المحيطة بالمدن والقرى أو على الطرق الإلتفافية والترابية ، وهو ما حصل بالفعل أثناء الإنتفاضة ، حيث استشهد عدد منهم نتيجة إطلاق النار عليهم من قبل قوات الإحتلال الإسرائيلي أو قطعان المستوطنين .

وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الثاني ونتائج الدراسات السابقة نجد أنها تتفق مع نتائج دراسة هكاميز (Hakamies,١٩٩٥) ، التي اشارت الى وجود مشكلات لدى السائقين نحو الانتباه عند التقاطعات ومفارق الطرق وعند الظلام ، كما اتفقت أيضاً مع نتائج دراسة كراوز (Krause,١٩٩٦) التي اكدت على وجود مشكلات يعاني منها السائقون مثل : مشكلات ظروف العمل ، وتكرار مشكلات العمل ، ومقدار

التركيز في العمل، وعدد فترات الراحة التي يقضيها السائق، كما اتفقت كذلك مع نتائج دراسة (أرجن، ورفاقه، ١٩٨٦) التي اشارت الى ان العوامل الانسانية في ظل ظروف هندسية معينة للطريق تكون اساسية ورئيسة كسبب للحوادث التي يتعرض لها السائق. وفي الوقت نفسه اتفقت نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسة (بروك، وبيرسون، ١٩٨٥) التي ركزت نتائجها على تاثير العوامل الخارجية مثل: حرارة الجو، وحرارة سطح الطريق، وعدم وضوح معالم الطريق، مما يؤدي الى تلف اطارات السيارات وبالتالي الى زيادة التعرض للحوادث المرورية.

بُعد مشكلات الركاب: يرجع القائمون على الدراسة الحالية وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات كل من السائق المتزوج والسائق الأعزب على هذا البعد، إلى طول الخبرة التي يتمتع بها السائق المتزوج، لأنه يكون غالباً أكبر سناً، وقد اعتاد على هذه المشكلات لسنوات طويلة ولا سيما خلال الإنتفاضة الفلسطينية الأولى (١٩٨٧ - ١٩٩٤)، وقد يكون الزواج ووجود الزوجة والأولاد قد أكسبت السائق المتزوج خبرة في التعامل والإحتكاك اليومي مع الآخرين برويّة وطول نفس، بينما السائق الأعزب يكون أقل خبرة ورويّة في التعامل مع الأحداث المحيطة، واقل قدرة على امتصاص غضب الركاب واستشعار مشكلاتهم ومعالجتها.

وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الأول ونتائج الدراسات السابقة، نجد أنها تتفق مع دراسة بوتس (Botes,١٩٩٧) التي دلت على وجود مشكلات يعاني منها السائقون مثل فقدان احترام الناس لهم، ومع نتائج دراسة شو (Chou,٢٠٠٠) التي اكدت على اختلاف سائقي تكسي الاجرة في طلبهم لاجور التنقل من يوم لآخر، وذلك تبعاً لظروف الطقس او ظروف قاهرة اخرى او مطالب دائرة السير او البلدية نحو نظافة السيارة وصلاحيتها للعمل.

بُعد المشكلات المادية: يعزو القائمون على الدراسة الحالية وجود فروق دالة إحصائياً بين كل من السائق المتزوج والسائق الأعزب في استجاباتهم على بعد المشكلات المادية ولصالح السائق الأعزب، إلى وجود الطموح الزائد من جانب السائق الأعزب في جني أرباح أكثر حتى يبني لنفسه مستقبلاً يفتح خلاله بيتاً، ويعمل على تكوين أسرة جديدة، مما يؤكد على أن القناعة لديه هي أقل من السائق المتزوج.

وقد يعود السبب أيضاً إلى تذمر السائق الأعزب وميله إلى الثورة على الأوضاع وعدم

القبول بها ، ولا سيما قيود البلدية ومطالب السلطة الوطنية الفلسطينية والترخيص والمخالفات من جانب الشرطة ، مما يجعله يميل إلى عدم تقبل ذلك بعكس السائق المتزوج الذي أكسبته الخبرة احترام القوانين والتعليمات وقبول الأمر الواقع . وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الأول ونتائج الدراسات السابقة نجد أنها تتفق مع دراسةشو (Chou,٢٠٠٠) التي اكدت على ان اختلاف سائقي تكسي الاجرة في طلبهم لاجور التنقل من يوم لآخر تبعا لظروف الطقس او ظروف قاهرة اخرى او مطالب دائرة السير او البلدية نحو نظافة السيارة وصلاحيتها للعمل .

بُعد المشكلات العائلية : لم تكن هناك فروق دالة إحصائياً في استجابات مجتمع الدراسة على هذا البُعد تبعاً لمتغير الحالة الإجتماعية . ويعود السبب في ذلك من وجهة نظر أصحاب الدراسة إلى أن المطالب الإجتماعية نحو الأسرة أو الجيران أو الأصدقاء وكذلك الخوف على حياة السائق من جانب محيطه الإجتماعي هي متشابهة سواء كان السائق متزوجاً أو أعزباً ، وإن كانت تبدو أحياناً أكثر عند السائق المتزوج ، إلا أنها ليست للدرجة الدالة إحصائياً . وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الأول ونتائج الدراسات السابقة نجد أنها تتفق مع دراسة هولاند (Holland,٢٠٠٠) التي اشارت الى وجود مشكلات نفسية مثل : المزاج المتقلب وضعف التركيز ، وتاثير كل من ذلك سلبيا على علاقة السائقين مع عائلاتهم ، وحياتهم الاجتماعية مع الاخرين .

ثالثاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الثالث مع المناقشة : لقد نص السؤال الثالث من أسئلة الدراسة الحالية على الآتي : هل لعدد الأفراد المعالين (٤ أشخاص فأقل ، من ٥ – ٨ أشخاص ، ٩ أشخاص فأكثر) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس نتيجة ممارسات جيش الإحتلال الإسرائيلي؟ .

وقد انبثق عن هذا السؤال الفرضية الآتية : لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠٥ , ٠) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم ، تعزى لمتغير عدد الأفراد المعالين .

ولفحص هذه الفرضية ، استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار تحليل التباين الأحادي ANOVA One Way والتي تظهر نتائجه في الجدول (٤) الآتي :

الجدول (٤)

نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لمتغير عدد الأفراد المعالين

نوع المشكلات	مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	(ف)	الدلالة
المشكلات الأمنية	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٤١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٤١٢			
الطرق الخارجية	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٤١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٤١٢			
مشكلات الركاب	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٤١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٤١٢			
المشكلات المادية	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٤١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٤١٢			
المشكلات العائلية	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٤١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٤١٢			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٤١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٤١٢			

[illegible]

ويتضح من الجدول السابق (٤) عدم وجود فروق دالة إحصائياً في الدرجة الكلية لاستجابات سائقي سيارات نقل الركاب العمومي في محافظة نابلس نحو المشكلات التي تواجههم خلال انتفاضة الأقصى تعزى لمتغير عدد الأفراد المعالين، وكذلك عدم وجود فروق دالة إحصائياً في استجاباتهم على أبعاد مشكلات الطرق الخارجية، ومشكلات الركاب، والمشكلات المادية، والمشكلات العائلية، بينما كانت هناك فروق دالة إحصائياً في استجاباتهم على بُعد المشكلات الأمنية تبعاً لمتغير عدد الأفراد المعالين.

ولكي نحدد لصالح من تكون هذه الفروق واضحة في استجابات السائقين على بُعد المشكلات الأمنية تبعاً لمتغير عدد الأفراد المعالين، فقد استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية التي يوضح نتائجها الجدول (٥) الآتي:

الجدول (٥)
نتائج اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية بين المجموعات على بعد المشكلات الأمنية تبعاً لمتغير عدد الأفراد المعالين

عدد الأفراد المعالين	٤ أشخاص فأقل	من ٥ – ٨ أشخاص	٩ أشخاص فأكثر
٤ أشخاص فأقل		٥٢١، *	٢٨١،
من ٥ – ٨ أشخاص			٢٤٠، -
٩ أشخاص فأكثر			

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠٥ , ٠).

ويتبين من الجدول (٥) السابق وجود فروق في المقارنات بين السائقين الذين يعيلون أربعة أشخاص فأقل، والسائقين الذين يعيلون من ٥ – ٨ أشخاص، ولصالح الذين يعيلون أربعة أشخاص فأقل، بينما لم تظهر لدى بقية المجموعات أية فروق دالة إحصائياً.

ويعزو القائمون على الدراسة الحالية هذه النتيجة إلى أن السائقين الذين يعيلون أربعة أشخاص فأقل عندهم المشكلات الأمنية أكثر، لأن المعالين يكونوا في الغالب أطفالاً يخشى على مستقبلهم، وبالتالي فإن زوجته وأطفاله يخشون عليه أكثر. وقد يعود كذلك إلى كون السائق الذي يعول أربعة أفراد أو أقل يمثلون الوالدين وبعض الأخوات وهو أعزب، مما يثير المخاوف الأمنية التي تزداد بسبب صغر سنه، وبالتالي التعرض للمشكلات الأمنية أكثر. بينما السائق الذي يعول أكثر من أربعة أفراد قد يكون كبير السن وهو بالتالي أقل عرضة للمشكلات الأمنية، وأولاده الكبار يساعدونه على شظف العيش وتحمل جزء من المسؤولية.

أما بالنسبة لعدم وجود فروق دالة إحصائياً لاستجابات السائقين على بقية الأبعاد والدرجة الكلية للأبعاد قاطبة تبعاً لمتغير عدد الأفراد المعالين، فيرجع أصحاب الدراسة ذلك إلى عدم شعور أفراد العائلة كثيراً بمشكلات الركاب والطرق الخارجية التي يواجهها السائق بنفسه يومياً، وبالتالي ليس لعدد أفراد الأسرة التي يعيلها السائق أهمية في استجاباته على تلك الأبعاد.

أما بالنسبة للمشكلات المادية والمشكلات العائلية فتكاد تكون متشابهة للسائق الذي يعيل أسرة بصرف النظر عن عدد أفرادها، حيث قلق الأسرة على الأمور المادية والعائلية.

وإذا كان هذا ينطبق على الطرق الخارجية التي يسلكها السائق وعلى مشكلات الركاب والمشكلات المالية والعائلية، فإننا نتوقع أن لا توجد فروق بين حجم الأفراد المعالين وبين الدرجة الكلية للمشكلات.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية في هذا الصدد مع بعض نتائج دراسة مكفيتي (McVittie,١٩٩٦) التي ركزت على الامن الوظيفي والتكاليف المادية، ومع بعض نتائج دراسة فيسي (Facey,٢٠٠٠) التي اهتمت بمخاطر العمل الكثيرة.

رابعاً: النتائج المتعلقة بالسؤال الرابع ومناقشتها: لقد نص السؤال الرابع من أسئلة الدراسة الحالية على الآتي: هل للعمر (أقل من ٣٠ سنة، من ٣٠ إلى اقل من ٤٠ سنة، ٤٠ سنة فأكثر) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس جراء الممارسات التعسفية الإسرائيلية؟.

وقد انبثق عن هذا السؤال الفرضية الآتية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم، تعزى لمتغير العمر.

ولفحص هذه الفرضية، استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA التي تظهر نتائجه في الجدول (٦) الآتي:

الجدول (٦)
نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لمتغير العمر

أبعاد المشكلات	مصدر التباين	مجموع مربعات الانحرافات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة (ف)	الدلالة
المشكلات الأمنية	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٢١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			
الطرق الخارجية	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٢١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			
مشكلات الركاب	بين المجموعات	[illegible]	٢	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	داخل المجموعات	[illegible]	٢١٠	[illegible]		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			

[illegible]	بين المجموعات	٫٥١٥	٢	٫٢٥٨	١٫٥٤١	٫٢١١
	داخل المجموعات	٣٣٫٨٣٢	٢١٠	٫١٦٠		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			
[illegible]	بين المجموعات	٫٦٩٠	٢	٫٣٤٥	١٫١٤٦	٫٣٢
	داخل المجموعات	٦٣٫٢١٥	٢١٠	٫٣٠١		
	المجموع	٦٣٫٩٠٥	٢١٢			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	١٫٣٥٠	٢	٫٦٧٥	٤٫٨٩٧	*٫٠٠٩
	داخل المجموعات	[illegible]	٢١٠	٫١٣٨		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠٫٠٥).

ويتضح من الجدول السابق (٦) وجود فروق دالة إحصائياً في الدرجة الكلية لاستجابات سائقي سيارات نقل الركاب العمومي في محافظة نابلس نحو المشكلات التي تواجههم خلال انتفاضة الأقصى تعزى لمتغير العمر، وكذلك وجود فروق دالة إحصائياً في استجاباتهم على بُعد المشكلات الأمنية، بينما لم تكن هناك فروق دالة إحصائياً في استجاباتهم على أبعاد مشكلات الطرق الخارجية، ومشكلات الركاب، والمشكلات المادية، والمشكلات العائلية تبعاً لمتغير عمر السائق.

ولكي نحدد لصالح من تكون هذه الفروق واضحة في استجابات السائقين على بُعد المشكلات الأمنية تبعاً لمتغير العمر، فقد استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية والتي يوضح نتائجها الجدول (٧) الآتي:

الجدول (٧)
نتائج اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية بين المجموعات على بعد المشكلات الأمنية

المتغير	أقل من ٣٠ سنة	من ٣٠ إلى أقل من ٤٠ سنة	٤٠ سنة فأكثر
أقل من ٣٠ سنة		٣٣١، *	٥٠١، *
من ٣٠٥ إلى أقل من ٤٠ سنة			١٧٠،
٤٠ سنة فأكثر			

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠٫٠٥).

ويتبين من الجدول السابق (٧) وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين نحو بُعد المشكلات الأمنية التي تواجههم في محافظة نابلس تبعاً لمتغير العمر، حيث كانت كالآتي:

- (السائقين الذين أعمارهم أقل من ٣٠ سنة ، والذين أعمارهم من ٣٠ إلى أقل من ٤٠ سنة) ولصالح السائقين الذين أعمارهم أقل من ٣٠ سنة .
- (السائقين الذين أعمارهم أقل من ٣٠ سنة ، والذين أعمارهم من ٤٠ سنة فأكثر) ولصالح السائقين الذين أعمارهم أقل من ٣٠ سنة .

ويعزو القائمون على الدراسة هذه النتيجة إلى أن مخاوف السائقين الذين تقل أعمارهم عن (٣٠) سنة تجاه قوات الإحتلال الإسرائيلي حيث أنهم معرضون أكثر من غيرهم للمشكلات الأمنية وللإجراءات القمعية كالاعتقال أو التعذيب أو القتل . هذا بالإضافة إلى كون هذه الفئة العمرية أكثر سرعة وميلاً للإنفعال والغضب ورد الفعل المضاد تجاه تصرفات جيش الإحتلال الإسرائيلي ، مما يجعلهم يخشون من مواجهتهم لأن الإستعداد للصدام معهم يكون أكثر احتمالاً ، هذا ناهيك عن احتمال التحاق هذه الفئة بالمنظمات الفدائية المختلفة التي تقاوم الاحتلال وظلمه .

وعند الموازنة بين النتائج التي توصلت إليها الدراسة الحالية فيما يخص السؤال الأول ونتائج الدراسات السابقة ، نجد أنها تتفق مع دراسة (آل الشارع ، ورفاقه ، ١٩٨٧) التي كشفت عن ان صغار السن والشباب من السائقين أكثر تعرضا للتصرفات المسببة لحوادث السير ، وأكثر وقوعاً في مخالفات السير .

و من أجل تحديد لصالح من تكون الفروق واضحة في استجابات السائقين على الدرجة الكلية تبعاً لمتغير العمر ، فقد استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية التي يوضح نتائجها الجدول (٨) الآتي :

الجدول (٨)
نتائج اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية بين المجموعات على الدرجة الكلية للمشكلات تبعاً لمتغير العمر

المتغير	أقل من ٣٠ سنة	من ٣٠ إلى أقل من ٤٠ سنة	٤٠ سنة فأكثر
أقل من ٣٠ سنة		،٠٨٥٨	،١٩٦*
من ٣٠٥ إلى أقل من ٤٠ سنة			،١١٠
٤٠ سنة فأكثر			

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (= ٠٥ , ٠).

ويتبين من الجدول السابق (٨) وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين على الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجههم في محافظة نابلس تبعاً لمتغير العمر، حيث كانت الفروق بين (السائقين الذين أعمارهم أقل من ٣٠ سنة، والذين أعمارهم من ٤٠ سنة فأكثر) ولصالح السائقين الذين أعمارهم أقل من ٣٠ سنة.

ويعزو القائمون على الدراسة الحالية هذه النتيجة إلى خطورة المشكلات الأمنية على حياة السائقين بشكل يتجاوز مشكلات الركاب والطرق الخارجية والمشكلات المادية والمشكلات العائلية، فكانت الفروق في الدرجة الكلية لصالح صغار السن من السائقين (أقل من ٣٠ سنة). وقد يعود السبب في ذلك من وجهة نظر أصحاب الدراسة إلى أنه من السهولة بمكان التغلب على جميع المشكلات في الأبعاد المذكورة سابقاً، لأنها تحت سيطرة السائق في الغالب، باستثناء المشكلات الأمنية التي تمثل سيطرة تامة من جانب جيش الإحتلال الإسرائيلي، مما رفع من رصيد المشكلات الأمنية وأثرت بدورها على الدرجة الكلية.

وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (آل شارع، ورفاقه، ١٩٨٧) في أن معدل المخاطرة كأحد الخصائص النفسية أثناء قيادة السيارات عند الشباب وصغار السن تكون بدرجة أعلى بالمقارنة مع غيرهم، بينما تتعارض هذه النتيجة مع دراسة كراوز (Krause, ١٩٩٦) التي أظهرت أن المشكلات الجسمية عند السائقين كآلام الرقبة والظهر تزداد مع عدد سنوات السياقة، كما تعارضت هذه النتيجة أيضاً مع نتيجة دراسة هكاميز (Hakamies, ١٩٩٥) التي أظهرت أن السائقين كبار السن عندهم ارتفاع في عدد حوادث السير نتيجة ازدياد مشكلات ضعف التركيز أوالإنتباه. ويعود هذا التعارض في النتيجة إلى اختلاف عينة الدراسة وأداة الدراسة والفترة الزمنية التي أجريت فيها الدراسة.

خامساً: النتائج المتعلقة بالسؤال الخامس ومناقشتها: لقد نص السؤال الخامس من أسئلة الدراسة الحالية على الآتي: هل للمستوى التعليمي (ابتدائي، إعدادي، ثانوي، أعلى من الثانوية العامة) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس بسبب الممارسات الإسرائيلية القمعية؟.

وقد انبثق عن هذا السؤال الفرضية الآتية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة ([illegible] = ٠٫٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم تعزى لمتغير المستوى التعليمي.

ولفحص هذه الفرضية، استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار تحليل التباين الأحادي One Way ANOVA والتي تظهر نتائجه في الجدول (٩) الآتي:

الجدول (٩)
نتائج اختبار تحليل التباين الأحادي لمتغير المستوى التعليمي

نوع المشكلات	مصدر التباين	مجموع مربعات الانحراف	درجات الحرية	متوسط المربعات	(ف)	الدلالة
المشكلات الأمنية	بين المجموعات	٨,١٠٠	٣	٢,٧٠٠	٦,٥٨	*٠,٠٠٠
	داخل المجموعات	٨٥,٦٩٣	٢٠٩	٠,٤١٠		
	المجموع	٩٣,٧٩٣	٢١٢			
الطرق الخارجية	بين المجموعات	٠,٢٨٨	٣	٠,٠٩٦	٠,٢١٤	٠,٨٨١
	داخل المجموعات	٩٢,٥٢٦	٢٠٩	٠,٤٤٣		
	المجموع	٩٢,٨١٤	٢١٢			
مشكلات الركاب	بين المجموعات	١,٧٥٨	٣	٠,٥٨٦	١,٣٥٠	٠,٥٥١
	داخل المجموعات	٩٠,٧٥٨	٢٠٩	٠,٤٣٤		
	المجموع	٩٢,٥١٦	٢١٢			
المشكلات المادية	بين المجموعات	٥,٧٠٣	٣	١,٩٠١	٤,٩٦٧	*٠,٠٠٢
	داخل المجموعات	٨٠,٠٣٣	٢٠٩	٠,٣٨٣		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			
المشكلات العائلية	بين المجموعات	١,٨٢٩	٣	٠,٦١٠	٢,٠٨٥	٠,١٠٧
	داخل المجموعات	[illegible]	٢٠٩	٠,٢٩٢		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			
الدرجة الكلية	بين المجموعات	٢,٠٢٦	٣	٠,٦٧٥	٥,٥٨٦	*٠,٠٠١
	داخل المجموعات	[illegible]	٢٠٩	٠,١٢٥		
	المجموع	[illegible]	٢١٢			

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥)

ويتضح من الجدول السابق (٩) أنه توجد فروق دالة إحصائياً في الدرجة الكلية لاستجابات سائقي سيارات نقل الركاب العمومي في محافظة نابلس نحو المشكلات التي تواجههم خلال انتفاضة الأقصى تعزى لمتغير المستوى التعليمي، كما توجد فروق دالة إحصائياً في استجاباتهم على بُعدي المشكلات الأمنية، والمشكلات المادية، بينما لم توجد فروق دالة إحصائياً في استجاباتهم على أبعاد مشكلات الطرق الخارجية، ومشكلات الركاب، والمشكلات العائلية، تبعاً لمتغير المستوى التعليمي.

ولكي نحدد لصالح من تكون هذه الفروق واضحة في استجابات السائقين على بُعد المشكلات الأمنية تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، فقد استخدم القائمون على هذه الدراسة اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية والتي يوضح نتائجها الجدول (١٠) الآتي:

الجدول (١٠)
نتائج اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية بين المجموعات للمشكلات الأمنية

المستوى التعليمي	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	أعلى من الثانوية العامة
ابتدائي		،١٧٣	،٥٥٨*	،٥٧٢*
إعدادي			،٣٨٤*	،٣٩٩*
ثانوي				،٠١٤٨
أعلى من الثانوية العامة				

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (= ٠٥, ٠).

ويتبين من الجدول السابق (١٠) وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين نحو بُعد المشكلات الأمنية التي تواجههم في محافظة نابلس تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، حيث كانت كالآتي:

- (السائقون من ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي، والسائقون من ذوي المستوى التعليمي الثانوي) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي.
- (السائقون من ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي، والسائقون من ذوي المستوى التعليمي الأعلى من الثانوية العامة) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي.
- (السائقون ذوي المستوى التعليمي الإعدادي، والسائقون ذوي المستوى التعليمي الثانوي) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإعدادي.
- (السائقون من ذوي المستوى التعليمي الإعدادي، والسائقون من ذوي المستوى التعليمي الأعلى من الثانوية العامة) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإعدادي.

ويعزو القائمون على الدراسة الحالية السبب في تعرض السائقين ذوي التحصيل المتدني أكثر من غيرهم للمشكلات الأمنية من جانب قوات الإحتلال الإسرائيلي إلى أن كثيراً منهم يكون قد انخرط في صفوف المقاومة المناهضة للإحتلال، وهذه الفئة غير متعلمة تعليماً ثانوياً أو جامعياً تثير الشكوك من جانب جيش الإحتلال الإسرائيلي نظراً لسهولة التأثير عليها من

جانب الآخرين، وبالتالي إمكانية الإلتحاق بالتنظيمات السياسية المناوئة للإحتلال الإسرائيلي. وربما يعود السبب قي ذلك أيضاً إلى أن السائق الأكثر تعلماً يعدّ أكثر انضباطية في السلوك والتعامل مع الآخرين، مما يجعله أقل عرضة للصدام مع جيش الإحتلال الإسرائيلي على الحواجز العسكرية.

ومن أجل تحديد لصالح من تكون الفروق واضحة في استجابات السائقين على بُعد المشكلات المادية تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، فقد استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية والتي يوضح نتائجها الجدول (١١) الآتي:

الجدول (١١)
نتائج اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية بين المجموعات للمشكلات المادية

المستوى التعليمي	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	أعلى من الثانوية العامة
ابتدائي		،٠٧٣	،٣١٠	،٣٠٦
إعدادي			،٢٣٦	،٢٣٠
ثانوي				،٠٣٢
أعلى من الثانوية العامة				

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠٥ , ٠).

ويتبين من الجدول (١١) السابق وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين نحو بُعد المشكلات المادية التي تواجههم في محافظة نابلس تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، حيث كانت الفروق بين (السائقين ذوي المستوى التعليمي الإعدادي، والسائقين ذوي المستوى التعليمي الثانوي) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإعدادي.

ويعزو القائمون على الدراسة الحالية هذه النتيجة، إلى قلق المتعلمين تعليماً أساسياً نحو مستقبلهم ووضعهم المادي، نظراً لصعوبة مزاولتهم مهنة أخرى غير السياقة تتطلب شهادات أعلى من الأساسية كالثانوية العامة، في حين يكون السائق حامل الشهادة الثانوية العامة أكثر اطمئناناً من الناحية المادية لسببين: الأول أنه أكثر تنظيماً ودقة في تعامله مع مردوده المادي من جهة، وإمكانية وجود فرصة أخرى للعمل من جهة ثانية ومصدر دخل آخر يخفف من حدة مشكلاته المادية.

ومن أجل تحديد لصالح من تكون الفروق واضحة في استجابات السائقين على الدرجة

الكلية للمشكلات التي تواجههم تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، فقد استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية والتي يوضح نتائجها الجدول (١٢) الآتي :

الجدول (١٢)
نتائج اختبار (شفيه) للمقارنات البعدية بين المجموعات للدرجة الكلية للمشكلات تبعاً لمتغير المستوى التعليمي

المستوى التعليمي	ابتدائي	إعدادي	ثانوي	أعلى من الثانوية العامة
ابتدائي		،٠٨٧	،٢٣٣*	،٣٠٦*
إعدادي			،١٨٦	،٢١٩*
ثانوي				،٠٣٣٣
أعلى من الثانوية العامة				

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠٥ , ٠).

ويتبين من الجدول السابق (١٢) وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين على الدرجة الكلية للمشكلات التي تواجههم في محافظة نابلس تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، حيث كانت كالآتي :

- (السائقون من ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي، والسائقون من ذوي المستوى التعليمي الثانوي) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي.
- (السائقون من ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي، والسائقون من ذوي المستوى التعليمي الأعلى من الثانوية العامة) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإبتدائي.
- (السائقون من ذوي المستوى التعليمي الإعدادي، والسائقون من ذوي المستوى التعليمي الأعلى من الثانوية العامة) ولصالح السائقين ذوي المستوى التعليمي الإعدادي.

ويعزو القائمون على الدراسة الحالية هذه النتيجة، إلى قدرة الفئات الأكثر تعلماً على التخطيط والتنظيم واستغلال الفرص والعمل في أكثر من مهنة بحكم الشهادات التي يمتلكونها، وسعة الإطلاع والإحتكاك بالفئات المثقفة التي قد تتيح فرصاً جديدة للعمل، وقدراً أكبر على مواجهة المشكلات والتعامل معها، إضافة إلى أن فئة السائقين ذوي المستوى التعليمي العالي قد تميل إلى تنظيم النسل، فيكون عدد أفراد أسرتها أقل وبالتالي تكون المشكلات المالية أقل حدة.

أما عن عدم وجود فروق في إجابات السائقين على أبعاد مشكلات الطرق الخارجية، ومشكلات الركاب، والمشكلات العائلية، تبعاً لمتغير المستوى التعليمي، فربما يعود السبب في ذلك من وجهة نظر الباحثين إلى تشابه الظروف بالنسبة لمشكلات الطرق الخارجية ومشكلات الركاب، والحرص على شؤون العائلة من جانب السائقين، وحرص العائلة على أبنائها السائقين مهما اختلفت مستوياتهم الثقافية.

سادساً: النتائج المتعلقة بالسؤال السادس ومناقشتها: لقد نص السؤال السادس من أسئلة الدراسة الحالية على الآتي: هل لخط سير السيارة (من مدينة إلى مدينة أخرى، ومن قرية إلى مدينة) دور في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس نتيجة لسياسات جيش الإحتلال الإسرائيلي؟.

وقد انبثق عن هذا السؤال الفرضية الآتية: لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥) في التعرف إلى المشكلات التي تواجه سائقي سيارات العمومي خلال انتفاضة الأقصى في محافظة نابلس كما يراها السائقون أنفسهم تعزى لمتغير خط سير السيارة.

ولفحص هذه الفرضية، استخدم القائمون على الدراسة الحالية اختبار (ت) لمجموعتين مستقلتين Independent -t- test. والنتائج يوضحها الجدول (١٣) الآتي:

الجدول (١٣)
نتائج اختبار (ت) لعينتين مستقلتين لمتغير خط سير السيارة

المتغير / البعد	من مدينة – مدينة (ن = ١٠٦)		من قرية – مدينة (ن = ١٠٩)		قيمة (ت)	الدلالة
	المتوسط	الإنحراف	المتوسط	الإنحراف		
المشكلات الأمنية	٤,١٨	,٦١	٤,١٩	,٧٢	-٠,٠٧٩	,٩٤
مشكلات الطرق الخارجية	٤,٦٩	,٣٦	٤,٦٨	,٤٥	,٢٠٨	,٧٥٩
مشكلات الركاب	٤,٠٦	,٧١	٤,٣٨	,٦١	-٣,٤٤	*,٠٠١
المشكلات المالية	٤,٥٤	,٤٣	٤,٥٩	,٤٤	-,٨٨٣	,٣٧٩
المشكلات العائلية	٤,٥٩	,٥١	٤,٤٣	,٥٧	٢,١٩٥	*,٠٢٩
المجموع	٤,٤١	,٣٦	٤,٤٥	,٣٦	-,٧٨٧	,٤٣٢

* دالة إحصائياً عند مستوى الدلالة (α = ٠,٠٥).

ويتبين من الجدول السابق (١٣) وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين نحو بعد مشكلات الركاب وبعد المشكلات العائلية تبعاً لمتغير خط سير السيارة، بينما لم تكن الفروق في استجاباتهم على أبعاد كل من المشكلات الأمنية، ومشكلات الطرق الخارجية، والمشكلات المادية، وكذلك الفروق في استجاباتهم على الدرجة الكلية، لم تكن تصل إلى مستوى الدلالة الإحصائية.

ويفسر القائمون على الدراسة الحالية هذه النتائج كما يلي: يعود السبب في وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين نحو بعد مشكلات الركاب تبعاً لمتغير خط سير السيارة، ولصالح السائقين الذين يعملون على خط سير (مدينة – قرية) إلى كثرة قيام سلطات الإحتلال بإغلاق الطرق المؤدية إلى القرى في حملة لعقاب أهلها جماعياً كلما قام أحد سكانها بمهاجمة السيارات العسكرية المارة أو سيارات المستوطنين، مما يدفع السائقين إلى البحث عن طرق وعرة جداً وطويلة للغاية للوصول إلى قراهم، بل الوقوف ساعات طويلة أحياناً أمام الحواجز الإسرائيلية الدائمة أو المؤقتة، مما يزيد من شكاوي الركاب وتذمرهم، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار أجرة النقل ربما نسبياً بالمقارنة مع أسعار أجرة النقل بين مدينة وأخرى.

وتتفق هذه النتيجة الى حد ما مع بعض نتائج دراسة بيري (Berry,١٩٩٨) التي اشارت الى وجود متاعب يثيرها الركاب لسائق السيارة من وقت لآخر. كما يعود السبب في وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين نحو بعد المشكلات العائلية تبعاً لمتغير خط سير السيارة، ولصالح السائقين الذين يعملون على خط سير (مدينة – مدينة) إلى طول المسافة التي يقطعها السائق بين مدينة وأخرى، وكثرة الأخطار المحدقة بالطرق الطويلة هذه من جانب الحواجز العسكرية الإسرائيلية ومن جانب قطعان المستوطنين، وطول المدة التي تستغرقها السيارة للانتقال من مدينة إلى أخرى، واضطرار السائق إلى المبيت في مدينة أخرى مما يزيد من قلق العائلة عليه.

وتتفق هذه النتيجة الى حد ما مع بعض نتائج دراسة هولاند (Holland,٢٠٠٠) التي اكدت على ظهور مشكلات عائلية لدى السائقين، كما تتفق جزئيا مع بعض نتائج دراسة (السيف، ١٩٨٦) التي ربطت بين الحوادث والمشكلات الاجتماعية.

أما بالنسبة لعدم وجود فروق دالة إحصائياً في استجابات السائقين نحو أبعاد المشكلات الأمنية، ومشكلات الطرق الخارجية، والمشكلات المادية، واستجاباتهم أيضاً على الدرجة الكلية للمشكلات تبعاً لمتغير خط سير السيارة، فيعزو القائمون على الدراسة الحالية السبب

في ذلك إلى أن المخاوف موجودة سواءً في الطرق الداخلية أو الخارجية، وكلاهما يحتاج إلى سلوك طرق جديدة وعرة وخطيرة، وأن التكاليف المادية لإصلاح السيارات متشابهة نظراً للطرق غير الصالحة التي تسلكها السيارات من مدينة إلى أخرى أو مدينة إلى قرية. ونظراً لتشابه هذه الظروف الصعبة جميعاً، فإن الدرجة الكلية لم يظهر فيها فروق بين مدينة ومدينة، وبين مدينة وقرية.

وتتفق نتائج الدراسة الحالية في هذا الجزء بالذات مع بعض نتائج دراسات كل من (بروك، وبيرسون، ١٩٨٥) و(أرجن، ورفاقه، ١٩٨٦) و (عبد الغني، ورفاقه، ١٩٨٧) التي اشارت الى وجود علاقة بين نوعية الطرق وتلف الاطارات وزيادة الاعطال الميكانيكية والتصليحات وزيادة عدد حوادث المرور.

التوصيات

اقترح القائمون على الدراسة الحالية مجموعة من التوصيات، في ضوء النتائج التي تم التوصل إليها، وتتمثل هذه التوصيات في الآتي:

* عمل دورات تدريبية وتأهيلية للسائقين، تتضمن أساليب السياقة السليمة وقت الأزمات بالذات والتعامل مع الظروف الصعبة، بالإضافة إلى التعبئة النفسية والذهنية بما يتناسب مع ظروف الإنتفاضة.
* مطالبة الهيئات المختصة بالعمل على تخفيض الضريبة السنوية ورسوم الترخيص المفروضة على سائقي سيارات نقل الركاب العمومي ورسوم مجمع السيارات ولا سيما من البلدية والسلطات المحلية.
* العمل على إظهار دور السائق وإبراز عمله البطولي من خلال وسائل الإعلام كجندي مجهول خلال انتفاضة الأقصى في نقل المواطنين من مكان لآخر رغم المخاطر الشديدة.
* تكثيف المواد التدريبية المطروحة من خلال كليات التدريب الخاصة بسائقي سيارات نقل الركاب العمومي خلال الظروف الصعبة التي يمر بها السائقين خلال الانتفاضة.
* توضيح المشكلات الامنية والمادية والعائلية التي يعاني منها سائقو سيارات نقل الركاب العمومي في وسائل الاعلام الفلسطينية والعربية والدولية.
* توضيح الممارسات الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني، ولا سيما الممارسات التي يقوم بها جيش الاحتلال، وقطعان المستوطنين ضد سائقي السيارات بشكل عام، وسائقي نقل

الركاب العمومي بشكل خاص .

* إجراء دراسة ميدانية حول السمات الشخصية التي ينبغي أن تتوفر في سائق سيارة نقل الركاب العمومي وعلاقة ذلك بفعالية العمل لديه .

* إجراء دراسة ميدانية تتناول مشكلات سائقي الشحن خلال الانتفاضة من حيث متغيرات نوع البضاعة المنقولة، وعدد مرات التنقل الأسبوعي، والراتب الشهري، وطول المسافة المقطوعة أسبوعياً، وحداثة المركبة .

مراجـع الدراسة

أولاً: المراجع العربيــة:

١ . أبو النيل، محمود. (١٩٨٥). علم النفس الصناعي: بحوث عربية وعالمية، بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر.

٢ . أرجن وآخرون (١٩٨٦). "مشاكل السلامة على الطرق في المملكة العربية السعودية"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

٣ . آل شارع وآخرون. (١٩٨٧). "تحليل الخصائص النفسية والإجتماعية المتعلقة بسلوك قيادة السيارات بالمملكة العربية السعودية"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

٤ . بروك، ن. هـ.، وبيرسون ح. ل. (١٩٨٥) "تلف الإطارات في المملكة العربية السعودية وأثره على حوادث السير"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

٥ . السيف، عبد الجليل ورفاقه (١٩٨٦) "أسباب ارتفاع نسبة إصابات حوادث المرور في كل من منطقة مكة المكرمة والمنطقة الشرقية"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

٦ . صليل، يونس علي ورفاقه. (١٩٨٦). "مشروع سلامة المشاه"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

٧ . طبيلة، زهدي (١٩٩٨). "محاضرات في سيكلوجية السائق" مادة غير منشورة، كلية الشهيد أبو جهاد، نابلس، فلسطين.

٨ . عبد الغني، خالد (١٩٨٥). "تسجيل الحوادث على الطرق الطويلة"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

٩ . عبد الغني والرطروط. (١٩٨٦). "تحديد السرعات في شوارع مدينة الدمام"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

١٠ . عبد الغني وآخرون. (١٩٨٧). "الحمولة الزائدة للشاحنات"، تقرير غير منشور، وزارة الداخلية، الرياض/ المملكة العربية السعودية.

١١ . كلية الشهيد أبو جهاد، (٢٠٠١) "برنامج ومساقات الدورات التدريبية للسائقين" تقارير غير منشورة، نابلس فلسطين.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

12. Berry, Kimberly Masgaset (1998) . "She is no lady .The experience and expression of gender among women taxi drivers ". Master Abstracts International 36 (02), 369.

13. Botes, Goudine (1997) . " A systematic study of the attitudes of minibus taxi drivers towards traffic law enforcement as a basic for the formulation of a management system for the South African minibus taxi industry" . Dissertation Abstracts International ,58(03), 1575-B .

14. Chou, Yuan K.(2000) "Essays on wage bargaining, unions and inflation, and alternative theories of labour supply". Dissertation Abstracts International, 60(12),4543-A.

15. Facey , Marcia E. (2000). "Inside coloured cabs:Understanding work and health from the perspective of visible minority taxicab drivers". Master Abstracts International, 38(03), 691.

16. Greiner, Birgit Anita (1997) . "Occupational stress and alcohol consumption : self-report versus observational data in San Francisco bus drivers" . Dissertation Abstracts International , 57(09) ,5600-B.

17. Hakamies, Liisa Emilia (1995). "older drivers in Finland : Traffic safety and behavior" . Dissertation Abstracts International, 56(01), 54.

18. Holland, Dennis Wayne (2000). "The effect of fatigue on the professional and personal lives of train drivers : A qualitative study" . Dissertation Abstracts International,60(08) ,3864-B.

19. Krause, Niklas (1996) . "Back and neck pain in San Francisco bus drivers : The role of biomechanical and psychological job factors" . Dissertation Abstracts International, 57(03),1719-B.

20. McVittie, Scott. (1996) . "A job factor ranking analysis at four selected truckload motor freight carriers : A study of the perceptions of irregular route truck drivers and their dispatchers" . Dissertation Abstracts International,56(11), 4249-A.

21. Myres, Cindy Mastin (2000) . "School experience of professional race car drivers : A qualitative analysis . Dissertation Abstracts International,61(06),2255-A.

دراسة مقارنة لإدارة شؤون الطلبة في الجامعة الانتظامية وجامعة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد

د. نادر أبو خلف*

* مدي برنامج التربية / جامعة القدس المفتوحة

ملخص

هذه دراسة مقارنة لإدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد. وتستهل الدراسة باستعراض البعد التاريخي لإدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية من خلال التجربة العربية الإسلامية، والتجربة الأوروبية والتجربة الأمريكية. وتستعرض، من ناحية أخرى، ظهور إدارة شؤون الطلبة في جامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد. ثم تتناول تنظيم إدارة شؤون الطلبة ووظيفتها وتأثر هذه الإدارة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات في كلا النوعين من الجامعات. وتناقش الدراسة أخيراً دور إدارة شؤون الطلبة في تطوير شخصية الطالب التي تعدُّ الهدف الرئيس للتعليم الجامعي في إطار الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد.

Abstract

This is a comparative study for the student affairs administration in both the formal university system and the open and distance learning system . It reviews the historical perspective of the student affairs of the formal system in the context of the Islamic - Arabic , European , and American experiences . It also reviews the emergence of student affairs in the open and distance learning system . In addition , it illustrates the organization, function , and the influence of information and communication technology on both systems . The study finally elaborates the role of the student affairs administration in the development of the student character which is considered to be the chief goal of university education through formal or open and distance learning settings .

دراسة مقارنة لإدارة شؤون الطلبة في الجامعة الانتظامية وجامعة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد

المقدمة:

يشهد التعليم الجامعي في مختلف مستوياته وأنواعه ونظمه نمواً مذهلاً في جميع بقاع المعمورة. إن بلداً، مثل فلسطين، ما زال يرنو إلى الحرية والاستقلال، يوجد فيه عشر جامعات بما في ذلك جامعة للتعليم المفتوح والتعلم عن بعد، وان بلداً صغيراً، مثل الأردن، بعدد سكان لا يتجاوز خمسة ملايين نسمة، يوجد فيه حوالي عشرين جامعة، وان بلداً نامياً، مثل سوريا، وبالذات في ما يتعلق بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، قرر في العام ٢٠٠٢ إنشاء جامعة افتراضية Virtual University. إن دول الخليج العربي تحتوي على العديد من الجامعات المحلية والأجنبية، وإن الجامعة العربية المفتوحة بدأت عملها في أربع دول عربية في العام الجامعي ٢٠٠٢/ ٢٠٠٣.

إن ظهور الجامعات بأعداد كبيرة مدعاة للدراسة والفحص، وإن ظهور جامعات من النوع الضخم Mega University مدعاة للتساؤل عن الطريقة التي تدار بها هذه الجامعة وخصوصاً في رعاية الألوف المؤلفة من الطلبة حيث يبلغ عددهم في جامعة أنديرا غاندي المفتوحة في الهند حوالي ثلاثة أرباع مليون طالب وطالبة، وفي الجامعة المفتوحة في بريطانيا حوالي مائتي ألف إلا قليلاً، وفي جامعتي بايام نور بإيران، وجامعة كوريا الجنوبية المفتوحة حوالي مائتي ألف طالب وطالبة لكل منهما (٦٢٥ : ٢٠٠٢ , Keegan)

كذلك، فإن دراسة إدارة شؤون الطلبة أمر مهم من منطلق أن التربية الحديثة تعنى بتطوير شخصية الطالب تطويراً كاملاً. إن الأمل الذي يصبو إليه الوالدان خصوصاً، والمجتمع عموماً، أن يرى في أبنائه وبناته الشخصية الناضجة المقتدرة على الأداء الجيد في جميع المواقف المهنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية والدينية. إن الناجحين في الحياة هم من الشريحة التي تمكنت من التطور في جميع الجوانب وليس في جانب أو جانبين فقط.

تتناول هذه الدراسة بالشرح نموذج إدارة شؤون الطلبة في الجامعة الانتظامية وفي جامعة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد، وتبين الفارق بين هذين النموذجين من خلال المقارنة. ومن العناصر التي تفحصها هذه الدراسة نشأة إدارة شؤون الطلبة في سياقها التاريخي، والهيكل التنظيمي والوظائفي لهذه الإدارة، وتأثير التكنولوجيا وبالذات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات عليها، وإسهام هذه الإدارة في أبرز هدف من أهداف الدراسة الجامعية الذي يتمثل في تطوير شخصية الطالب الجامعي.

ويؤمل من هذه الدراسة، أن تبدد إشكاليات عالقة بإدارة شؤون الطلبة سواء كانت إشكاليات دلالية لفظية حيث أن الطلبة على وجه التحديد يعتبرون أن عبارة " شؤون الطلبة " تشمل جمع شؤونهم العلمية، وهذا غير صحيح لأن المعنى الاصطلاحي يقتصر على الجوانب غير العلمية فقط، أو إشكاليات تنظيمية إدارية حيث أن الصلاحيات التي تعطى لهذه الإدارة يجب أن تقتصر على الجوانب غير العلمية، أو إشكاليات النمذجة لان جامعة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد قد تتأثر لدى إنشائها وممارستها لإدارة شؤون الطلبة بالنموذج في الجامعة الانتظامية في حين أن لكل جامعة شخصية مختلفة عن الأخرى، ولكل إدارة لشؤون الطلبة وظائف مختلفة عن الأخرى.

مشكلة الدراسة:

تتلخص مشكلة الدراسة في السؤال الآتي:

ما الفرق بين إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد في ما يتعلق بالجوانب الآتية:

١. تاريخ النشأة؟
٢. الهيكل التنظيمي؟
٣. الوظائف؟
٤. التأثر بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات؟
٥. نمو شخصية الطالب؟

أهمية الدراسة:

تعدُّ هذه الدراسة مهمة للاعتبارات الآتية:

١ . قلة الدراسات باللغة العربية عن الإدارة الجامعية عموماً وإدارة شؤون الطلبة خصوصاً في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد .
٢ . إفادة الجامعات العربية عامة والفلسطينية خاصة بالإطار الصحيح لعمل إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد وتصويب أية اتجاهات غير صحيحة فيها .
٣ . تحديد انعكاسات ثورة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد .
٤ . إبراز الدور الذي تتولاه إدارة شؤون الطلبة سواء في الجامعات الانتظامية أو جامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد في تطوير شخصية الطالب .

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية :
١ . التعرف على عمل إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد .
٢ . تتبع نشأة إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد .
٣ . تحديد الفرق في تنظيم إدارة شؤون الطلبة ووظائفها في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد .
٤ . بيان تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد .
٥ . إيضاح الدور الذي تقوم به إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد في تطوير شخصية الطالب .
٦ . تحسين واقع الإدارة الجامعية بما في ذلك إدارة شؤون الطلبة في البلاد العربية وعلى وجه الخصوص في فلسطين .

حدود الدراسة:

تتلخص حدود الدراسة في النقطتين الآتيتين :

١ . أجريت الدراسة في أواخر العام ٢٠٠٢ وبداية عام ٢٠٠٣ .
٢ . تركزت الدراسة على المقارنة بين إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد .

منهج الدراسة:

إن المنهج الذي أتبعه الباحث في هذه الدراسة استعراضي وصفي مقارن حيث تم تناول نشأة إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد في السياق التاريخي ، واعتمد الباحث على الدراسات السابقة في عقد المقارنة لعناصر الدراسة في ما يتعلق بتنظيم ووظائف إدارة شؤون الطلبة ، وكذلك بالنسبة لتطوير شخصية الطالب وأثر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية وجامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد . واستعرض الباحث الخلاصة التي تمخضت عنها هذه الدراسة في ضوء الأهداف المطروحة .

تعريف المصطلحات:

وردت في الدراسة مجموعة من المفردات والمصطلحات التي تحتاج إلى تعريف لمعناها وهي :

النظـام الداخلـي: النظام الذي يُعنى بتوفير السكن والطعام للطلبة بإشراف مباشر من إدارة الجامعة أو المدرسة (١٦٤ : ١٩٨٣ , Webster) .

الجامعة الانتظامية: مؤسسة التعليم العالي التي توفر المرافق للتعليم والبحث والمخولة بمنح الدرجات الأكاديمية ويكون الانتظام شرطاً من شروط الدراسة فيها (١٢٩١ : ١٩٨٣ , Webster) .

التعليـم المفتـوح : أي نظام يزيل الحواجز التي تمنع التلاميذ من التعليم أو تخففها (كمال، ١٩٩٥ : ١٣) .

التعليـم عن بعـد: الاستخدام المنظم للوسائط المطبوعة وغيرها ، وهذه الوسائط يجب أن تكون معدة إعداداً جيداً من أجل جسر الانفصال بين المتعلمين والمعلمين وتوفير الدعم للمتعلمين في دراستهم (نشوان، ١٩٩٧ : ٩) .

الجامعة الافتراضية : مفهوم جديد لمعنى الجامعة التي لا تتبع نموذج الجامعة الانتظامية التي هي جامعة مادية ، وهي جامعة مؤسسة على شبكة الإنترنت للتعلم عن بعد وتحتوي على أقل ما يمكن من المكونات المادية من المباني الجامعية . إن الجزء المادي من الجامعة الافتراضية يمكن أن يكون شقة صغيرة أو مكتباً مجهزاً بالإمكانات الكاملة للاتصال بالإنترنت واستخدام خدماتها المختلفة ، إن معظم نشاطات الجامعة الافتراضية هي افتراضية وذلك على النقيض من النشاطات المادية الفيزيائية الموجودة في الجامعات التقليدية الحالية (مكي ، ١٩٩٩ : ٥) .

الأيقــونـــة : رموز صورية تظهر على شاشة العرض في جهاز الحاسوب (سطح المكتب) كبديل للكلمات أو الشرح الطويل تبين للمستخدم الخيارات الموجودة أو تواجهه بوظائف معينة (الكيلاني : ١٩٩٦ : ٢٧١) .

إدارة شؤون الطلبة في السياق التاريخي:

١. الجامعة الانتظامية:

من الممكن القول بثقة أن الحياة الجامعية للطالب بدأت مع حياته العلمية في المؤسسة الجامعية التي التحق بها سواء كان ذلك في الشرق أم الغرب ، وذلك من منطلق أنه لا يمكن الفصل بين هذين الأمرين لأنهما يكملان بعضهما بعضاً . فبعد التحاق الطالب بدار العلم لتحصيله العلمي ، فإنه يحتاج إلى توفير الطعام ، والسكن ، والجو الدراسي ، فضلاً عن حاجته للنشاط الفكري ، والاجتماعي ، والثقافي والرياضي والفني حتى يروح بها عن نفسه ، وينمي ويثري شخصيته .

ومن المؤمّل ونحن نستعرض السياق التاريخي لنشأة إدارة شؤون الطلبة أن نمحو من أذهاننا الصورة النمطية البراقة المرسومة فيها عن الجامعة ؛ إذ أن الجامعة في نشأتها الأولية قبل مئات السنين لم تكن تعرف الكهرباء والطباعة ووسائل الاتصال وغير ذلك من سمات الحياة المعاصرة .

واستشهد في هذا السياق التاريخي بتجارب من الشرق والغرب لتوضيح نشأة إدارة شؤون الطلبة .

١-١ التجربة العربية الإسلامية:

إن أشهر المؤسسات العلمية التي ظهرت في التاريخ الإسلامي هي بيت الحكمة في بغداد

ودار الحكمة في القاهرة وجامع الزيتونة وجامع القرويين وجامع الأزهر وجامع قرطبة. وكذلك ظهرت شبكة من المدارس التي بادر إلى تأسيسها الوزير السلجوقي نظام الملك والتي حملت اسمه وعرفت باسم " المدرسة النظامية "، وانتشرت في بلدان عدة منها في العراق وفارس وخراسان، وقد كانت نظامية بغداد أولى المدارس النظامية وأهمها، وقد بدأ العمل فيها سنة ٤٥٧ هجرية، وظهرت مدراس أخرى في مختلف بلدان العالم الإسلامي (شلبي، ١٩٦٠ : ١٠٠).

وأهم ما يميز التجربة العربية الإسلامية في إدارة شؤون الطلبة أنها اهتمت بإيواء الطلبة في القسم الداخلي من فناء المسجد أو المدرسة، وكان للطالب في القسم الداخلي آداب فصلها ابن جماعة في كتابه: تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم. حيث يقول: "تخصص الداخلية إلى الطلاب الذين عرفوا بحسن أخلاقهم وسماحتها حتى يكونوا في الداخلية المخصصة للفتيان في أمكنة منعزلة لا يكثر أن يمر بها الرجال، وإذا سكن الطالب في البيوت العليا، خفض المشي والاستلقاء عليها وخفض ما يثقل كي لا يؤذي من تحته ولا يجلس أو يقف على باب المدرسة أو في صحنها، ويقلل الدخول والخروج ما أمكنه، ولا يعمل ما يؤذي زملاءه الساكنين، ويتجنب على العموم كل العادات القبيحة" (شلبي، ١٩٦٠ : ٣٣٠).

وميزة أخرى في التجربة العربية الإسلامية في إدارة شؤون الطلبة أن التعليم كان مجانياً، فقد اعتاد المسلمون على أن يؤمنوا لدور العلم أوقافاً من العقارات يرصد ريعها لتغطية رواتب المدرسين ونفقات المعيشة الجارية، وكذلك تغطية نفقات طلبة العلم مما وفر عليهم مؤونة السؤال ومرارة المعاناة والشكوى من مصاعب توفير نفقات العلم والدراسة. وكان الخليفة العباسي المأمون (شلبي، ١٩٦٠ : ٣١٤) أول من استن هذه السنة الحميدة، فعند إنشاء بيت الحكمة في بغداد، رأى أن يوقف على هذا المعهد وقفاً ينتج إيراداً يكفي للإنفاق على شؤونه وشؤون القائمين بالعمل فيه. وهكذا هيأ المأمون للعلماء رزقاً سخياً يتقاضونه من وقف ثابت يفيض ريعه عن التكاليف المطلوبة لهذه المؤسسة العلمية. وانتشرت فكرة المأمون هذه بين من خلفه من الخلفاء والعظماء، فأصبح من ضروريات إنشاء معهد علمي أو مدرسة أن يعين لها وقف ثابت تتلقى منه ما يفي بنفقاتها دوماً، ويمدها بما تحتاجه من مصروفات.

ورصدت للجامع الأزهر الذي أنشأه القائد جوهر الصقلي أوقاف عظيمة للإنفاق عليه، فمنذ أن شُيد هذا الجامع قبل أكثر من ألف سنة، استقبل أفواج الطلاب من بلدان القطر

المصري، ومن بلدان العالم الإسلامي كله، وكان كثير من هؤلاء يلازمون الإقامة فيه، وخصص لطلاب كل بلد رواق يعرف باسم بلدهم، وكانت تحمل إليهم الأطعمة والخبز والحلوى بانتظام، وبلغت عُدتهم سبعمائة وخمسين رجلاً ما بين عجم وزيالعة ومن ريف مصر والمغاربة وذلك سنة ثمان عشرة وثمانمائة (شلبي، ١٩٦٠ : ٣٢٨).

كذلك، فإن من اهتمامات المربين المسلمين في رعاية شؤون الطلبة توجيه التلاميذ على حسب مواهبهم، وكانت عملية التوجيه هذه تبدأ بعد أن يجتاز التلميذ المرحلة الأولى للتعليم، وقد ذكر حاجي خليفة وأبو يحيى الأنصاري (شلبي: ١٩٦٠ : ٢٥٣) أن على كل صبي أن يعرف طرفاً من العلوم الضرورية في الحياة كالقراءة والكتابة والحساب، ثم عليه بعد ذلك أن يتجه إلى العلم أو الحرفة على حسب استعداده وتكوينه، إذ ليس كل أحد يصلح لتعليم العلوم، فإذا اتجه إلى العلم فليقصد العلم الذي يقبله طبعه، فما كل من يصلح لتعلم العلوم يصلح لجميعها. وينبغي للطالب كما يقول الزرنوجي ألا يختار نوع العلم بنفسه بل يفوض أمره إلى الأستاذ، فإن الأستاذ قد حصل له من التجارب في ذلك، فهو أعرف بما ينبغي لكل واحد وما يليق بطبيعته.

ولم يغفل المربون المسلمون في العصور الأولى (شلبي، ١٩٦٠ : ٢٦١) عن شأن مهم من شؤون الطلبة وهو أن هناك صلة وثيقة بين الجسم والعقل، وقد عبروا عن هذه الصلة بالحكمة القائلة " العقل السليم في الجسم السليم "، ومن أجل هذا عنوا بالجسم وخففوا عنه الأعباء، ليستطيع أن يحمل النفس الكبيرة، ويساعد العقل على الدرس والتدريس، والتعلم والتعليم. فقد أوصى الأصفهاني بترفيه النفس في طلب العلم محذراً الطالب من مواصلة الدرس والجهد دون أن يتخلل ذلك راحة ورياضة، فهذا الجهد المتواصل ستكون نتيجته الفشل، ويستشهد الأصفهاني بقول النبي محمد صلى الله عليه وسلم أن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى، وأضاف الأصفهاني أن على الطالب أن يواصل الدرس ما نشط عقله وفطن، فإذا أحس في عقله فتوراً فليتوقف عن العمل وليلجأ إلى اللعب.

١-٢ التجربة الأوروبية:

بدأ ظهور الجامعات في أوروبا في العصور الوسطى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر (هاسكنز، ١٩٧٩ : ١)، ولكن لم يتوافر في جامعة العصور الوسطى في فترة تكونها الأولى المكتبات والمختبرات والمتاحف والوقفيات أو المباني الخاصة بها. وكانت جامعة العصور

الوسطى حسب عبارة باسكير Pasquier " مبنية على الرجال " . إن جامعة مثل هذه لم يوجد لها مجلس أمناء ولم تنشر دليلاً عنها، ولم يكن فيها جمعيات طلابية، وصحافة ومسرح ورياضة، وأياً من النشاطات الخارجية. وقد بلغ عدد الجامعات الاوروبية في نهاية العصور الوسطى ثمانين جامعة.

وكان إنشاء الكلية College في باريس في القرن الثاني عشر أول مؤشر على الاهتمام في شؤون الطلبة إذ أن الهدف من إنشائها توفير السكن والمأكل لطلاب العلم الفقراء الذين لا قدرة لهم على دفع المصروفات والرسوم من جيبهم الخاص، بيد أنه مع مرور الزمن أضحت تلك الكليات أو المعاهد مراكز عادية للحياة والتعليم، واستوعبت داخل جدرانها الكثير من حركة النشاط الجامعي، وأوقفت عليها الهبات والعطايا. وبلغ عدد الكليات في أوروبا سنة ١٥٠٠ ستاً وثمانين كلية (هاسكنز، ١٩٧٩ : ١٨).

وشهدت جامعة بولونيا الإيطالية وهي من أوائل الجامعات التي تأسست في القرون الوسطى تشكيل نقابة طلابية وخاصة لأولئك الطلبة الوافدين من وراء جبال الألب من أجل حمايتهم من تعسف سكان المدينة وخاصة ما يتعلق بأجرة السكن، وكان بوسع هؤلاء الطلبة كبح جماح هؤلاء السكان عن طريق التهديد بمغادرة المدينة جماعة كما لو كانوا رجلاً واحداً أو التهديد بالتوقف عن الدراسة (هاسكنز، ١٩٧٩ : ٩).

ومن جوانب رعاية شؤون الطلبة، المرسوم الذي أصدره البابا لجامعة باريس والذي يخول رئيس الجامعة منح الإجازة العلمية وفي نفس الوقت يخول الأساتذة والطلبة إعداد الدستور والتعليمات لتنظيم السلوك وتحديد مواعيد المحاضرات والمناقشات، والملابس التي ينبغي أن تلبس، وحضور جنازة الأستاذ، ومحاضرات حملة البكالوريوس التي تكون بالضرورة محدودة أكثر من محاضرات الأساتذة الناضجين، وسعر السكن وإكراه الأعضاء. ويشترط على الطلبة أن لا يحملوا السلاح، ويجوز فقط للطلبة الذين يذهبون إلى المدرسة بانتظام أن يستفيدوا من الإعفاءات الطلابية، ومعنى ذلك على أرض الواقع أن لا يقل الحضور عن محاضرتين أسبوعياً (هاسكنز، ١٩٧٩ : ١٦).

وعرفت جامعات القرون الوسطى الكتيبات الإرشادية التي تطلعنا على واقع الحياة الجامعية في ذلك الحين، ويبدأ إحدى الكتيبات الإرشادية بالحديث عن المجاملات في الحياة المدرسية، والطاعة والاحترام الملائم للأستاذ، وهذا من بدايات الحكمة. كما يتعلم الطالب كيف يحيي أستاذه، وكيف يغادر المدرسة، وكيف يبرر لنفس الأعمال الخاطئة (هاسكنز، ١٩٧٩ : ٧٢).

وكانت إدارة الجامعة بيد الأساتذة، وقد عين من بينهم أستاذ لرئاسة الجامعة وأساتذة لعمادة الكليات المختلفة مثل الآداب، والقانون والطب واللاهوت، وهذا التنظيم جرى في جامعة باريس سنة ١٢٣١ (هاسكنز، ١٩٧٩ : ١٦).

١-٣ التجربة الأمريكية:

تأثر نموذج الجامعات الأمريكية بنموذج الجامعات الأوروبية وبالذات الجامعات الإنجليزية إلى حد كبير، وذلك لأن الأمريكيين هم أوروبيون هاجروا إلى أمريكا الشمالية ونقلوا معهم تراثهم ونمط حياتهم. وكانت جامعة هارفرد أول جامعة تنشأ في أمريكا الشمالية سنة ١٦٣٦ ولم تظهر في هذه الجامعة أي إدارة لشؤون الطلبة في نشأتها الأولية، ولكن ظهرت هذه الإدارة لأول مرة في هذه الجامعة عندما عُيّن لبارون رسل بريغز كأول عميد لشؤون الطلبة سنة ١٨٩٠ (Appleton , ١٩٧٨ : ١٣).

ومؤشر آخر على أن إدارة شؤون الطلبة ظهرت في الجامعات الأمريكية أنه عندما عُيّن ستانلي كولتر عميداً لشؤون الطلبة في جامعة بيردو، كتب إلى مجلس الأمناء طالباً أن يحدد له واجبات عميد شؤون الطلاب، فرد عليه مجلس الأمناء أنه لا يعرف ما هي واجباته، ولكن حينما يجدها فعليه اطلاع المجلس عليها (Appleton , ١٩٧٨ : ١٧).

وكان للعالم النفسي الأمريكي (ولتر ديل سكوت) الذي تولى رئاسة جامعة نورث وسترن سنة ١٩١٩ فضلاً في إضفاء بعد جديد على إدارة شؤون الطلبة يتمثل في التوجيه المهني للطالب، ورأى أنه يتوجب إرشاد الطلبة بذكاء إلى الحقل المناسب للعمل وأنه ينبغي التأكيد على فردية الطالب وحاجاته واهتماماته الراهنة وأن الطالب يجب أن ينظر إليه أكثر من كونه مرشحاً للدرجة العلمية، فهو حالة فردية يجب تطويرها وتدريبها لحياة من الخدمة (Appleton , ١٩٧٨ : ١٧).

وتأثرت إدارة شؤون الطلبة بالتيارات السائدة في مستهل القرن العشرين في المجتمع الأمريكي مثل المدرسة السلوكية النفسية التي تزعمها جون واطسون والتي اعتبرت أن علم النفس هو دراسة السلوك القابل للقياس الموضوعي المباشر، وأن يُدرَّس علم نفس السلوك بنفس الوسائل التي تُدرَّس فيها علوم الظواهر الطبيعية (جامعة القدس المفتوحة، ١٩٩٧ : ٣٠). وتأثرت إدارة شؤون الطلبة أيضاً بحركة القياس العقلي وازدهار اختبارات الذكاء على أيدي علماء مثل كاتل، وتيرمان، وتطور مفاهيم الصحة العقلية التي كان محور اهتمامها التعرف على قدرات الفرد الحسية واللغوية والعددية والاستيعابية والنقدية والتقويمية.

وحاولت هذه الإدارة الاستفادة من هذه التطورات العلمية الجديدة في التعامل مع الطلبة وفي تطوير شخصياتهم.

وفي تحليل للعوامل التي أسهمت في تطور إدارة شؤون الطلبة في الولايات المتحدة، ذكر أبلتون (١١ : Appleton , ١٩٧٨) العوامل الآتية:

١. تطور مؤسسات منحة الأرض، وظهور الكليات والجامعات العامة وذلك نتيجة إقرار الكونغرس الأمريكي سنة ١٨٦٢ لقانون موريل Morrill Act الذي يقدم بموجبه أرضاً مجانية من الولاية لإنشاء جامعات لتعليم وتدريب الطلبة في العلوم التطبيقية.
٢. زيادة أعداد الطلبة الملتحقين بالجامعة مع ما صاحبها من زيادة اختلاف في أنواع الطلبة.
٣. النضج الاجتماعي والسياسي والفكري في الأمة.
٤. إدخال النظام الاختياري في التعليم العالي.
٥. الاهتمام بالتعليم المهني أكثر من الفنون الحرة التقليدية.
٦. أثر العلوم والأسلوب العلمي.
٧. تأسيس نظام جامعات " حقيقي ".
٨. الأدوار المتغيرة للطلبة في التعليم العالي.

٢. جامعة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد:

ظهرت إدارة شؤون الطلبة في جامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد مع ظهور الجامعة البريطانية المفتوحة سنة ١٩٦٩ وذلك تحت مسمى التعليم المفتوح المدعوم Supported Open Learning. فالجامعة البريطانية المفتوحة لها الفضل في الإتيان بفكرة التعليم المفتوح التي لم يسبقها أحد إليها رغم إن التعليم عن بعد بالمراسلة ظهر قبل ظهور الجامعة البريطانية المفتوحة بقرن من الزمان (كمال، ١٩٩٥ : ١)

ويتألف نظام الدعم الطلابي في الجامعة المفتوحة والتعلم عن بعد مما يأتي:

١. نظام دعم إداري
٢. نظام دعم أكاديمي
٣. نظام دعم اجتماعي

ويتناول نظام الدعم الإداري أموراً تتعلق بإرسال المواد التعليمية والتعيينات المصححة، وبرنامج المشرفين على المقررات، وبرنامج الاتصال الهاتفي، والإرشاد وغير ذلك. أما نظام

الدعم الأكاديمي فإنه يتعلق بالتوجيه الأكاديمي الموجود في المادة التعليمية وجوانب اللقاءات الوجهية بما في ذلك وسائل الإعلام الإلكتروني. ونظام الدعم الاجتماعي يتناول أموراً تتعلق بالبيئة الاجتماعية والأسرية مثل إمكانية الوصول إلى المكتبات ووجود أفراد من الأسرة يستطيعون المساعدة في الدراسة (٣٩: ٢٠٠٢ , Nyondo).

وتختلف نماذج الدعم الطلابي من جامعة إلى أخرى اختلافاً شكلياً من ناحية المسميات والهيكليات، ولكنها من ناحية جوهرية فهي تنضوي ضمن الخدمات الإدارية والأكاديمية والاجتماعية السالفة الذكر.

ففي الجامعة الوطنية للتعليم عن بعد في أسبانيا التي أنشئت سنة ١٩٧٢ , (٥٧٤ : ٢٠٠٢ , Aretio)، تُستخدم المراكز الدراسية المنتشرة في البلاد لتقديم الدعم الطلابي بجميع أشكاله الإدارية والأكاديمية والاجتماعية، كذلك، فإنه يوجد تركيز على دور المشرف الأكاديمي في الدعم الطلابي الذي يتمثل في إرشاد الطلبة في دراساتهم، والإجابة عن استفسارات الطلبة عن محتوى المواضيع التي يدرسها للطلبة.

وفي الجامعة المفتوحة في هولندا التي أنشئت سنة ١٩٧٩، فإن الفلسفة التربوية الأساسية لها هي الدراسة الذاتية المدعومة. وتبذل الجامعة الهولندية المفتوحة جهوداً كبيرة في إعداد مادة تعليمية مخصصة للدراسة الذاتية التي ترسل إلى الطلبة، والتي يمكن دراستها بدون دعم من المعلم. ويوجد في هذه الجامعة أربعة أصناف من الدعم الطلابي وهي: الدعم قبل التسجيل، الدعم العام، والدعم من خلال المقررات التأسيسية التي تعرف الطالب على مهارات الدراسة، وهذه المقررات تدرس في معظم المراكز الدراسية، والدعم بوساطة المشرف الأكاديمي حيث يتولى الإشراف على الطالب بعد انتهائه من المقررات التأسيسية وحين انتهائه من دراسته (Krishner & et al,508: ٢٠٠٢).

ويذكر أن الجامعة البريطانية المفتوحة (٦٠٥ : ٢٠٠٢ , Daniel) تولي اهتماماً لدعم الطلبة المعوقين من خلال إعداد أشرطة سمعية بدلاً من المقررات المطبوعة، أو توفير نسخ من البرامج المذاعة، وأن الطلبة ذوي الإعاقة الحسية يدعون لحضور مقرر تحضيري في العطلة الأسبوعية، ويجري تكييف الخدمات لحاجة الطلبة المعوقين في المدرسة المقيمة، واللقاءات الصفية.

تنظيم إدارة شؤون الطلبة ووظائفها:

١. نماذج تنظيمية ووظيفية من الجامعات الانتظامية

في الإطار التنظيمي العريض لخريطة الإدارة الجامعية، تعدُّ إدارة شؤون الطلبة (٣٧٦ : Jedamus & Peterson , ١٩٨١) بأنها إدارة خدمات مساندة، بمعنى أنها ترفد وتسند عملية التعليم وتكملها، وهي بذلك تتم عمل الإدارة الأكاديمية.

وفي إطار التنظيم الداخلي لإدارة شؤون الطلبة، فإنها تضم أقساماً تتناول الأنشطة الطلابية، والمساعدات المالية، والسكن الجامعي، والإرشاد. ورغم أن هذا الإطار هو الاشيع في الكليات والجامعات الانتظامية، فإن بعض المؤسسات تختلف في تنظيم الأقسام الداخلية لهذا الإدارة عن بعضها.

واستعرض في هذا السياق أربعة نماذج لإدارة شؤون الطلبة، واحد أمريكي شمالي من الولايات المتحدة، وثلاثة من جامعات عربية. واختيرت جامعة بتسبرغ في ولاية بنسلفانيا (١٢ : Guide to U. Of Pittsburgh , ١٩٩٢) كمثال للاطلاع على تنظيم إدارة شؤون الطلبة فيها حيث تضم الأقسام الآتية:

١. الخدمات الدولية،
٢. صحة الطلبة،
٣. النشاطات الطلابية،
٤. السكن الجامعي،
٥. الإرشاد ومركز تطوير الطلبة،
٦. خدمات التوظيف،

وتضم إدارة شؤون الطلبة في الجامعة الأردنية (دليل الطالب ١٩٩٦/ ١٩٩٧ : ٢٤) الدوائر الآتية:

١. دائرة النشاط الرياضي،
٢. دائرة الخدمات الطلابية،
٣. دائرة النشاط الاجتماعي والثقافي،
٤. دائرة النشاط الفني،
٥. دائرة المنازل الداخلية للطالبات،

وتضم إدارة شؤون الطلبة في جامعة اليرموك (دليل الجامعة ١٩٩٣/ ١٩٩٤ : ٤٧٢) المديريات الآتية:

١. مديرية الخدمات الطلابية،

٢. مديرية النشاط الثقافي والاجتماعي،
٣. مديرية النشاط الرياضي
٤. مديرية إسكان الطلبة

وتتألف عمادة الطلبة في جامعة بيرزيت (الدليل العام ٢٠٠٠ : ٣١) من الأقسام الآتية :
١. قسم النشاطات اللامنهجية،
٢. قسم الإرشاد،
٣. برنامج العمل التعاوني،
٤. منازل الطلبة،
٥. مجلس الطلبة،

إن الأطر التنظيمية لإدارة شؤون الطلبة في النماذج السالفة الذكر ترتكز بصورة عامة على الخدمات والنشاطات الطلابية خارج الإطار التعليمي، ومن الممكن ان يعدَّ بعض المختصين استخدام كلمة " اللامنهجية " التي وردت آنفاً لوصف النشاطات في جامعة بيرزيت بانها غير دقيقة، لأن هذه النشاطات تستند أساساً إلى برنامج أو منهج معين ويفضلون وصفها بانها ثقافية او ترويحية او اجتماعية . . . الخ .

أما وظائف إدارة شؤون الطلبة في الجامعة الانتظامية، فيمكنني حصرها استناداً إلى خبرتي في هذا العمل بصورة خاصة والعمل الجامعي بصورة عامة لما يزيد عن خمس عشرة عاماً في المجالات الآتية :

١. الخدمات:

تعدُّ الخدمات من أبرز الوظائف التي تقوم بها إدارة شؤون الطلبة، فالطالب يستفيد منها في جميع مراحل دراسته وبعد تخرجه، إذ أصبحت متابعة أحوال الخريجين من مسؤولية هذه الإدارة التي تتوسع وتزداد خدماتها بفضل الازدهار العلمي، والتقدم التقني الذي يميز حياتنا الحديثة. ومن الخدمات التي تقدمها هذه الإدارة ما يأتي :

- **خدمات أساسية:** وتتعلق بمنح الطالب البطاقة الجامعية، وخدمات الطعام والسكن وتعريف ودمج الطالب في الحياة الجامعية الجديدة.
- **خدمات مالية:** وتتعلق بمساعدة الطالب الجامعي المحتاج بالمنح المالية أو القروض.

- **خدمات صحية:** وتتناول خدمات علاجية وأخرى تثقيفية .
- **خدمات إرشادية:** وتتناول التوجيه المهني والإرشاد النفسي .
- **خدمات التوظيف:** وتتمثل بتوفير عمل جزئي للطالب في الحرم الجامعي ، ومساعدته في التوظيف عندما يكون موشكاً على التخرج من خلال إقامة يوم التوظيف السنوي في الحرم الجامعي .

١–٢ النشاطات:

يحتاج الطالب الجامعي في أثناء دراسته إلى النشاطات المتعددة التي يروح بها عن نفسه ، ويستأنس بها مع أقرانه وأساتذته ، ويكسر روتين الحياة اليومية . فالجامعة أو الكلية ليست قاعة للدرس فحسب ، وإنما تجربة شاملة بأبعاد مختلفة . وتتميز النشاطات عن الخدمات في كونها وظيفة باتجاهين ، فلا تقتصر على تقديم النشاط للطالب ، وإنما تدعوه للمشاركة فيه . وتتألف النشاطات التي تديرها أو ترعاها إدارة شؤون الطلبة مما يأتي :

١. **نشاطات ثقافية** : تتناول المحاضرات والندوات والمناظرات ومعارض الكتب ، وإصدار المجلات والصحف والنشرات والمسابقات الثقافية
٢. **نشاطات اجتماعية** : وتتناول حفلات التعارف والاستقبال والزيارات وحفلات التكريم والرحلات .
٣. **نشاطات فنية:** تتناول عرض الأفلام والمسرحيات ومعرض الفنون .
٤. **نشاطات رياضية:** تتناول مختلف ألوان النشاط الرياضي من كرة قدم وكرة طائرة والسباحة وركوب الخيل ، ورفع الأثقال والملاكمة والكاراتيه والجودو .
٥. **نشاطات روحية دينية:** تتناول الاحتفال بالمناسبات الدينية البارزة .
٦. **نشاطات قومية وطنية:** تتناول الاحتفال بالمناسبات القومية أو الوطنية مثل ذكرى الاستقلال ، أو معركة الكرامة أو يوم المعلم .

١–٣ الإشراف على برامج توعوية وتأهيلية:

تقوم إدارة شؤون الطلبة بالإشراف على برامج توعوية وتأهيلية لتعزيز التجربة الجامعية والعلمية للطالب وتتمثل هذه البرامج فيما يأتي :

١. **توعية الطالب بالأنظمة والقوانين الجامعية:** ان القيام بفعاليات تتعلق بهذا

الموضوع يؤثر تأثيراً حسناً ومفيداً على الطالب لأنه يبصره بحقوقه وواجباته الأمر الذي يمكنه من إتمام دراسته وتدبير شؤون حياته على نحو أفضل .

إن من واجب الإدارة الجامعية أن تمنح الطالب التعليم والتوجيه والإرشاد وتطوير الشخصية ، وتوفير الحياة الجامعية الكريمة . ومن ناحية أخرى يقع على كاهل الطالب الجامعي واجباً لا يقل أهمية عن دور الإدارة . فعليه أن يعطي مثلما يأخذ ، ويتحمل المسؤوليات والواجبات التي تتطلبها الحياة العلمية الجامعية ، وقد عدد (الشيخلي ، ١٩٨٤ : ٩٣) ما يزيد عن ثلاثين واجبٌ ملقى على عاتق الطالب الجامعي من بينها واجبات سلوكية مثل واجبات الطالب نحو أستاذه ، وزملائه ، وجامعته ، وواجبات علمية مثل تهيئة العقل للدرس ، وبرمجة وتنظيم الدراسة واستيعاب الحقائق والآراء والاستزادة من العلم وإعداد البحوث والتقارير ، وأداء الاختبارات .

٢. **تحسين أسلوب الدراسة:** تستطيع إدارة شؤون الطلبة (Abu khalaf ، ١٩٨٢ : ١٠) الإشراف على برنامج ملائم لتوعية الطالب بأساليب الدراسة الصحيحة ، واساليب الدراسة السيئة ، والبرنامج الدراسي الذي يناسب هذا السياق يتضمن مجالات مثل : القراءة السريعة ، استيعاب القراءة ، القراءة الجهرية ، القراءة الصامتة ، الفرق بين القراءة والدراسة ، الفروق الفردية في أساليب الدراسة ، مواقيت وأوضاع الدراسة ، الذكاء والاجتهاد ، الحفظ والاستظهار ، مهارات الدراسة ، مهارات الرياضيات ، تقوية الذاكرة والتركيز ، الإعداد لأنماط الاختبارات المختلفة الشهرية والفصلية والسنوية والعامة .

٢. نموذج تنظيمي ووظيفي للجامعات المفتوحة:

اكتفي في هذا المجال بالحديث عن تنظيم إدارة شؤون الطلبة في الجامعة البريطانية المفتوحة (Bristow ، ١٩٩٦ : ٦) لكونها طليعية في هذا المجال ، ولعدم توافر نموذج تنظيمي آخر لجامعات مفتوحة ، ويتألف هذا النموذج من :

أولاً: التسويق: ويعنى بالترويج للجامعة والتعامل مع زبائنها من الطلبة.

ثانياً: توفير الخدمات التعليمية، وتتألف مما يأتي:

١ . توفير الإرشاد في ما يتعلق بإعداد الطلبة للدراسة ، وتقويم الحاجات الخاصة للطلبة وإرشاد الطلبة والملتحقين الجدد بالجامعة قبل دخولهم وفي أثناء دراستهم وبعد تخرجهم .

٢ . توفير دعم التعليم في المجالات الآتية :

٢-١ تنظيم الدراسة الوجهية " الصفية " وتنظيم النشاط التدريسي وتخصيص معلم / مرشد للطالب، وتوزيع الطلبة على الكليات المقيمة.

٢-٢ توفير الدعم التعليمي الفني فيما يتعلق بالتعليم بوساطة الحاسوب أو الهاتف أو الوسيط السمعي ـ البصري.

٢-٣ الإشراف على تعليم وإرشاد الطلبة والإشراف على الطلبة الباحثين وذوي الاحتياجات الخاصة.

٣. فحص نوعية الدعم للتعليم من ناحية التعليم الوجهي (الصفي)، وعلامة التعيينات، والحصول على التغذية الراجعة من الطلبة والموظفين.

٤. تقويم واختبار الطلبة ويُعنى بـِ:

١. إدارة الامتحانات بمراقبة وتقويم معايير الامتحانات، ومعالجة كشوف العلامات، وعقد الامتحانات وإنتاج وإرسال أسئلة الامتحانات.

٢. إدارة التعيينات حيث تؤكد على إعداد مادة التعيينات وتسليمها ودفع مخصصات إعدادها.

٣. رصد ظروف الامتحانات الخاصة، وتقنين وحسم وإصدار نتائج المقرر.

٥. إصدار شهادات التعليم الخارجي وتتمثل بـِ:

١. توفير خدمات التصديق على الشهادات.

٢. تنظيم احتفالات التخريج من ناحية حضور الطلبة والمكان.

٣. تقويم ومعادلة الخبرات التعليمية الخارجية أو المهنية أو التعاونية.

٦. إصدار شهادات التعلم عن بعد:

١. تقويم الدراسة السابقة قبل الالتحاق بالجامعة المفتوحة.

٢. تحديد وتوزيع الشهادات.

ثالثاً: توفير الخدمات اللوجستية: وذلك من خلال إدارة الموارد التعليمية، وتوفير المرافق التعليمية والموارد الإنسانية.

رابعاً: توفير خدمات بنية تحتية للمؤسسة فيما يتعلق بالاحتفاظ بالسجلات وتوفير خدمات مالية ومحاسبية.

وهكذا تعدُّ إدارة شؤون الطلبة في الجامعة المفتوحة وجامعة التعلم عن بعد بأنها " إدارة

خدمات طلابية " وتتركز هذه الخدمات في مجملها على الأمور الأكاديمية لأن طالب الجامعة المفتوحة والتعلم عن بعد لا يوجد له حياة جامعية بمساحة كبيرة وإنما بهامش ضئيل للغاية .

أما وظيفة الخدمات الطلابية فهي كما ذكرها (٦٢ : ١٩٩٢ , Rumble) فإنها تتناول مساعدة الطالب في الحصول على القبول والالتحاق في المساقات الدراسية وتخصيص الأساتذة والمرشدين له ، وإعلامه بما يتوقع منه بالالتزام الرسمي اتجاه الجامعة مثل : دفع الرسوم ، والالتزام بالأنظمة وإبلاغه بمكان وزمان عقد أي من الامتحانات ، وعموماً تزويده بالمساعدة التي تمكنه من الاندماج في النظام . ومن مجالات المساعدة التي يمكن أن توفر للطالب ما يأتي :

* اختيار مجال الدراسة .
* مضمون التعليم في المساقات .
* مشاكل شخصية معينة للدراسة (نفسية ، صحية ، زوجية . . . . الخ)
* المهنة أو التوظيف وإكمال الدراسة .
* أنظمة الجامعة التي تؤثر على الدراسة (معادلة الشهادات ، المساقات الإجبارية . . . الخ) والإجراءات الإدارية (تنظيم دفعات الرسوم ، الانسحاب من المساقات وتغيير العنوان والاستئناف ضد القرارات الإدارية) .
* قضايا تتطلب إرشاد مختص مثل القضايا التي تواجه الطلبة المعاقين أو السجناء .

تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على إدارة شؤون الطلبة:

أحدثت تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ثورة في نمط حياة الأفراد والمجتمعات حتى أنه أصبح التحول إلى مجتمع المعلومات أحد الأهداف الاستراتيجية عند دول كثيرة في العالم مثل الهند ومصر وسوريا . ويلاحظ هذا الأمر من اهتمام الحكومات بإيجاد مختبرات الحاسوب وربطها مع شبكة الإنترنت لجميع المدارس التابعة لها . واهتمت الجامعات الانتظامية بالاستفادة من هذه التكنولوجيا العالية في إقامة شبكات داخلية في الحرم الجامعي لأقسامها ودوائرها Intranet والارتباط مع شبكة الإنترنت لأغراض التراسل الإلكتروني والبحث العلمي . وتقدم الجامعات الانتظامية خدمات لطلبتها عبر شبكة الإنترنت مثل التسجيل للدراسة أو نتائج الامتحانات . وبإمكان إدارة شؤون الطلبة الاستفادة من وجود شبكة الإنترنت للتواصل مع طلبة الجامعة من خلال لوحات الإعلان والتخاطب الإلكتروني أو

القيام بأنشطة منوعة.

وقد كان لتكنولوجيا المعلومات والاتصالات أثر ضخم على جامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد لأن نقطة ضعف هذا النمط من التعليم عدم وجود حياة جامعية عند الطالب الأمر الذي يشعره بالعزلة أو لا يمكنه من تنمية الجوانب المختلفة في شخصيته، ولكن بفضل شبكة الإنترنت والبريد الإلكتروني، أصبح بإمكان هذا الطالب ان يحصل على مادته العلمية وأن يتواصل ويتحاور ويناقش زملاءه وأساتذته، وأصبح بإمكانه أن يشارك في الجمعيات والنشاطات. وهكذا فإن منظومة الحياة الجامعية الإلكترونية أصبحت منوعة وعلى شاكلة الحياة الجامعية الانتظامية، ولكنها بالطبع ليست بديلاً لها.

ففي جامعة كاتالونيا الافتراضية في أسبانيا (Sangra , ٢٠٠٢ : ١٦) يعرض الصف الافتراضي (Virtual Classroom) الخدمات الإلكترونية الآتية:

* **الخدمات الإدارية:** يستطيع الطلبة الاتصال مع سكرتيرة الجامعة من البيت في أي وقت من النهار أو الليل للتشاور بشأن أنظمة الجامعة أو خططه الدراسية، أو للتسجيل للمقررات الجديدة أو الامتحانات، أو للاستفسار عن النتائج، أو لتعديل معلومات معينة، أو لطلب شهادات أو للاستفسار عن بعض الأسئلة المحددة.
* **الجمعيات:** يوجد الخيار عند الطلبة لإنشاء جمعياتهم الخاصة، ويوجد لديهم " ايقونة " محددة في الصف الافتراضي للمناقشة حيث يستطيعون تبادل المعلومات وتنظيم النشاطات.
* **المنابر المجتمعية:** هناك سلسلة من المنابر المختلفة للمناقشة وتكون مفتوحة لكل شخص في جامعة كاتالونيا حيث يستطيع من خلالها الطلبة والأساتذة... الخ مناقشة المواضيع ذات الاهتمام بطريقة حرة ومفتوحة. إن بعض هذه المنابر منظمة حول مواضيع مثل: الثقافة، الرياضة، الألعاب... الخ.
* **لوحات الإعلان:** يستطيع الطلبة استخدام لوحات الإعلان (الإلكترونية) لإرسال واستقبال الرسائل، كما تعرض على هذه اللوحات إعلانات عن بيع وشراء أجهزة الحاسوب والسيارات والبيوت... الخ، وكذلك تعرض إعلانات عن المناسبات والنشاطات.

* **السوق التعاونيـة:** يوجد سوق تعاوني لطلبة وأساتذة وموظفي الجامعة حيث يسمح لهم بمساومة سعر السلعة وشراء المنتجات بأسعار معقولة. وتعرض السوق التعاونية البرمجيات والتطبيقات للحاسوب والكتب، والخدمات المصرفية، والتموين البيتي.
* **النشـــــر:** يوجد في الجامعة دار نشر لطباعة سلسلة الكتب التي تهم طلبة الجامعة.
* **مكتب تـوظـيـف:** يوجد موقع معين تعرض من خلاله عروض العمل المتوافرة.
* **المكـتـبـة:** تسمح المكتبة الافتراضية لطلبة جامعة كاتالونيا الافتراضية بالوصول إلى خدمات التوثيق، وفهرس المكتبة، وخدمات الإعارة، ومكتب الاستعلامات والإعارة من خلال مكتبات أخرى، وتدريب المستخدم... الخ وذلك مباشرة من البيت إلى الصف الافتراضي.
* **النشاطات الثقافية:** تعمم المعلومات عن الأحداث الثقافية والخصم على التذاكر على مجتمع الجامعة الافتراضية.

ان تأثير تكنولوجيا المعلومات والاتصالات قد وصل إلى حد أنه حول جامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد إلى جامعات افتراضية كما حدث مع الجامعة الألمانية للتعلم عن بعد (Fern Universitat) وعزا فاغنر (Wagner , ١٩٩٨ : ٣٣٤) التحولات التي حدثت في الجامعات الانتظامية والجامعات المفتوحة إلى الأسباب الآتية:

١. إن الشبكات الإلكترونية والوسائط المتعددة خارج المجال الأكاديمي تتطور بسرعة، وتحقق تأثيراً مضطرداً في كثير من الخدمات.
٢. يلتحق الطلبة بالجامعة وهم إلى حد كبير يحوزون معرفة قوية وأحياناً متطورة عن الحواسيب ومزايا شبكة الإنترنت، واعتادوا أن ينعموا بفائدة هذه التكنولوجيا. لذلك فإن على القطاع الأكاديمي أن يواكب مستوى زبائنه (الطلبة).
٣. يتوقع بعض الخبراء منافسة قوية بين الجامعات والشركات الخاصة في قطاع الاتصالات في مجال التعليم والتدريب وتطوير الموارد البشرية في المستقبل القريب، وعليه فإن التخطيط الاستراتيجي للجامعات يجب أن يأخذ هذا التحدي بالحسبان.

٤ . تنفق الجامعات على وجه الخصوص أموالاً لتطوير الوسائط المتعددة وتطوير إدارات التعلم عن بعد بهدف تحقيق رؤيتها للتحديث الشامل للقطاع الأكاديمي، ويتم ذلك بتجاوب الطاقم العامل والإدارة.

٥ . بعض الكليات والجامعات ترغب بنشر مساقاتها وبرامجها الدراسية على مستوى دولي. ورغم أن هذه المؤسسات أقامت فروعاً ومراكز دراسية لها في الخارج، إلا أن الجامعة الافتراضية تعد بأن تكون خياراً عقلانياً أكثر حيث أنها ستفتح الباب إلى السوق العالمي للتعليم والتدريب.

نمو شخصية الطالب الجامعي:

إن هدف التربية الحديثة سواء كانت في مستوى المدرسة أو الجامعة المساهمة في تنمية شخصية الطالب من جميع جوانبها العلمية والفكرية والثقافية والاجتماعية والرياضية. وفي الجامعة، فإن الجانب العلمي يتمثل في الكليات والأقسام والمختبرات والمكتبات والكتب الدراسية والأبحاث والامتحانات وفوق ذلك الأساتذة الجامعيين، أما الجوانب الأخرى، فتقع في نطاق مسؤولية إدارة شؤون الطلبة التي ترعى الحياة الجامعية للطلبة، ويقصد بذلك معيشة الطلبة من سكن وطعام وأنشطة ثقافية واجتماعية واقتصادية وفكرية ورياضية، وتوجد مرافق في الجامعة الانتظامية لتوفير الحياة الجامعية للطلبة بمختلف جوانبها مثل السكن الجامعي، والمطعم والكافتيريا، والمسرح والسينما والبريد والمصرف والمسجد والصالات الرياضية والملاعب، وقاعات المحاضرات والاجتماعات العامة.

ويحدد النمو العلمي الكمي للدراسة الجامعية للطلبة من خلال عدد الساعات المعتمدة التي يترتب عليهم اجتيازها بنجاح، وقضاء فترة زمنية محددة في الدراسة وغير ذلك من متطلبات التخرج، كما يحدد النمو العلمي النوعي من خلال المعدل الفصلي والتراكمي للطلبة.

وقد حصر بوين (Bowen ١٩٩٠, : ٥٦) الجوانب التنموية غير العلمية في شخصية الطلبة الجامعيين في الجامعة الانتظامية على النحو الآتي:

١ . النمو الوجداني والأخلاقي ويتعلق باكتشاف الذات، والتوافق النفسي والاجتماعي والتفهم الإنساني للآخرين، والقيم والأخلاق، والاهتمام الديني وصقل الذوق والسلوك والأسلوب.

٢. نمو الكفاءة العملية ويتعلق بأمور مثل الحاجة للإنجاز والمقدرة على التخطيط للمستقبل، والتكيف، والقيادة، والمواطنة، والإنتاج الاقتصادي، والحياة العائلية الصحيحة، وكفاءة المستهلك، والفراغ المثمر أي حسن التوزيع والإستفادة من الوقت، وتفهم المبادئ الأساسية للصحة الجسمية والعقلية.

ومن ناحية أخرى، فإن الحياة الجامعية الحقيقية للطالب في الجامعات المفتوحة والتعلم عن بعد مختلفة عن الحياة الجامعية في الجامعات الانتظامية من منطلق أن طالب التعليم المفتوح والتعلم عن بعد بعيد عن معلمه وبيئته الجامعية، وأن نسبة حضوره في المركز الدراسي قليلة حيث يمكن أن يراجع مشرفه الأكاديمي، أو يقدم امتحاناته أو يراجع قسم التسجيل لأمر معين أو المشاركة في اتحادات الطلبة. وأشرنا آنفاً أن الجامعة الافتراضية حاولت سد هذا النقص في التجربة الجامعية لطالب الجامعات المفتوحة والتعلم عن بعد من خلال إيجاد الجمعيات، والمنابر المجتمعية، ولوحات الإعلان، والسوق التعاونية، والدردشة، وغير ذلك من مجالات يحتاجها الطالب لتنمية شخصيته من جوانبها المختلفة. ولكن لا يمكن اعتبار أن هذه الأنشطة الإلكترونية الافتراضية تمنح الطالب الجامعي الفرصة الكافية لتطوير شخصيته فتكون تجربة الطالب غير مباشرة وغير مكتملة.

نتائج الدراسة:

يستشف من هذه الدراسة النتائج الآتية:

١. إن إدارة شؤون الطلبة في التجربة العربية الإسلامية والتجربة الأوروبية كانت مدمجة ومتضمنة في الإدارة الجامعية العامة التي ترعى الطلبة علمياً ومعاشياً وغير ذلك.
٢. إن إدارة شؤون الطلبة تطورت ونشأت في الجامعات الأمريكية في أواخر القرن التاسع عشر ويحدد أول ظهور لها كإدارة مستقلة في جامعة هارفرد سنة ١٨٩٠.
٣. إن إدارة شؤون الطلبة في الجامعات المفتوحة والتعلم عن بعد تظهر تحت عنوان نظام الدعم الطلابي Student Support System وقد نشأت هذه الإدارة أولاً في الجامعة البريطانية المفتوحة مع بداية تأسيس هذه الجامعة سنة ١٩٦٩.
٤. إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية تعنى بالخدمات والنشاطات مثل خدمات الحياة الجامعية المختلفة (سكن، صحة، مال...) والنشاطات الثقافية والاجتماعية المختلفة ولا علاقة لها بالشؤون العلمية.

٥. إدارة شؤون الطلبة في جامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد تعنى بالخدمات العلمية والإدارية أولاً ومن ثم النشاطات التي يوجد لها هامش ضئيل في برامجها، وجوهر خدماتها يتعلق بالخدمات العلمية، ذلك ان جوانب الحياة من سكن ومعيشة جامعية ورعاية صحية ورعاية اجتماعية وتشغيل وتوظيف غير موجودة فيها بصورة مبدئية.

٦. يتكون الهيكل التنظيمي لإدارة شؤون الطلبة في الجامعة الانتظامية من الأنشطة الطلابية، والمساعدات المالية، والسكن الجامعي، والإرشاد وتتكون وظائفها من الخدمات والنشاطات والبرامج التوعوية والتأهيلية.

٧. يتكون الهيكل التنظيمي لإدارة شؤون الطلبة في جامعة التعليم المفتوح والتعلم عن بعد من التسويق، وتوفير الخدمات التعليمية، وتوفير الخدمات اللوجستية (إدارة الموارد التعليمية، وتوفير المرافق التعليمية والموارد الإنسانية)، وكذلك توفير الخدمات للبنية التحتية للمؤسسة في ما يتعلق بالاحتفاظ بالسجلات وتوفير خدمات مالية ومحاسبية، أما وظيفة هذه الإدارة فتكون بمساعدة الطالب في اختيار مجال الدراسة، والتعرف على مضمون التعليم في المساقات، والتعرف على أنظمة الجامعة التي تؤثر على دراسته مثل (دفع الرسوم، الانسحاب من الدراسة. . .) والإرشاد والتوظيف ومعالجة المشاكل الشخصية.

٨. ساهم انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات على إفادة إدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية بتسهيل التواصل والتحاور وتنويع الأنشطة الطلابية.

٩. ساهم انتشار تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في تعويض جانب كبير من النقص الموجود في نظام التعليم المفتوح والتعلم عن بعد المتمثل بانفصال وعزلته الدارس عن معلمه وأنداده وبيئته التعليمية التعلمية، فأصبح بمقدور هذا الطالب أن يتواصل مع معلميه وأنداده وبيئته التعليمية التعلمية على نحو فعال وإن كان بصورة غير مباشرة، كما أدى إلى ظهور جيل جديد من الجامعات سمي بالجامعات الافتراضية Virtual Universities.

١٠. يوجد لإدارة شؤون الطلبة في الجامعات الانتظامية تأثير مباشر على تطوير شخصية الطلبة في الحرم الجامعي لتواجدهم المستمر فيه للحصول على الخدمات أو المشاركة أو حضور النشاطات المختلفة، في حين يكون تأثير إدارة شؤون الطلبة على تطوير شخصيات الطلبة غير مباشر وغير كامل في جامعات التعليم المفتوح والتعلم عن بعد، ويعزى ذلك

لقلة وجود الطلبة في المركز الدراسي التابع لهذا النوع من الجامعات وقلة احتكاك هذا الطالب مع أساتذته وأنداده وقلة النشاطات الطلابية، ولكن أهم جانب إيجابي في التعليم المفتوح والتعلم عن بعد تطور اعتمادية الطالب على نفسه وتطور الجانب التكنولوجي في شخصية الطالب من خلال تعامله المستمر مع الوسائط التعليمية.

المراجع العربية:

١ . الجامعة الأردنية ، عمادة شؤون الطلبة : دليل الطالب ١٩٩٧/ ١٩٩٨ .

٢ . الشيخلي ، عبد القادر (١٩٨٤) : مرشد الطالب الجامعي في تنظيم الواجبات السلوكية والعلمية ، عمان : مكتبة المحتسب .

٣ . الكيلاني : تيسير (١٩٩٦) : معجم الكيلاني لمصطلحات الحاسب الإلكتروني ، ط٢ ، بيروت : مكتبة لبنان .

٤ . جامعة القدس المفتوحة (١٩٩٧) : تعديل السلوك ، القدس .

٥ . جامعة القدس المفتوحة ، دليل جامعة القدس المفتوحة ١٩٩٨/ ١٩٩٩ .

٦ . جامعة بير زيت ، الدليل العام " درجة البكالوريوس " ١٩٩٩/ ٢٠٠٠ .

٧ . دليل جامعة اليرموك ، ١٩٩٣/ ١٩٩٤ .

٨ . شلبي ، أحمد (١٩٦٠) : تاريخ التربية الإسلامية ، ط٢ ، القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية .

٩ . كمال ، سفيان (١٩٩٥) : " طبيعة ومبادئ التعلم عن بعد " ، ورقة عمل عرضت في الورشة التي أقامتها جامعة القدس المفتوحة بالتعاون مع اليوندباس لتطوير المهارات المهنية للمشرفين الأكاديميين في الجامعة في مدينة القدس في الفترة ٢٦ - ٢٧ / ١١/ ١٩٩٥ .

١٠ . مكي ، محمد (١٩٩٩) : " نموذج للتعليم عن بعد مبني على الإنترنت " (نموذج جامعة افتراضية) ، دراسة مقدمة في مؤتمر التعليم عن بعد ودور تكنولوجيا المعلومات والاتصالات الذي نظمته جامعة القدس المفتوحة في عمان في الفترة ١٠ - ١٢ / ٤/ ١٩٩٩ .

١١ . نشوان يعقوب (١٩٩٨) : التعلم عن بعد والتعليم الجامعي المفتوح ، غزة : جامعة القدس المفتوحة .

المراجع الأجنبية:

1. Abu khalaf , Nader (1982) : " Overview of Student Affairs , Administration at University of Pittsburgh " , Paper presented as a requirement to the completion of Internship in Student Affairs 349 , a Master's. Level Course.
2. A Guide to the University of Pittsburgh (1992) : Pittsburgh University Press .
3. Aretio , Lorenz Gracia (2002) : " Universidad National de Education a Distancia , Spain " in Towards Virtualization for V.V. Reddy and Manjulika S (ed.) , New Delhi : Kogan Page .
4. Bowen , Howard R. (1980) : Investment in Learning , San Francisco , Jossey - Bass Publication .
5. Bristow , P. (1996) : " Student Administrative Services in a Distance Education Context " , Paper presented in Workshop on Planning , Design , and Management of Distance Education held in IIEP / UNESCO , Paris .
6. Daniel , Sir John (2002) : " The Open University : United Kingdom " in Towards Virtualization for V.V Reddy & Manjulika S (ed.) , New Delhi : Kogan Page .
7. Haskins , Charles H. (1975) : The Rise of Universities , 15th S (ed.) , Ithaca & London : Connell University Press .
8. Jedmaus , Paul . Peterson , Marvin W. & Associates (1981) : Improving Academic Management , Washington : Jossey - Bass Publisher .
9. Keegan , Desmond (2002) : " The Globalization of Distance Learning : Challenges in the New Millenium " in Towards Virtualization for V.V Reddy & Manjulika S (ed.) , New Delhi : Kogan page .
10. Kirschner Paul A. & Others (2002) : " Open University of the Nether lands " in Towards Virtualization for V.V. Reddy & Manjulika S (ed.) New Delhi : Kogan Page .
11. Nyondo , Andrew C. (2002) : " Designing an Effective Learner Support System " University News , Association of Indian Universities , Vol 40 No. 4 .
12. Rumble , Griville (1992) : The Management of Distance Learning Systems , Paris : UNESCO , International Institute for Educational Planning .
13. Sangra , Albert (2002) : " Universitat Oberta de Catalunya , Spain " in Towards Virtualization for V. Reddy & Manjulika S (ed.) . New Delhi : Kogan Page .
14. Wagner , Erwin (1998) : ' Creating A Virtual University in a Traditional Environment ' in Proceedings of the 1998 Eden Conference , Vol. 2 , University of Bologna , Italy .
15. Webster's Ninth New Collegiate Dictionary (1984) : Springfield , Massachusetts : Merriam - Webster INC.

المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي في فلسطين ودورهما في دعم البحث العلمي

د.علائي البيطار*

* مدير برنامج الزراعة، جامعة القدس المفتوحة

ملخص البحث:

انطلاقاً من أهمية دور القطاع الزراعي في التنمية في فلسطين وما للمحطات الزراعية والإرشاد والتعليم الزراعي من دور فعال، فقد تناول البحث هذه الموضوعات وفيما يلي إيجاز بشأنها :

تنتشر المحطات الزراعية في العديد من محافظات الوطن في فلسطين، وتلعب دوراً مهماً في عملية التنمية الزراعية . ويتم من خلالها تنفيذ الأبحاث الزراعية التي تعود بالفائدة على المؤسسات الزراعية والعاملين في القطاع الزراعي .

كما تولي المؤسسات الحكومية والأهلية ذات العلاقة بالزراعة اهتماماً بالغاً في مجال الإرشاد الزراعي لتوظيفه في خدمة التنمية الزراعية، وذلك عن طريق نقل المعلومات والتكنولوجيا الزراعية ذات الفائدة للمزارعين، ومساعدتهم في زيادة وتحسين الإنتاج الزراعي .

هذا وتؤدي المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي دوراً هاماً في دعم البحث العلمي من حيث، العمل على استنباط التكنولوجيا الزراعية المناسبة للظروف المحلية، ونشر التقنيات الزراعية، وتطوير مهارات الاختصاصيين والمرشدين الزراعيين والفنيين في مختلف المجالات .

ويجب التأكيد على أهمية التعليم الزراعي الذي يعدُّ القناة الرئيسية للتزود بالمعلومات والخبرات في المجال الزراعي . كما يهدف إلى إعداد الفنيين الزراعيين وتخريج الكفاءات العلمية من المهتمين في التنمية الزراعية والقيام بالبحوث العلمية والدراسات الهادفة إلى تطوير القطاع الزراعي في فلسطين .

Abstract

Based on the important role of the agricultural sector in development in Palestine and the efficient role of the extension service, this research deals briefly with the role the extension service in Palestine plays in the agricultural development. A number of agricultural studies which the agricultural institutions and workers benefit from is being carried out in these stations.

Relevant Government and private institutions pay more attention to extension service and implement it in agricultural development through making farmers aware of technology and assisting them to increase the agricultural product.

The extension service has a vital role in the spreading of the agricultural technology appropriate for the local conditions and in promoting and improving the skills of the farmers, advisors as well as technicians.

Agricultural education is also considered the main channel of expertise and information. It aims at preparing a qualified staff of technicians in the field of agricultural development who would carry out studies and research to develop agriculture in Palestine.

المحطات الزراعية والارشاد الزارعي في فلسطين ودورهما في دعم البحث العلمي

مقدمة:

يعدُّ قطاع الزراعة أحد القطاعات الاقتصادية المهمة في معظم الدول النامية، وتنبع هذه الأهمية من حقيقة أن نسبة كبيرة من الموارد الطبيعية والبشرية تتركز في قطاع الزراعة والمناطق الريفية، وبما أن الزراعة تعدّ من النشاطات الرئيسية على مستوى الوطن وأقطار الوطن العربي، فان تطورها يمثل ركيزة أساسية من ركائز التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وتولي المؤسسات الحكومية والأهلية والمنظمات غير الحكومية اهتماماً متميزاً وملحوظا لقطاع الزراعة نظراً لمساهمته الفاعلة في الاقتصاد الوطني الفلسطيني حيث تساهم الزراعة بما لا يقل عن ٣٠٪ من الدخل الوطني الإجمالي، وكذلك دعم العملية التنموية الأمر الذي جعل أجهزة التخطيط ومؤسسات البحث العلمي تولي قطاع الزراعة أهمية كبيرة في التخطيط على المستوى الوطني*. ومن هنا يبرز في هذا البحث أهمية: "المحطات الزارعية والإرشاد الزراعي في فلسطين، ودورهما في دعم البحث العلمي" انطلاقاً من دور الجهات القائمة عليهما، وما تقوم به هذه الجهات من إعداد الخطط والبرامج التي تخدم أغراض التنمية الزراعية. بجانب العمل على استنباط التكنولوجيا الزراعية المناسبة للظروف المحلية واعتمادها سواء فيما يتعلق بالإنتاج الحيواني أو الإنتاج النباتي ونقلها إلى المرشدين الزراعيين والفنيين العاملين في القطاع الزراعي. وما يتم من إجراء للدراسات والأبحاث التي تخدم التنمية الزراعية وتعمل على تحسينها وتطويرها، ونقل التكنولوجيا وتبادل الاستشارات والخدمات الفنية في مجال الزراعة، إيمانا بأهمية البحث العلمي كضرورة أساسية للرقي والتقدم.

أولاً: أهداف البحث:

١. التعرف على واقع المحطات الزراعية وبيان دورها المجتمعي وأهميتها في إثراء مسيرة التنمية الزراعية في فلسطين.

٢ . الوقوف على واقع ومعطيات الإرشاد الزراعي وبيان دوره وأهميته في نقل وتوظيف التقنيات الزراعية الحديثة الملائمة محلياً التي تلبي احتياجات القطاع الزراعي والمزارعين .
٣ . توضيح أهمية انتهاج أساليب البحث العلمي وإظهار أثره الإيجابي على المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي، للنهوض بالقطاع الزراعي .
٤ . بيان دور المنظمات غير الحكومية " مؤسسة لجان الإغاثة الزراعية الفلسطينية " وأهميتها في دعم التنمية الزراعية في فلسطين وتطويرها .

منهجية البحث

استخدام الباحث المنهج الوصفي التحليلي لإعداد هذا البحث، ولذلك تم الاعتماد والاستعانة بشكل رئيسي على المعلومات والإحصائيات المتوافرة لدى وزارة الزراعة، ودائرة الإحصاء المركزية والإغاثة الزراعية الفلسطينية .

وقد قام البحث بزيارات ميدانية عديدة من المحطات الزراعية، منها محطة العروب الزراعية للوقوف عن كثب على وضع هذه المحطات . والدور الذي تقوم به لخدمة وتطوير القطاع الزراعي . وكذلك قام بزيارات عمل لقسم الإرشاد الزراعي التابع لوزارة الزراعة .

فرضيات البحث:

وضع الباحث الفرضيات الآتية لغرض إعداد وإنجاز هذا البحث :

- تعدّ المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي في فلسطين من الدعائم الرئيسية لتنمية القطاع الزراعي .
- إن ضعف البنية التحتية وعدم توافر القوى البشرية المؤهلة والمطلوبة في المحطات الزراعية ومراكز الإرشاد الزراعي يؤثر سلباً على الدور والمهام المناط بهما .
- إن جانباً أساسياً من مرتكزات تحسين وتطوير عمل المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي ـ يعتمد على البحث العلمي .
- إن تبعية الاقتصاد الفلسطيني واعتماده على الاقتصاد الاسرائيلي نتيجة الاحتلال . قد أثر سلباً على دور وعمل المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي .
- إن عدم توافر التنسيق والتعاون المطلوبين بين المؤسسات الحكومية والاهلية ذات العلاقة

بالقطاع الزراعي لا يسهم في تفعيل عمل المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي بالقدر المطلوب.

ثانياً: المحطات الزراعية في فلسطين:

تنتشر محطات التجارب الزارعية التابعة لوزارة الزراعة والمؤسسات العاملة في القطاع الزراعي في العديد من محافظات الوطن من جنين شمالاً حتى غزة جنوباً مروراً بطولكرم ونابلس وأريحا والخليل، وتهتم وزارة الزراعة من خلال دائرة المحطات الزراعية التي إنشاؤها مؤخراً في العمل على تطوير مسيرة الزراعة الفلسطينية حيث يتم تحديث وتطوير المحطات الحالية وإنشاء محطات جديدة بأساليب علمية حديثة.

ويمكن إيجاز أهداف ومهام دائرة المحطات الزراعية الرئيسية التابعة لوزارة الزراعة في النقاط التالية: -

١. الاشتراك في إعداد الخطة العامة للمحطات الزراعية الفرعية وتأمين احتياجاتها من الأسمدة والعلاجات والمواد المختلفة التي تحتاجها المحطات لتسهيل إنجاز أعمالها الموسمية.
٢. الإشراف على تنفيذ الخطة المقترحة لكل محطة.
٣. التنسيق والربط بين المحطات المختلفة في مجال الاحتياجات والتجارب الزراعية.
٤. متابعة رفع كفاءة وخبرة الكادر الوظيفي العامل في المحطات من خلال الدورات التدريبية القصيرة والطويلة المدى، والبعثات الدراسية في المجال الزراعي.
٥. تفعيل قدرة المحطات الزراعية لخدمة المزارع والمؤسسات الوطنية من خلال (أيام عمل حقلية).
٦. متابعة تأهيل وتطوير المحطات الزراعية المختلفة.
٧. الاشتراك في اللجان المختلفة من طرف الوزارة ومركز البحوث الزراعية لإنجاز الأعمال المتعلقة في المحطات الزراعية، أو أعمال الوزارة بشكل عام.

٢-١ المحطات الزراعية في فلسطين ودورها في دعم البحث العلمي "٧"

يوجد في فلسطين عشر محطات للأبحاث الزراعية موزعة كالتالي:

*** محطة بيت قاد الزراعية:**

تقع في الجانب الشرقي شبه الجاف من مدينة جنين ومساحتها ٧٥٠ دونماً، وترتفع ٢٠٠م عن سطح البحر، كما أن معدل سقوط الأمطار السنوي فيها حوالي ٣٥٠ ملم، وتربتها طينية ثقيلة، تتعرض للتشقق في نهاية الربيع خاصة عندما يكون تحضير التربة بشكل غير مثالي كما أن درجات الحرارة في بداية الصيف تكون مرتفعة، وتتعرض للجفاف ولموجات من الرياح الخماسينية، والمحطة متخصصة ببحوث المحاصيل الحقلية الشتوية والصيفية، وتجري فيها أبحاث عن الحبوب والبقوليات من الأصناف والسلالات التي تصلنا من المراكز العربية المتخصصة في هذا المجال.

وتعدّ محطة بيت قاد الزراعية مركزاً تدريبياً للمهندسين الزراعيين، وكذلك للمزارعين في مجالات الميكنة الزراعية وتحضير الأرض والعناية بالمزروعات.

مركز مرج بن عامر لتطوير الثروة الحيوانية:

أنشئ هذا المركز في محطة بيت قاد الزراعية، ويوجد فيه مشروعات للأغنام، أحدها لتحسين الأغنام العواسي، والثاني لتحسين أغنام عساف. ويوجد في المركز حوالي ٣٠٠ رأس متواجدة ضمن ثلاثة مظلات حديثة، وكذلك يوجد وحدة للتلقيح الاصطناعي ووحدة المحلب، كما يهدف المركز لرفد المزارعين بسلالات من الأغنام والكباش المحسنة وبأسعار مخفضة.

*** محطة قباطية الزراعية:**

حرصاً من وزارة الزراعة على المحافظة على البيئة، وتشجيع المشاريع الهادفة لتشجير فلسطين، تم إنشاء محطة قباطية للتجارب الزراعية، وتقع هذه المحطة في الجنوب الغربي من مدينة جنين، وعلى بعد ٦ كلم منها وعلى ارتفاع (١٦٠م) عن سطح البحر، ومساحتها ٨٥ دونماً، ومعدل سقوط الأمطار فيها حوال ٤٥٠ ملم، تربتها طينية ثقيلة غدقة سيئة الصرف، كما تم تأهيلها من حيث المباني والآليات والمعدات حديثاً، وقد تم تخصيصها لزراعة الأشجار المثمرة لتكون في المستقبل مصدراً للأصول الوراثية. كما يوجد مشتل للأشجار الحرجية بمساحة ١٠ دونمات وسيتم تأهيل بئر المحطة الارتوازي، وذلك لزيادة المياه التي ستضخ منه لتكون كافية لري المقاطع الزراعية فيها.

*** محطة طولكرم الزراعية (خضوري):**

أنشئت محطة طولكرم الزراعية (خضوري) سنة ١٩٦٩ على أراضي بلدة عنبتا، حيث كانت الأراضي مستأجرة وكانت مساحتها حوالي ٤٠ دونماً، ثم انتقلت إلى أراضي خضوري سنة ١٩٧٨ بمساحة ٣٢ دونماً. وأصبحت مساحة الأراضي التابعة للمحطة وكلية حضوري ٦٠٠ دونم حيث ألحق بهذه المحطة كلية مجتمع متوسطة لتدريس الزراعة.

كما تقدم المحطة خدماتها لطلبة كلية الزراعة في جامعة النجاح الوطنية، ويوجد بها بئر ماء قدرته الإنتاجية ٣٠-٣٥م مكعب/ ساعة، يروي البئر الارتوازي أراضي محطة طولكرم الزراعية وأراضي كلية الزراعة وحديقة خضوري بالإضافة إلى المشتل الزراعي التابع لوزارة الزارعة.

يوجد في المحطة ١,٢٥٠ دونماً أنشىء عليها بيت بلاستيكي في عام ١٩٨٧ حيث كان يستخدم في السابق لإكثار الحمضيات بواسطة العقل، وتم تحويله فيما بعد إلى زراعة أصناف الخضار المختلفة لشركات زراعية متنوعة، خاصة الأصناف الجديدة التي يتم طرحها من طرف الشركات لمعرفة مدى ملائمة هذه الأصناف للمنطقة، وفيما يلي جدول رقم (١) يوضح كيفية استغلال أراضي محطة خضوري الزراعية.

جدول رقم (١)

يوضح كيفية استغلال أراضي وموجودات محطة خضوري الزراعية

البند	المساحة	كيفيـــة الاســـتغلال
بيت بلاستيكي	١,٢٥ دونم	إجراء تجارب على محاصيل الخضار المحمية
أرض مكشوفة	١٠ دونم	تستغل في إجراء التجارب على الخضار المكشوفة
أرض مكشوفة	٧٠ دونم	تستغل لزراعة المحاصيل الحقلية
أشجار زيتون	٥٠ دونم	يتم تضمينها
بئر ارتوازي	----	يستخدم لري أراضي المحطة وأراضي جامعة النجاح وكلية خضوري والمشتل

أهم النشاطات التي تقدمها المحطة في مجال الارشاد الزراعي ودعم المزارعين وبعض القطاعات العامة الأخرى : -

١ . تم عمل تجربة حول مبيدات الاعشاب على محاصيل معينة بهدف إجراء تجارب عليها ومن ثم الحصول على نتائج يتم تعميمها على المزارعين .

٢ . استخدام الأسمدة العضوية (مثل جفت الزيتون المعامل بطرق معينة) يتم بعد إجراء تجارب عليها لاعتمادها كبديل للأسمدة الكيماوية .

٣ . التقليل من استخدام المبيدات الفطرية والحشرية وذلك عن طريق :

أ) إجراء تجارب عليها طرق المقاومة الحيوية وذلك باستخدام الكوسا المطعم بالفيروس المضعف لمنع الإصابة بفيروس (بترقش الكوسا) .

ب) استخدام الأصناف المقاومة للفيروس وذلك في محصول البندورة .

٤ . إجراء التجارب الخاصة بالتعقيم بغاز مثيل بروميد داخل بيوت البلاستيك .

٥ . مقارنة أصناف جديدة من الخضار المختلفة ومدى ملائمتها لظروف المنطقة وتعميمها .

٦ . إجراء الابحاث والدراسات بالتعاون مع المركز الوطني للبحوث الزراعية على تجارب مثل استخدام مبيدات فطرية بالتربة وتأثيرها على محاصيل حساسة للأمراض لمعرفة مدى نجاعة هذه المبيدات .

٧ . مشاهدات ايام حقلية للمزارعين بالتنسيق مع الشركات والمؤسسات العاملة في المجال الزراعي .

٨ . المساهمة في تسهيل إجراء الأبحاث التدريبية لطلاب كليات الزراعة في الجامعات .

*** محطة عسكر الزراعية:**

تقع محطة عسكر شرقي مدينة نابلس بمساحة ٣٠ دونماً ، ومعدل سقوط الأمطار السنوي حوالي ٦٥٠ ملم مزروعة بحوالي ٦٠ صنف زيتون . تهدف المحطة لدراسة سلوك الأصناف المحلية والعالمية من الزيتون تحت الظروف البعلية والمناخ الفلسطيني ، وتجرى على الأصناف المختلفة تجارب التسميد ومواعيد النضج ، وفحص نسبة الزيت وإجراء التحاليل اللازمة عليها .

*** محطة أريحا الزراعية:**

تقع وسط مدينة أريحا ومساحتها ٨٠ دونماً ، ومعدل سقوط الأمطار فيها ١٢٠ ملم .

تربتها طينية ثقيلة، وتنخفض عن سطح البحر ٢٩٠م، مصدر مياه الري من عين السلطان، وحصة المحطة من المياه ٢٤ ساعة في الأسبوع بمعدل ٣٦٠م/ ساعة.

والمحطة تجري البحوث الزراعية التطبيقية على الخضار المكشوفة والمروية، وكذلك على البستنة الشجرية مثل نخيل البلح وأصناف العنب اللابذرية تحت الظروف المحمية والمكشوفة.

*** محطة الفارعة الزراعية:**

تقع هذه المحطة في منطقة الجفتلك شمال غرب مدينة أريحا وعلى بعد ٣٥ كم منها، مساحتها ١٥٠ دونماً وتربتها طينية ثقيلة، معدل سقوط الأمطار حوالي ١٥٠ ملم، ويوجد ضمن حدود المحطة بئر ارتوازي. وتقوم المحطة الزراعية باجراء الابحاث الزراعية التي تخدم المزارعين في المجتمع المحلي.

*** محطة العروب الزراعية:**

تقع محطة العروب الزراعية في محافظة الخليل على مساحة مائتي دونم تقريباً، وبارتفاع ٩٨٠م عن سطح البحر، ومتوسط أمطارها ٥٥٠ ملم.

ويرجع تاريخ إنشائها إلى ١٩٣٥م، ولدى قيام وزراة الزراعة الفلسطينية بمهامها، تم تخصيص المحطة لأبحاث البستنة سنة ١٩٩٥م، حيث تجرى الأبحاث والتجارب على أشجار اللوزيات والتفاحيات، والعنب.

تاريخ المحطة:

في عام ١٩٦٣م تم اقتطاع ٨٠ دونم وإنشاء مدرسة العروب الزراعية المجاورة لها. في عام ١٩٦٧ تعددت أهدافها لتشمل العمل على إنتاج الحبوب والخضار والنباتات الطبية والبستنة وامتد نشاطها لاستئجار ٣٠٠ دونم في منطقة الظاهرية للزراعة الجافة.

وقد تم اتخاذ قرار من المسؤولين لتحويل محطة العروب الزراعية إلى محطة بستنة لتخدم جميع المناطق المختلفة في فلسطين لتكون: بستاناً عصرياً للأبحاث، ومركز بحث علمي فيه مشاتل ومختبرات أمراض وحشرات وسمية، ومركزاً إرشادياً للمزارعين ولطلاب العلوم الزراعية.

خطة التطوير:

وضعت خطة لتجديد البستان لحل مشاكل المزارعين الحالية والمستقبلية حيث تم قلابة مقاطع البستان (٥٥ دونم) بواسطة الجرافة لعمق ١م ثم تم تخطيطها وزراعتها كالتالي :

التفاحيات:

١ . زراعة أصناف جديدة وقديمة بمسافات زراعة ضيقة وطرق تربية حديثة وري مساعد .
٢ . إعادة زراعة الكمثرى .
٣ . إعادة زراعة السفرجل .
والجدول رقم (٢) يبين أنواع التفاحيات ومساحتها المزروعة في محطة العروب .

جدول رقم (٢)

جدول رقم (٢) يبين أنواع التفاحيات المزروعة في محطة العروب

النوع	عدد الأصناف	عدد الغراس	المساحة (دونم)
تفاح	١٥		١٠ ٥٩٠
كمثرى	٢	١٠٠	٢
سفرجل	١	٦٠	١

اللوزيات:

١ . زراعة أصناف البرقوق الحديثة لإدخال أصناف جديدة للمنطقة لغرض تنويع الإنتاج، ومد فترة نضج الثمار لتخفيف مشكلة التسويق ودراسة الأصناف الصناعية .
٢ . زراعة الدراق لتنويع الزراعة وحل مشاكل الأمراض .
٣ . زراعة النكتارين بأنواعه لدراسة ملاءمتها للمنطقة وإدخالها للمزارع .
٤ . زراعة الشري بأنواعه لدراسة ملاءمتها للمنطقة وإدخالها للمزارع (مسافات زراعة وطرق تربية جديدة) .
٥ . زراعة المشمش لحل مشاكل الحمل (تقليم، حشرات وأمراض) . *

* دليل المزارع ١٩٩٩ .

والجدول رقم (٣) يبين أنواع اللوزيات ومساحتها المزروعة في محطة العروب .

جدول رقم (٣)

جدول رقم (٣) يبين أنواع أشجار اللوزيات المزروعة في محطة العروب

النوع	عدد الأصناف	عدد الغراس	المساحة (دونم)
برقوق	٢١	٤٣٠	٧
وشنة	٣١	١٣٠	٢
مشمش	٥	١٦٠	٣
نكتارين	٥	١٦٠	٣
دراق	٩	٢٧٥	٥

العنــــــب:

تم وضع خطة التطوير التالية : -

١ . إدخال أصناف جديدة تلائم التصنيع الحديث والتصدير .

٢ . زراعة مقطع على أصول مقاومة لحشرة الفوليكسرا لدراسة مقاومة الحشرات والأمراض والعمليات الزراعية الخاصة بتربية العنب .

٣ . دراسة التوافق وعدم التوافق بين الأصناف المحلية والأصول المقاومة للفوليكسيرا .

٤ . المطالبة بزراعة عنب خال من الفيروس لتسويق المطاعيم للمشاتل والمزارعين .

كما تشمل خطة التطوير في المحطة العمل على تحسين ورعاية الامور المتعلقة بزراعة النباتات الطبية ، الزارعة الجافة للمحاصيل في الأرض المكشوفة وزراعة الخضار ومشاتل الغراس المثمرة بجانب الاهتمام بتطوير الثروة الحيوانية كتربية الدواجن والأبقار .

المشاتل:

يقوم العاملون في المحطة بالعمل على اعداد المشاتل التالية :

١ . مشتل للتفاحيات الهدف منه تأمين الأصول الجيدة الحديثة للمشاتل وانتاج أشتال من أصناف جديدة بهدف علمي .

٢ . مشتل للعنب لانتاج الغراس الخالية من الفيروس ودراسة الأصول والالتحام وطرق جديدة

للتطعيم وإنتاج الغراس للمزارع بأقل الأسعار.

المختبرات:

حيث أن العمل جار على تطوير المختبرات التالية

١. مختبر حقلي لفحصً العنب المصاب بالفيروس.
٢. مختبر أمراض النبات للكشف عن النيماتودا الناقلة لفيروس العنب وعن البكتيريا المسببة لتعقد الجذور على اللوزيات.
٣. مختبر للكشف عن السمية في الفاكهة.
٤. تطوير مختبر تحليل التربة والري الموجود حالياً في العروب.

*** محطة الشاطىء الزراعية:**

وتقع على شاطئ البحر بمحافظة غزة على مساحة ٤٠ دونماً، وهي محطة خاصة بالخضار والأزهار، ففي مجال الخضار يتم إجراء التجارب الموسمية في جميع المراحل الزراعية، واتباع الأساليب الحديثة على طريقة الزراعة المتكاملة ومنها التعقيم الحراري، والمكافحة الحيوية.

وتقوم المحطة سنوياً بالعديد من التجارب على محاصيل الخضار خاصة المحاصيل ذات الأهمية الاقتصادية مثل البطاطس، والبطاطا الحلوة والبصل، ولا تقتصر التجارب على الأصناف الزراعية فحسب، بل تجري أيضا تجارب المكافحة الحيوية. وتجارب المياه، كما يتم إجراء التجارب على الزراعة المكثفة داخل الدفيئات.

ومن أهم الأصناف التي يتم تجربتها: البندورة، الخيار، والفلفل، مع تسجيل النتائج وتعميمها على المزارعين للاستفادة منها في تطوير وتحسين الانتاج الزراعي.

*** محطة بيت لاهيا الزراعية:**

وهذه المحطة ما زالت في مرحلة التأهيل، ويوجد فيها مشتل الوادي الأخضر.

*** محطة بيت حانون الزراعية:**

تبلغ مساحة هذه المحطة حوالي ١٥ دونماً، وهي متخصصة بزراعة الخضار والمحاصيل الحقلية.

ثالثاً: الارشاد الزراعي في فلسطين:-

٣-١ الفلسفة العامة للارشاد الزراعي:

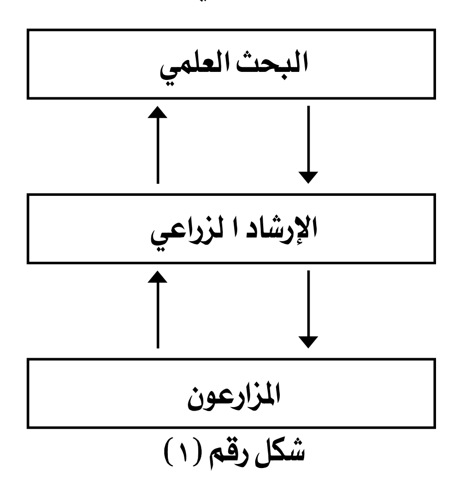
ترتكز الفلسفة أو التوجه العام للارشاد على أن الفرد هو أساس قاعدة تكوين المجتمع فالإنسان هو المنتج والمسوق والمستهلك، وبالتالي، فان أي نظام إرشادي ناجح يجب أن يقوم على تأهيل الأفراد الذين يتعين عليهم القيام بهذه الوظائف لادائها بأعلى كفاية ممكنة.

وتسهم عملية التأهيل هذه في تطوير قدرة أفراد المجتمع على مساعدة أنفسهم - (Self help) في إطار ما يسمى بالتنمية الذاتية (Self-development)، ولأن صلاح المجتمع من صلاح الفرد، فان تنشئة الفرد وتكوين المواطن الصالح المنتج واستغلال القوى الكامنة المتميزة في الأفراد الذين تتباين طاقاتهم من خلال التعليم الإرشادي يسهم في تطوير المجتمعات الريفية المحلية والوطنية[١].

٣-٢ الأرشاد الزراعي في فلسطين ودوره في دعم البحث العلمي:

يلعب المزارعون دوراً رئيساً في تطوير ونقلها تقنيات الزراعة الحديثة ويرتكز الإرشاد على تطبيق نتائج البحوث الملائمة محلياً لتطوير تقنيات الانتاج التي تلبي احتياجات المزارعين لتحسين الكفاية الإنتاجية وتتفاوت نتائج التطبيق باختلاف عناصر البيئة.

ويواجه المزارعون مشكلات مختلفة عند تطبيق التقنيات الحديثة، ولذلك فإن هناك حاجة لتوفير آلية لنقل احتياجات المزارعين، ونتائج ومشكلات تطبيق التقنيات الجديدة كما يراها المنتجون إلى الباحثين من خلال العاملين في الإرشاد.



شكل رقم (١)

(١) التسويق والإرشاد الزراعي - ج.ق.م ١٩٩٧.

هذا ويقوم الإرشاد على علاقة متبادلة بين كل من الباحثين والمرشدين والمزارعين كما هو مبين بالشكل رقم (١) فالمرشد ينقل أفكار واقتراحات المزارعين إلى مراكز البحث لمساعدة الباحثين على تفهم مشكلات الزراعة المحلية التي يواجهها المزارعون والمحددات التي تحيط بعملهم لتوجيه جهود البحث وتركيز الأبحاث لتلبية الاحتياجات الفعلية للمزارعين، في إطار الموارد المتاحة، ثم ينقل نتائج البحوث التطبيقية وحلول المشكلات من مراكز البحث بشكل مبسط إلى المزارعين، ويساعدهم على تطبيقها. وفي المقابل، فإن المرشد يحصل على تغذية راجعة (Feedback) فهو ينقل نتائج

* التسويق والإرشاد الزراعي ـ ج. ق. م. ١٩٩٧ تطبيق تقنيات الإنتاج الجديدة في حقول المزارعين والمشكلات التي تواجه تطبيقها، وقد تنقل هذه المعلومات مباشرة من المزارع إلى مراكز البحث، وتمثل التغذية الراجعة، أو ما يسمى بالاتصال العكسي أحد عناصر نموذج الاتصال الهامة.

٣-٣ شمولية العمل الإرشادي:

يختلف أفراد وفئات المجتمعات الريفية في طبيعة المشكلات التي يواجهونها، ولذلك يتعين أن تستجيب خدمات الإرشاد لاحتياجات المجموعات المستهدفة المختلفة التي تسهم في تحقيق التنمية الريفية. فالمزارعون المتعلمون المتنورون الذين تتوفر لديهم موارد كبيرة، لديهم مصادر متعددة للمعلومات والتمويل ومنافذ للتسويق، وبالتالي تختلف مشكلاتهم عن تلك التي تواجه صغار المزارعين الأميين الذين تتوافر لديهم موارد قليلة، وهناك أجيال متعددة تشمل الرجال والنساء من الشباب وكبار السن، وهذا يتطلب البحث عن حلول مختلفة تستجيب لاحتياجات كل فئة وتحقق التوازن والعدالة في التنمية، وتسهم في دمج المرأة والشباب في حياة المجتمع ليكون الإصلاح أكثر شمولاً وأسرع تحقيقاً، فيتعامل الإرشاد مع الأسرة كوحدة متكاملة ويعالج جوانب الاقتصاد المنزلي ويوفر خدمات الإرشاد للمرأة الريفية المنتجة، ويحد من التوتر الاجتماعي بين الأجيال، ويرفع من قيمة العمل الزراعي في نظر الفئات الشابة، كما يحد من هجرة الطاقات المتعلمة الاكثر استجابة للتقنيات الحديثة.

٣-٤ دور البحث العلمي والإرشاد الزراعي في التنمية الزراعية:

تبين مما سبق أن التنمية الزراعية تمثل الركيزة الأساسية للتنمية الريفية والتنمية الاقتصادية

والاجتماعية الشاملة غير أن تحقيق التنمية الزراعية واستدامة واضطراد النمو فيها يتوقف بدوره على عدد من العوامل الهامة[1]، ومن بين هذه العوامل:

- تطور تقنيات الانتاج بشكل مستمر في مراكز البحث ونقلها من خلال الارشاد والتخطيط للتنمية لتنفيذ مشاريع استصلاح الأراضي والري كما تتطلب التنمية الزراعية.
- توفير البيئة الاقتصادية والاجتماعية المواتية للتنمية ويشمل ذلك سياسات تفصيلية في مجالات الضرائب وأسعار الفائدة لتمويل النشاطات الزراعية وتبني سياسات مواتية للتنمية في مجالات مثل الأسعار والتصدير والاستيراد وتنظيم المزارعين في تعاونيات أو اتحادات أهلية.
- توفير مدخلات ووسائل الإنتاج الحديثة.
- توفير الأسواق للمنتجات الزراعية وخدمات النقل والطرق.
- توفير مرافق التعليم الأساسي والمهني.

ان مساهمة الزراعة في إجمالي الناتج المحلي تتوقف على حجم الموارد الزراعية وفرص تنميتها وكفاية استخدامها ولذلك يمكن رفع معدل النمو الاقتصادي وتحقيق التنمية الزراعية عن طريق تنمية الموارد وتوسيع قاعدة الإنتاج من خلال إقامة مشاريع الري واستصلاح الأراضي، وهو ما يسمى بالتوسع الأفقي .

غير أن فرص تحقيق التنمية الزراعية من خلال التوسع الأفقي قد لا تكون كبيرة فموارد الأرض والمياه محدودة بدرجات متفاوته في دول كثيرة ومنها الدول العربية. في الأراضي الفلسطينية، فإن مشكلة ندرة موارد الأرض والمياه أكثر حدة لأسباب سياسية وطبيعية، وبشكل عام فإن نسبة الأراضي المطرية غير المستغلة محدودة وهامشية في إنتاجيتها، وقد يترتب على استغلالها أضرار على البيئة، كما يتطلب التوسع الأفقي رؤوس أموال كبيرة، ويستغرق وقتاً طويلاً ويحقق نتائج متواضعة، فمضاعفة المساحة قد يضاعف من الإنتاج عدة مرات في وقت أسرع وبتكلفة قليلة نسبياً، وهذا لا يعني الدعوة لعدم التوجه لتنمية وتطوير الموارد، وانما يعني ببساطة أنه ما لم يتم تطوير تقنيات الإنتاج، فإن فرص تحقيق التنمية وتوفير الاستثمارات للتوسع الأفقي تبقى ضعيفة ومحدودة.

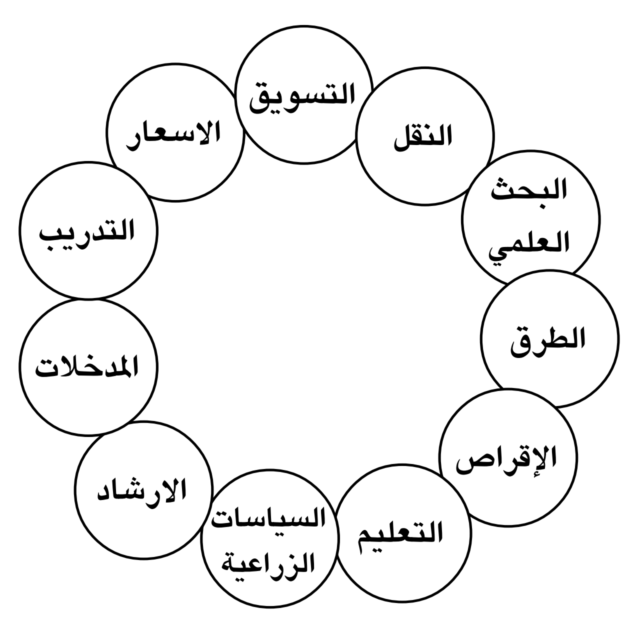
كما يمكن تحقيق التنمية الزراعية من خلال تطوير وملاءمة تقنيات الإنتاج ونشرها من خلال الإرشاد الزراعي، ولذلك فإن نشاطات البحث والإرشاد الزراعي هي من أبرز العوامل

---

(١) المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي ودورهما في البحث العلمي.

المؤثرة على التنمية الزراعية، وتسهم التقنيات الحديثة في تحسين الكفاية الإنتاجية من وحدة المورد (العمل، الأرض، رأس المال) من خلال ما يسمى بالتوسع الرأسي، وذلك باستخدام التقنيات الحيوية (Bio-technology) بشكل رئيس مثل البذار عالية الإنتاج، مكافحة الآفات، تحسين التربة وتطوير أساليب الري والزراعة المحمية واستخدام الآليات الحديثة.

ومع أن تطوير تقنيات الإنتاج في مراكز البحوث وتوفر خدمات الإرشاد الزراعي يمثل حلقة مهمة في عملية التنمية، غير أنه يتعين إدراك أهمية العوامل الأخرى المؤثرة على التنمية الزراعية، فالإرشاد الزراعي وحده لا يمكن أن يحقق التنمية بدون تكامل العوامل الأخرى، ولذلك، فإن العلاقة بين هذه العوامل تكاملية وليست تنافسية حيث يؤدي كل منها دوراً في زيادة فاعلية العوامل الأخرى، ويظهر الشكل رقم (٢) الترابط بين هذه العوامل في دعم التنمية الزراعية.



شكل رقم (٢)
العوامل المؤثرة على عملية التنمية الزراعية

وتشبه طبيعة العلاقة بين هذه العوامل العلاقة التي تربط بين أفراد فرقة موسيقية أو فريق كرة قدم. فمهما كانت مهارة أي من العازفين أو اللاعبين كبيرة. فإن نجاح الفرقة أو الفريق يتوقف على تعاون بقية العازفين أو اللاعبين. ووجود لاعب ماهر مهما كانت مهارته

في فريق ضعيف وغير متكامل لا يضمن النجاح، ولا يمكن أن يمنع فشل الفريق. وكلما ضعفت كفاية أي من الأفراد المشاركين تدنت فرص النجاح.

رابعاً: دور المؤسسات الغير حكومية (NGO)

٤-١ مؤسسة الإغاثة الزراعية الفلسطينية ودورها في دعم البحث العلمي

٤-٢ نبذة تاريخية عن المؤسسة:

تأسست الاغاثة الزراعية كمؤسسة تطوعية غير حكومية في عام ١٩٨٣ وذلك بهدف خدمة الريف الفلسطيني، كما أدت الإغاثة الزراعية دوراً رائداً في دعم التعاونيات ولجان العمل التطوعية في كافة المحافظات منذ نهاية الثمانينات حتى تطور عملها ليشمل حالياً ٢٥٠ قرية وبلدة في كافة محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة، وذلك من خلال تقديم الخدمات الزراعية في مجال التنمية النسوية واستصلاح الاراضي والتدريب والثروة الحيوانية من خلال ١٠ فروع.

تؤمن الإغاثة الزراعية بضرورة التركيز على تنمية المصادر البشرية كأساس للتنمية الشاملة من خلال التركيز على تطوير قدرات ومهنية كادرها، وبناء نظام تعلم من التجارب الذاتية والخارجية في المجالات التقنية والادارية، حيث قامت الاغاثة الزراعية منذ عام ١٩٩١ بتنفيذ مشروع لتأهيل المهندسين الزراعيين حديثي التخرج من خلال برنامج تدريبي يتخذ منحنى التدريب النظري والعلمي في مدة تتراوح من خمسة أشهر إلى عام واحد، ويقوم مرشدين الإغاثة ذوي من الخبرة التطبيقية وبعض الخبراء من الجامعات والمؤسسات الأهلية والحكومية بمتابعة برامج التدريب حسب منهاج التدريب الذي يتم متابعته سنوياً.

٤-٣ برنامج تدريب المهدسين الزراعيين:-

أهداف البرنامج:

يهدف البرنامج بشكل عام إلى تطوير قدرات المهندسين الزراعيين التطبيقية ودمجهم في سوق العمل من خلال تحقيق الأهداف التالية:

١. إعداد مهندسين زراعيين ذو قدرات على العمل تحت الأزمات.
٢. تزويد المهندسين الزراعيين بالأطر والمنهجيات التي تؤهلهم للتعلم والتطور ذاتياً.
٣. تحسين قدرات المهندسين الزراعيين على الاتصال وتعزيز العلاقات الإنسانية.
٤. ربط البحث الاجتماعي والاقتصادي والزراعي بعملية التنمية والإرشاد.

٥ . تزويد المهندسين الزراعيين بقدرات التعامل مع برامج الحاسوب وبرامج المعلومات عبر الانترنت .
٦ . ربط المهندس الزراعي باحتياجات وهموم الريف الفلسطيني .
٧ . تحسين التقنيات التخصصية المكتسبة من برامج التعليم الجامعي حسب تخصصاتهم المختلفة .

الامكانيات التدريبية للإغاثة:

يتم تنفيذ برنامج تدريب المهندسين الزارعيين حديثي التخرج من خلال دائرة البحث والتدريب .

قامت الإغاثة الزراعية خلال السنوات المنصرمة بالتركيز على تدريب كادر في مجالات إدارية وتقنية مختلفة نتج عنها بروز خبرة مميزة ، وتقوم المؤسسة حالياً ومن منظورها التنموي الجديد بنقل تلك الخبرات إلى المؤسسات والأفراد للاستفادة منها ، وتعدّ هذه الخبرة التي تراكمت من أبرز نقاط القوة التي شجعت الإغاثة الزراعية على تطوير برنامج تدريب المهندسين الزراعيين حيث تتركز خبرات الكادر الحالي للإغاثة الزراعية في مجالات البيئة والري ، وتربية النحل ، ودراسات تحديد وتخطيط البرامج والمشروعات ، الزراعية العضوية والزراعة المستدامة ، وتربية الاغنام ، ومهارات الاتصال ، الإرشاد ، وإدراة المخلفات .

مركز التدريب الزراعي:

يقع المركز على قطعة أرض زراعية تملكها الجمعية مساحتها ٢٥٠ دونم في مدينة أريحا ، حيث يحيط به مزارع النخيل والعنب والخضروات المروية ومشروع سمك وميكنة وحديقة عامة ، ويتكون المركز من قاعتين للتدريب وثلاثة مكاتب ومكتبة ومختبر كمبيوتر مزود بكافة لوازم التدريب اللازمة ، كما يشمل المركز بيت للضيافة يتكون من غرف نوم تتسع لأربعة وعشرين شخصاً محاذية للمزارع وغرف التدريب .

٤-٤ إنجازات وطموحات مؤسسة لجان الإغاثة الزراعية الفلسطينية:

وفيما يلي إنجازات وأعمال هذه المؤسسة بإيجاز :

١- الإرشاد الزراعي .

٢- معالجة الأوبئة الزراعية .
٣- الدراسات والأبحاث العلمية .
٤- الاتصالات مع الجمعيات الخيرية الوطنية والأجنبية .
٥- التعاون والتنسيق مع الجامعات لأغراض التنمية .
٦- التضامن مع الفلاحين في حل مشكلاتهم الطارئة .
٧- التسويق الزراعي .
٨- إدخال الطرق الحديثة في الزراعة .
٩- بما يخص العمل على المستوى الاقليمي والدولي شاركت الاغاثة في تشكيل شبكة المؤسسات العربية العاملة في مجال الزراعة المستدامة ولعبت دورا مميزا في ذلك وكذلك في شبكة الزراعة العضوية والجندر .
١٠- قامت بتعزيز العلاقة بين المؤسسات غير الحكومية والسلطة الوطنية حيث لعبت دورا بارزا في تحسين العلاقة ما بين المؤسسات والسلطة وخاصة من خلال علاقاتها المميزة، وانجازاتها الواضحة للعيان، وتعاونها مع ١٧ وزارة مختلفة، ومن خلال تفهم أكبر لمفهوم العلاقة التكاملية والشراكة في بناء المجتمع .
١١- تطبيق نظام ISO ٩٠٠٢ والحصول على شهادة الجودة بشأن ذلك .
١٢- تأسيس معهد التنمية الريفية والتدريب بمواقعة المختلفة (الزبابدة، أريحا، رام الله، وغزة) .
١٣- رفع كفاءة تعليم وتدريب الكادر حيث أولت الاغاثة اهتماما كبيرا لرفع كفاءة الكادر وذلك من خلال اشراكه بـ(١) :
* دورات تدريبية (٥٧) دورة .
* التعليم (١ دكتوراه + ١ ما جستير + ٧ بكالوريوس + ٤ دبلوم) .
* دورات خاصة من خلال الممارسة مثل كتابة التقارير والتخطيط ونظام المعلومات و (ISO 9002) .

الطموح المستقبلي:

تسعى الإغاثة الزراعية من خلال خطتها الاستراتيجية إلى تفعيل البحث والتدريب العملي

(١) المركز الوطني للبحوث الزراعية، ١٩٩٨ .

المبني على أولويات التنمية الفلسطيني ليكون رافداً للمؤسسات الحكومية وغير الحكومية والقطاع الخاص، وتزويدها بالكوادر المدربة وإجراء الدراسات والأبحاث اللازمة لتطوير البرامج والمشروعات الهادفة لتنمية الريف والقطاع الزراعي بأبعاده المختلفة: الاجتماعية والاقتصادية والوطينة والسياسية. كما تسعى الإغاثة الزارعية إلى تبادل الخبرات والمعارف والتشبيك مع المؤسسات التنموية والبحثية والأكاديمية في الدول العربية والعالم بنقل خبرتنا المميزة في مجالات الارشاد والبيئة والري وتنمية المرأة والاستفادة من خبرات الدول الأخرى في مجالات التنمية والبحث وتعمل الاغاثة الزراعية على تنفيذ وانجاز الأمور التالية: -

١- التوجه للعمل في الزراعة العضوية المستدامة والآمنة وتطوير هذا النوع من الزراعة في فلسطين.

٢- وضع الخطط لزيادة مشاريع الآمن الغذائي والري والبيئة واستصلاح الأراضي.

٣- إدخال خدمات التسويق الزراعي على نشاطات الأغاثة وخاصة تصدير زيت الزيتون، والخضار والفواكه الطازجة*.

* دليل المزارع ١٩٩٩.

خامساً: نتائج البحث

أولاً: لقد أظهرت نتائج البحث أهمية الدور الذي تقوم به المؤسسات الحكومية والأهلية في فلسطين في مجالي تحسين وتطوير المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي لخدمة التنمية الزراعية، من حيث نقل المعلومات الزراعية ذات الفائدة للمزارعين، وإكسابهم المهارات الفنية اللازمة لاتخاذ القرارات الرشيدة، كذلك نقل التكنولوجيا الزراعية، ومساعدة المزارعين في التوسع الأفقي والرأسي لتحسين وزيادة الإنتاج الزراعي في فلسطين.

ثانياً: اتضح من هذا البحث أهمية المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي في تحسين كفاية استخدام الموارد المحدودة " الأراضي، المياه " لتحقيق التنمية المستديمة، ودعم التكامل بين قطاع الزراعة وقطاعات التنمية الاقتصادية الأخرى.

ثالثاً: يتضح من معطيات هذا البحث الجهد الواضح والاهتمام الملحوظ للقائمين على مراكز البحوث الزراعية العلمية لتحسين أداء المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي بما يساهم في دعم مسيرة التنمية الزراعية.

رابعاً: اتضح من سياق البحث أهمية البحث العلمي ودوره في تحسين وتطوير عمل المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي.

خامساً: تبين عدم وجود التنسيق الكافي والفعال بين مؤسسات التعليم العالي، والمؤسسات الحكومية والأهلية العاملة في القطاع الزراعي بخصوص دعم وتطوير المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي، الأمر الذي يستدعي وضع آلية واضحة لتفعيل هذا التنسيق ودعمه.

سادساً: إن عدم توافر الدعم المالي اللازم والقوى البشرية المؤهلة والمطلوبة للمحطات الزراعية والإرشاد الزراعي لا يمكنها من القيام بالدور المناط بهما على أكمل وجه.

سابعاً: تبين التأثير السلبي والملحوظ للاحتلال على القطاع الزراعي في فلسطين، بحيث أصبح إلى حد كبير تابعاً للاقتصاد الإسرائيلي، الأمر الذي انعكس سلباً على دور وعمل المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي.

سادساً: توصيات البحث

١. التأكيد على أهمية الدور الإيجابي والفعال الذي تقوم به المحطات الزراعية في دعم

وتطوير العملية التنموية .

٢ . ضرورة استمرارية العمل على تفعيل دور الإرشاد الزراعي لتزويد المزارعين بالأساليب الزراعية الحديثة ، وتقديم أوجه الدعم اللازمة .

٣ . تعزيز الدور الإرشادي والتدريبي لمؤسسات التعليم الزراعي لخدمة المجتمعات المحلية ، وحماية البيئة والموارد الطبيعية والزراعية .

٤ . ضرورة إيلاء البحث العلمي الأهمية اللازمة من طرف جهات التخطيط المعنية بالزراعة ، ومتابعة توظيف نتائج هذه الأبحاث لتحسين وتطوير القطاع الزراعي في مجالي المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي .

٥ . التأكيد على أهمية وجود التنسيق والتعاون العلمي بين كليات الزراعة والمؤسسات ذات العلاقة من أجل دعم المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي .

٦ . دعم البنية التحتية للمعاهد والكليات ومراكز الأبحاث الزراعية المتمثلة في توفير الكادر البشري المؤهل والتجهيزات الفنية ومصادر التمويل اللازمة ، كونها من الروافد الأساسية التي تثري مسيرة التنمية الزراعية .

٧ . العمل على استمرارية توجه الباحثين في الجامعات الفلسطينية ودوائر البحث المعنية : الحكومية والأهلية في دعم وتطوير المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي ، وذلك عن طريق إجراء الأبحاث الزراعية العلمية المتعمقة التي تعود بالنفع والفائدة على المجتمع الفلسطيني .

المراجـع

أولاً:

١- الريماوي، أحمد، وخلدون الصبيحي، مقدمة في الإرشاد الزارعي، دار جنين، الأردن ١٩٩٦م.

٢- التقرير السنوي، جمعية الإغاثة الزراعية الفلسطينية، القدس ٢٠٠٠م.

٣- دليل المزارع، وزارة الزراعة الفلسطينية، المديرية العامة للإرشاد والإعلام الزراعي والبحث التطبيقي ١٩٩٩م.

٤- جامعة القدس المفتوحة ١٩٩٥م - الزراعة في فلسطين.

٥- جامعة القدس المفتوحة ١٩٩٧م - التسويق والإرشاد الزارعي.

٦- مجلة المزارع. مجلة تعنى بالشؤون الزراعية والتنمية الريفية ـ الناصرة ـ أيلول ٢٠٠٢.

٧- مجلة زراعية علمية. جذور وبراعم. الشركة العربية للنشر العلمي التكنولوجي. م. ض. الناصرة ب، فلسطين ٢٠٠١م.

٨- نشرة المركز الوطني الفلسطيني للبحوث الزراعية - وزارة الزراعة - رام الله فلسطين ١٩٩٨.

٩- نشرة المركز الوطني للبحوث الزراعية ونقل التكنولوجيا. المحطات الزراعية والإرشاد الزراعي ودورهما في البحث العلمي- عمان. الأردن ١٩٩٤.

ثانياً:

1- Agriculture Institutional . and Poloicy study , The West Bank and GAZA. (PECDAR) - Palestine 1995

2- The status of the Environment in the West Bank, Applied Research, Institute. Jerusalem 1997.

ملامح من الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي

د. مشهور الحبازي*

* جامعة القدس / كلية الآداب

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوعا جديدا من المواضيع الثقافية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وهو ملامح من الحياة الفكرية في القدس . وقد درست الموضوع ضمن تسعة عناوين؛ العمران والتعليم، والتصوف، وهجرة العلماء إلى القدس، والحرص على الدفن في القدس، والقدس في أدب الرحلات، وفي أدب الفضائل، ومدح الشعراء للقدس، وعلاقة المسلمين فيها بأهل الذمة. بحيث غطت هذه العناوين الجوانب المهمة من الحياة الفكرية في القدس، وبالتالي دلت على استمرار مكانة القدس الدينية والدنيوية في هذا العصر وتميزها في جوانب لاءمت العصر العثماني بكل ما فيه من خصوصيات. وأكدت على الدور الذي لعبته المدينة في حياة المجتمع المحلي والإسلامي في جوانب عديدة.

Abstract

This study is about a new cultural subject related to Al-Quds in the tenth century of Hijra / sixteenth century A.D. which is a feature of the intellectual life in Jerusalem.

The subject has been studied under nine headings: construction, education, sufism, migration of scientists to Al-Quds, keenness on burning deaths, literary travel, literature of virtues, poets, praise to Al-Quds, and the relations of Moslems with free non-Moslems.

These fields have covered the important aspects of the intellectual life in Al-Quds religious, earthly role in this era and its relevance to the Turkish era with all its specialties that were played by the city in the local and Islamic social life in different phases.

ملامح من الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري /السادس عشر الميلادي

المقدمة

الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، موضوع مهم، إلا أنه مثل كثير من قضايا الأدب والثقافة العربية الإسلامية في العصر العثماني، لم يلق الاهتمام اللازم من الدارسين المحدثين.

وعلى الرغم من أن الحياة الفكرية والثقافية في القدس في العصرين الأيوبي والمملوكي كتبت فيها دراسات كثيرة من عديد من الباحثين، فإن الفترة العثمانية ـ على ما توصلت إليه ـ لم تدرس دراسة مستقلة، وإن درست فإن الدراسات كانت مختصرة وغير وافية، كما جاء في دراسات عارف العارف حيث كان الحديث عن القرن العاشر غير موف بالغرض، أما دراسات الدكتور كامل العسلي التي تناولت القدس في جوانب عديدة فقد جاءت معلوماتها عن هذه الفترة مختصرة ومشتتة لا تمكّن من تكوين صورة واضحة عنها.

من هنا وجدت أن من المهم دراسة هذا الموضوع الجديد، لأنه يسهم في إيجاد استمرار تاريخي للدراسات السابقة، وبالتالي يسهم في إبراز مكانة المدينة المقدسة ودورها حتى نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي.

وقد اعتمدت في الدراسة المنهج التكاملي مع الاهتمام بالمنهج التاريخي، ووظفت مناهج متعددة لخدمة محاور الدراسة التسعة.

تمهيد

دأب الحكام المسلمون في العصور المختلفة على الاهتمام بمدينة القدس في المجالات كلها، لما تتمتع به من قدسية دينية استمدتها من كثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة[١]، ومن ارتباطها الروحي العميق بمكة المكرمة والمدينة المنورة في غير حادثة، ومن كثير من الروايات التاريخية المتعاقبة حول أهميتها لدى الأمم السابقة[٢]. وقد أثبت ذلك

الارتباط القرآن الكريم في سورة الإسراء التي تبدأ بقوله تعالى (سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله [٣]. فقد قيل في تفسير هذه الآية الكريمة أنه لو لم يكن للمسجد الأقصى فضيلة إلا هذه الآية العظيمة لكانت كافية، فالله تعالى بيّن فيها فضل الأقصى وجمع له فضل البيتين وشرفهما[٤]. وفي هذه الآية حديث عن مكانة المسجد الأقصى والأرض المحيطة به، والتي ذهب بعض المفسرين في تفسيرها مذاهب عديدة وصل بعضهم بها إلى حد جعل فيه بلاد الشام كلها أرضاً مباركة[٥]. كما أنه ربط عمليا بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى في حادثة الإسراء والمعراج الفريدة والعظيمة، وفي هذه الحادثة أيضاً ربط عملي بين المسجد الأقصى والسماء حيث سدرة المنتهى. وفي الحديث الشريف ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين ثلاثة مساجد مهمة في ديار الإسلام لا تشد الرحال إلاّ لها، وهي: المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف والمسجد الأقصى المبارك. ومن هنا فإن زيارة المسجد الأقصى المبارك والقدس الشريف وما فيها من أماكن مقدسة وأضرحة أنبياء وصحابة وتابعين وعلماء صالحين اعتبرت عملا مندوبا لكل من يحج من المسلمين، وعرفت على مدى التاريخ في فلسطين باسم " تقديس الحجة "، فالحاج إلى الديار الحجازية لا يكتمل حجه إلا بزيارة القدس الشريف. كما أن كثيرين من أهل الشام كانوا يبدأون حجهم أو عمرتهم من بيت المقدس تطبيقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: " من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له الجنة ". [٦]

وقد ذكر في غير موضع في كتب التراجم التي وضعت في العصر العثماني الأول وتناولت تراجم أعيان القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي وعلمائه مثل: تراجم الأعيان للبوريني ت ١٠٢٤/ ١٦٥١، والكواكب السائرة، ولطف السمر لنجم الدين الغزي ت١٠٦١/ ١٦٥١، وريحانة الألباب لشهاب الدين الخفاجي ت١٠٦٩/ ١٦٥٨، وخلاصة الأثر لمحمد أمين المحبي ت ١١١١/ ١٦٩٩ وغيرها ـ أن من كان يحج كان يزور بيت المقدس، ومن ذلك ما ورد في ترجمة أحمد بن عبد الله المعروف بنوري أفندي ت ٩٧٨/ ١٥٧٠، وكان مفتيا للحنفية في دمشق، من أنه ذهب مع قاضي قضاة دمشق محمد أفندي جوي زاده بأمر سلطاني للتفتيش على كنيسة في القدس في السنة التي توفي فيها، وبعد أن أتمّا مهمتهما توجها إلى قضاء ما هو مندوب إليه من الزيارة[٧]. كما ورد في ترجمة مسلم بن محمد الصمادي القادري ت١٠١٥/ ١٦٠٦ أنه سافر في أواخر أعوامه لزيارة بيت المقدس[٨]. وما

ورد في ترجمة عبد الرحيم بن محمود الأسطواني ت ١٠٢٢/ ١٦١٤، وكان رئيس المؤذنين في الجامع الأموي بدمشق، من أنه سافر وجماعة من أهل الشام إلى الحج وزيارة بيت المقدس(٩). وكان الصوفية يذهبون في سيّارة (مواكب أصحاب الطرق الصوفية ومؤيديهم ومريديهم التي تذهب لزيارة الأضرحة المعروفة في المدن الشامية) لزيارة بيت المقدس(١٠).

وفي هذا البحث تحدثت عن بعض ملامح الحياة الفكرية في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، أي عن الثمانين سنة الأولى من خضوع القدس لسلطة الدولة العثمانية، والتي تمثل الفترة الذهبية من عمر الدولة العثمانية فكريا وحضارياً، إذ بيّنت مكانة القدس لدى العثمانيين، وأهم ما فعلوه فيها، ومكانة القدس لدى الشعوب الإسلامية في الفترة نفسها، مع الإشارة إلى العلاقة بين المسلمين حكام البلاد وسادتها وبين أهل الذمة.

مظاهر اهتمام العثمانيين بالقدس

بدأ اهتمام العثمانيين ببيت المقدس مبكراً، وتحديداً قبل ٩١ عاما من فتحهم لها، إذ أن السلطان مراد بن محمد رتب سنة ٨٣٣/ ١٤٢٩ قرّاءً يقرأون له القرآن الكريم في مسجد قبة الصخرة المشرفة، وكذلك فعل السلطان إبراهيم بن محمد بن قرمان سنة ٨٥٨/ ١٤٥٤.

وفي ٤ ذي الحجة ٢٨/٩٢٢ كانون الأول ١٥٦١ فتح العثمانيون بقيادة السلطان سليم الأول القدس، فافتخر العثمانيون بذلك كونها أول مدينة مقدسة تدخل تحت سلطانهم، وتطلّعوا إلى مكة والمدينة ليصبحوا المدافعين عن مقدسات المسلمين، ورعاتها.

وقد منح العثمانيون القدس احتراما خاصاً عندما فتحوها، وترجموا هذا الاحترام على أرض الواقع منذ بداية فتحهم للمدينة، من خلال زيارات سلاطينهم لها، ومن خلال تقسيماتهم الإداريّة لبلاد الشام، والموقع الذي احتلته القدس في تلك التقسيمات، ومن خلال المنشآت التي أقاموها في القدس، ويمكن إظهار اهتمام العثمانيين بالقدس من خلال الآتي:

١- بعد يومين من دخول الجيوش العثمانية ـ سلماً ـ مدينة القدس، أي في ٦ ذي القعدة سنة ٩٢٢/ ٣٠ كانون الأول ١٥١٦ زارها السلطان العثماني سليم الأول، فرحّب به أهلها وتوجه إلى الحرم القدسي الشريف حيث سجد سجود الشكر لله وقال: " الحمد لله فأنا اليوم حامي القبلة الأولى " (١١). ثم صلّى في المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة. وزار قبور الصحابة والتابعين والصالحين، ثم استقبل وجهاء المدينة وأعيانها وعلماءها في الحرم القدسي، فرحبوا به، وأوْلَموا له، فأقرّهم على وظائفهم وأهداهم

الهدايا، وأعفاهم من الضرائب، وفي مقابل ذلك تسلّم منهم مفاتيح المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة [١٢].

٢- بعد أن عاد السلطان سليم الأول من فتح مصر والشام إلى عاصمة ملكه استانبول قسّم بلاد الشام إلى ثماني ولايات كان من بينها ولاية القدس، وذلك دليل على الأهمية التي أعطاها للمدينة، وفي سنة ٩٢٦/ ١٥٢٠ أجرى ابنه السلطان سليمان القانوني تغييراً على التقسيم الإداري لبلاد الشام، إذ قسّمها إلى ثلاث ولايات لم تكن القدس منها، لكنّه جعلها سنجقا (لواء) تابعاً لأهم ولايات الشام، وهي ولاية دمشق، وكان حاكمها يلقب بلقب بكلر بك [١٣].

٣- أن السلاطين العثمانيين وحكامهم حذوا حذو سلاطين المماليك وحكامهم في وضع المصاحف الشريفة في المسجد الأقصى المبارك، ووقف الأوقاف على قراء يتولون قراءتها. وذلك أسهم في زيادة حلقات العلم فيه واستمرارها[١٤].

٤- أن السلطان سليمان القانوني اتخذ لنفسه لقباً ربطه بالمدن الإسلامية الثالثة المقدسة، وهو " ملك مكة والمدينة والقدس " [١٥].

٥- قام العثمانيون في عهد السلطان سليمان القانوني، وبتوجيه مباشر منه بأعمال تعمير وبناء واسع في القدس، ومنها:

أ. بناء سور القدس الحالي ما بين ٩٤٣/ ١٥٣٦-٩٤٧/ ١٥٤٠، وذلك أن السور كان قد هدم أيام الملك المعظم عيسى الأيوبي سنة ٦١٦/ ١٢١٩ في الحروب الصليبية خوفاً من استيلاء الإفرنج على القدس والتحصن وراءه، وعندما عقد الملك الكامل بن الملك العادل الأيوبي هدنة مع إمبراطور ألمانيا فردريك، وتنازل له عن القدس سنة ٦٢٦/ ١٢٢٨، اشترط عليه عدم تعمير السور، وهذا العمل من السلطان سليمان القانوني كان لحماية المدينة وتحصينها من هجمات البدو والعربان المحيطين بها، وخوفاً من تعرضها لهجمات من الأعداء. ومحيط السور يبلغ ٤كم، ومتوسط ارتفاعه ١٢م، وعليه ٣٤برجاً، وله سبعة أبواب مفتوحة[١٦].

ب. تجديد شامل لقبة الصخرة المشرفة من خلال إبدال الفسيفساء على جدر القبة بالقاشاني الجديد في المثمن الخارجي للقبة ما بين ٩٥٧/ ١٥٥٠-٩٦٩/ ١٥٦١، وتركيب الرخام الذي يكسو الجدر الخارجية من الأسفل، وتجديد زجاج شبابيك الصخرة سنة ٩٤٥/ ١٥٣٨[١٧]. كما جددت ثلاثة أبواب للقبة وتصفيحها بقطع نحاسية جلبت من

استانبول عاصمة الدولة العثمانية، وذلك في الفترة ما بين ٩٧١/ ١٥٦٣-٩٧٢/ ١٥٦٤ . وفي معرض الحديث عن أعمال السلطان سليمان القانوني قال العاصمي : " ومنها بالمسجد الأقصى خيرات لا تحصى . . . ومنها عمارة قبة عظيمة على الصخرة الرفيعة الدرجات وجعل عوض التجصيص ألواحاً من فخار ازنيق بأنواع النقوش وأجلّ الكتابات ومنها للمساجد الثلاثة المشرفة (الحرام والنبوي والأقصى) المذكورة قدر الكفاية من الحبوب والمرتبات والخبز والطعام والصلة المبرورة "[١٨] .

ج . ترميم قلعة القدس وتعميرها (قرب باب الخليل) سنة ٩٣٨/ ١٥٣١ ، بحيث أصبحت تضم غرفاً للدزدار (أمين القلعة) ونائبه والإمام، والواعظ، والمؤذن الذين كانوا يعملون في مسجد القلعة، وحوالي سبعين غرفة لإيواء الجنود العثمانيين في المدينة[١٩] .

د . أعطى أهمية كبيرة لتزويد المدينة بالماء سنة ٩٤٣/ ١٥٣٦ ، فخصص مبالغ مالية كبيرة لبناء منشآت مائية وإصلاحها وصيانتها مثل : القنوات والبرك والأسبلة والحمامات . فعمِّرت قناة السبيل التي كانت تزود القدس بالماء من البرك الواقعة بين بيت لحم والخليل، والتي تنسب إلى السلطان سليمان نفسه . كما رمّم بركة السلطان خارج باب الخليل وبنى بجوارها سبيلاً . وبنى خمسة أسبلة داخل السور (السلسلة والواد وباب الناظر وستنا مريم وسليمان) . وللمحافظة على قناة السبيل عامرة أوقف عليها عدة قرى في الخليل[٢٠] .

هـ . أقيمت في الحرم القدسي مصطبة سبيل السلطان سليمان القانوني مقابل الباب العتم[٢١] .

وقامت زوجة السلطان سليمان خاصكي سلطان، الروسية الأصل والتي كانت تدعى روكسيلانة أو خرّم، سنة ٩٥٩/ ١٥٥١ ببناء تكية كبيرة عرفت باسم تكية خاصكي سلطان، ضمّت رباطا ومسجداً وخاناً ومطبخاً . وكانت هذه التكية بمثابة مؤسسة خيرية لخدمة سكان المدينة والوافدين إليها، حيث كانت تقدم الطعام للصوفية والمساكين وعامة الناس الفقراء . وقد أوقفت على التكية أوقافاً كثيرة في عدة قرى ومزارع توزعت على خمسة سناجق هي : القدس ونابلس وغزة وصفد وصيدا، وبالرغم من أن إنتاج هذه الأوقاف كان يفيض عن حاجة التكية، إلا أن السلطان سليمان نفسه بعد وفاة زوجته أوقف عليها أوقاف أربع قرى ومزارع في منطقة صيداً ليضمن استمرار عملها[٢٢] .

ز . أنشأت خاصكي سلطان زوجة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٦٣/ ١٥٥٥ حمامين أحدهما للرجال والآخر للنساء في حارة الغوانمة، وأوقفتهما على عمارتها (تكيتها) سنة ٩٦٤/ ١٥٥٦ [٢٣].

ح . كان السلطان أحمد بن محمد بن مراد المتوفى سنة ١٠٢٦/ ١٦١٧، مدة حياته لا يفتر عن عمارة المساجد وفعل الخيرات، ومن المساجد التي اهتم بها المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة. قال المحبّي في ترجمته له: " وبعث إلى بيت المقدس من فضة مطلية بالذهب لتوضع على القدم الشريف بالصخرة، وهي إلى الآن موجودة (عصر المحبي المتوفى ١١١١/ ١٦٩٩) " [٢٤].

٦- أن العثمانيين في عهد السلطان سليمان القانوني وما بعده استمروا في الاهتمام بمدينة القدس وتعميرها وتطويرها في نواحي الحياة كلها، ومن مظاهر ذلك الاهتمام:

أولاً - في مجال العمران

اهتم العثمانيون ببناء المساجد والمدارس والزوايا والتكايا والأربطة والخانات وغيرها من مظاهر العمران، أو ترميم ما هو قائم منها وتعميره، ومن أهم ما قاموا به في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي:

١ . بناء الطابق الثالث في رباط الكرد (دار الشهابي اليوم) لتوفير أماكن إقامة للفقراء، وزوار المدينة، علماً بأن الرباط كان قد بناه الأمير المملوكي سيف الدين الكرد سنة ٦٩٣/ ١٢٩٢ [٢٥].

٢ . أنشأ يحيى بن أبي شريف أوائل العهد العثماني مكتبا مكونا من غرفة واحدة قرب باب السلسلة وخصصه لتأديب الأطفال وتعليمهم [٢٦].

٣ . أنشأ نائب قلعة القدس في أوائل العهد العثماني المسجد القيمري، الكائن حالياً قرب الباب الجديد، ووقف عليه عقارات كثيرة، كما أوقفت امرأة صالحة تدعى قمرة بنت عبد الله التركية عليه عقاراً كانت تملكه [٢٧].

٤ . أنشأ والي القدس العثماني قاسم باشا سنة ٩٣٣/ ١٥٢٧ سبيلا عرف باسم سبيل قاسم باشا، غربي قبة الصخرة المشرفة، ومقابل المدرسة الأشرفية السلطانية [٢٨].

٥ . أنشأ الأمير حاجي بك سنة ٩٣٤/ ١٥٢٨ زاوية علاء الدين علي الخلوتي وذلك عند رأس درج المولى [٢٩]. كما أنشأ الشيخ علاء الدين علي الخلوتي مسجد المئذنة الحمراء جوار زاويته في حارة بني زيد [٣٠].

٦ . تم إنشاء محراب قبة النبي شمالي غربي قبة الصخرة المشرفة سنة ٩٤٥/ ١٥٣٩[٣١] .

٧ . أنشأ خداوردي بك سنة ٩٩٥/ ١٥٨٦ الخانقاه المولوية في حارة السعدية . وقد كان إنشاؤها لخدمة اتباع هذه الطريقة التي كانت تدعمها الدولة العثمانية ، وكان شيخ الخانقاه يعيَّن من الشيخ الأعلى للطريقة المولوية في قونية ، وقد أوقفت عليها الدولة أوقافاً كثيرة[٣٢] .

٨ . أنشأ محمد آغا سنة ٩٩٦/ ١٥٨٧ خلوة خداوردي بك أبو سيفين[٣٣] .

٩ . أما في مجال الترميم فقد رمِّمت في عهد العثمانيين عديد من العمائر ، ومنها : خان القطانين ، رممّه الحاج قاسم بن أحمد الصعبي سنة ٩٤٤/ ١٥٣٧[٣٤] . وخان الجاولي ورممّه الشيخ محمد بن الشيخ علي الخلوتي سنة ٩٤٥/ ١٥٣٨[٣٥] ، والزاوية اللؤلؤية سنة ٩٥٢/ ١٥٤٥[٣٦] ، والزاوية الرفاعيّة رمّمها وأعاد بناءها الشيخ بابا فريد شكر كنج شيخ طائفة الهنود سنة ٩٦٣/ ١٥٥٥ ، ورجح الدكتور كامل العسلي أنها أنشئت في العهد العثماني سنة ٩٥٠/ ١٥٤٣ تحت مئذنة باب الغوانمة[٣٧] . والمدرسة المحدِّثية رمّمها محمد بن الشيخ علي الخلوتي سنة ٩٤٠/ ١٥٣٣[٣٨] ، والمدرسة السلاميّة رمِّمت سنة ٩٤١/ ١٥٣٤[٣٩] ، والمدرسة الماورديّة رمّمت سنة ٩٤٥/ ١٥٣٨[٤٠] ، والمدرسة الطازيّة رمّمت سنة ٩٥٢/ ١٥٤٥[٤١] ، والمدرسة الأمينيّة رمّمها الشيخ محي الدين أفندي بن عبد القادري سنة ٩٨٣/ ١٥٣٥[٤٢] .

ثانياً – في مجال التعليم

استمر كثير من المدارس في تأدية الدور العلمي الذي كانت تقوم به منذ عهد الأيوبيين ومروراً بعهد المماليك ، ثم وقفت أوقاف عديدة على تلك المدارس لتمكينها من الاستمرار في تأدية رسالتها العلمية وتعزيز تلك الرسالة وتطويرها كما رُمّم عديد من المدارس التي احتاجت للترميم .

وكان يوجد في كل مدرسة عدد من الموظفين يقومون بالأعمال الموكلة إليهم حسب نظام التعليم في ذلك الوقت ، وقد تراوح عدد هؤلاء ما بين ١٣–١٩ موظفاً ، وأهم الوظائف التي وجدت في المدرسة الطازيّة مثلاً هي : المدّرس ، والناظر ، والمتولي ، وشيخ المدرسة ، والمعيد ، والإمام ، والشاهد ، والفقيه ، والكاتب أو البواب ، والفرّاش ، والجابي والمقيم ، كما كان فيها ٢٥ من قراء الأجزاء[٤٣] . فيما ضمت المدرسة الجوهرية إحدى عشرة وظيفة وهي : النظارة ، والمشيخة ، ومشيخة التلقين ، والشهادة ، ومؤدب الأطفال ، والكتابة ، والشادية ، والفراشة ،

والسقاية، والشغالة وتفرقة الأجزاء (أمانة المكتبة)، وتفرقة الخبز. كما كان فيها ٢٤ من قراء الأجزاء[٤٤]. أما المدرسة الغادريّة فكان العاملون فيها سنة ٩٨١و٩٨٢/ ١٥٧٣و١٥٧٤هم الشيخ، والمدرس، والإمام، والبواب، والجابي، وستة عشر قارئا من قراء الأجزاء الشريفة[٤٥].

ويظهر من خلال متابعتي لما كان يتم في تلك المدارس، أن بعضها كان يضم مكتباً خاصاً لتعليم الأطفال، وكان له مدير يبدو أن عمله كان مستقلاً عن عمل إدارة المدرسة، فقد ورد أن المدرسة الطازيّة كانت تضم مكتباً للأيتام ضم عشرة أيتام، وتولى إدارته ما سمي بفقيه الأيتام[٤٦]. وأضيف إلى المدرسة التنكزيّة في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي مكتب لتعليم الأيتام[٤٧]، كما خصص بايرام جاويش بن مصطفى ناظر أعمال بناء سور القدس من قبل السلطان سليمان القانوني جزءاً من الرباط الذي أنشأه عام ٩٤٧/ ١٥٤٠ ليكون مكتبا مجانيا لتعليم الأولاد والذي عرف فيما بعد باسم المدرسة الرصاصيّة[٤٨].

وكان تعيين المدرسين ومشايخ المدارس في العهد العثماني من خلال طريقتين هما: أخذ براءة من السلطان العثماني في استانبول كما حصل للشيخ سراج الدين عمر بن أبي اللطف في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي[٤٩]. والثانية أن حاكم القدس الشرعي كان يوصي بتعيين المدرس أو الشيخ ثم بعد ذلك يحصل على براءة تسلم عمله من السلطان العثماني. كما حصل مع الشيخ موسى بن كمال الدين عندما تولى التدريس في المدرسة المنجكية بعد وفاة والده الذي كان شيخها[٥٠].

وقد وجد في القدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي عديد من المدارس التي كانت عامرة وتولى التدريس فيها عدد من علماء ذلك القرن ومن أهم تلك المدارس:

١- المدرسة الصلاحيّة

أدت رسالتها مدرسة للشافعية من الفتح الصلاحي حتى القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي، ودرّس فيها عدد من العلماء في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ومنهم عبد الرحمن بن إبراهيم بن محمد بن جماعة المقدسي المتوفى سنة ٩٢٤/ ١٥١٨[٥١]. وعلي بن محمد بن أبي اللطف الحصكفي المتوفى ٩٣٤/ ١٥٢٧[٥٢] وإبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن جماعة المتوفى ٩٤٨/ ١٥٤١[٥٣]. وعفيف الدين بن جماعة الكناني المتوفى سنة ٩٧١/ ١٥٦٣[٥٤].

٢- المدرسة الختنيّة

كان بها زاوية، وقد أدت رسالتها من الفتح الصلاحي إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وأوقف عليها دارا في باب القطّانين [٥٥].

٣- مدرسة القبة النحويّة

استمر التعليم فيها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي[٥٦].

٤- المدرسة الفخريّة

استمرت منذ الثلث الأول من القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي إلى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حيث أوقف عليها سبع قطع أراض بظاهر القدس، وسوقا وحاكورة وأحكار حجرات سنة ٩٠٣/ ١٤٩٧، وقد تولى نظارتها بأمر من السلطان العثماني سنة ٩٣٧/ ١٥٣٠ الشيخ بهاء الدين بن حامد وكانت مدة التولية طوال حياته. وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ عين الشيخ محمود الديري قارئا بها بعد أن فرغ له عنها والده. وفي سنة ٩٨٤/ ١٥٧٦ تفرّغ الشيخ عبد الباسط الإسعردي عن تولية وقفها للشيخ أبي السعود بن داود[٥٧].

٥- المدرسة التنكزيّة

واصلت دورها التعليمي منذ إنشائها ٧٢٩/ ١٣٢٨ حتى القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث أضيف لها مكتب لتعليم الأطفال والأيتام، وفي ٩٥٢/ ١٥٤٥ أوقف القاضي أحمد جلبي على المكتب ورباط المدرسة أربعة دكاكين في باب السلسلة، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ أقرأ فيها الشيخ محمود بن أحمد الديري. وفي سنة ٩٨١/ ١٥٧٣ عمّرت ورمِّمت وعمل لها أبواب خشبية جديدة[٥٨].

٦- المدرسة الطازيّة

استمرت في العمل في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وكان بها مكتب لتعليم الأيتام، واوقف عليها قرية المنية لواء صفد وجامع الجوكندار. ودرّس فيها سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ الشيخ محمود بن أحمد الديري[٥٩].

٧- دار الحديث

تولى التدريس فيها في نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي جمال الدين بن شمس الدين محمد العجمي المقدسي المتوفى ١٠٠١/ ١٥٩٢ وعمّرها عندما تهدمت[٦٠].

٨- المدرسة الأشرفيّة

أصيبت بزلزال سنة ٩٠٢/ ١٤٩٦، وأعيد بناؤها في القرن العاشر الهجري/ السادس

عشر الميلادي، حيث واصلت تأدية رسالتها العلميّة. ودرّس فيها الشيخ أحمد الديري وفي ٩٧١/ ١٥٦٣ فرغ عنها لابنه محمود [٦١].

٩- المدرسة العثمانيّة

من أهم المدارس للمذهب الحنفي، أنشئت سنة ٨٤٠/ ١٤٣٦ وفي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي درّس فيها عدد من العلماء، ومنهم شيخ الإسلام سراج الدين عمر بن أبي اللطف، وفي سنة ٩٩٠/ ١٥٨٢ تفرّغ عنها مناصفة للشيخ اسحق زيد فضله وللشيخ طه بن أحمد بن جماعة. وقيل إن جار الله بن أبي بكر بن محمد المعروف بابن أبي اللطف المتوفى سنة ١٠٢٨/ ١٦١٨ أخذ المدرسة بعد وفاة عمِّه سراج الدين عمر [٦٢].

١٠- المدرسة الأرغونيّة

أنشئت سنة ٧٥٩/ ١٣٥٧، وواصلت دورها التعليمي، ففي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ عين الشيخ محمود بن أحمد الديري قارئا فيها [٦٣].

١١- المدرسة الجوهريّة

أنشئت سنة ٨٤٤/ ١٤٤٠، وواصلت دورها التعليميّ، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ كان الشيخ محمود بن أحمد الديري مقرئا فيها، وفي سنة ٩٨١/ ١٥٧٣ كان فيها ثلاثة عشر موظفاً لخدمة طلبة العلم [٦٤].

١٢- المدرسة الرصاصيّة

أنشأها الأمير بايرام جاويش بن مصطفى ناظر أعمال بناء سور القدس من قبل السلطان سليمان القانوني سنة ٩٤٧/ ١٥٤٠، وكانت في البداية رباطا مكونا من عدة أجزاء هي: ضريح بايرام جاويش، والرباط، ومكتب لتعليم الأطفال (كتّاب)، وقد دعي فيما بعد باسم المدرسة الرصاصيّة وأوقف عليها أوقافا كثيرة [٦٥].

١٣- المدرسة اللؤلؤيّة

أنشئت سنة ٧٧٥/ ١٣٧٣، واستمر إشعاعها العلمي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وممّن درّس فيها سنة ٩٨٥/ ١٥٧٧ الشيخ أبو العنايات بن أبي الهدى [٦٦].

١٤- المدرسة المنجكيّة

أنشئت سنة ٧٦٢/ ١٣٦٠، وممّن عمل بها الشيخ كمال الدين الذي كان ناظرها وشيخها سنة ٩٢٨/ ١٥٢١، وبعد وفاته تولاّها ابنه موسى بتوصية من قاضي القدس وبراءة من السلطان العثماني، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ تولى وظيفة الإعادة فيها الشيخ محمود بن أحمد

الديري [٦٧].

١٥- المدرسة الحسنيّة

أنشئت سنة ٨٣٧/ ١٤٣٣ واستمرت في أداء دورها حوالي أربعة قرون، وفي نهاية القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وقف عليها قرية العنب (أبو غوش)[٦٨].

١٦- المدرسة الفارسيّة:

أنشئت سنة ٧٥٠/ ١٣٤٩، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ عين الشيخ محمود بن أحمد الديري في نصف وظيفة النظارة على أوقافها، وفي نصف مشيختها بعد أن فرغ له والده عنها[٦٩].

١٧- المدرسة السلاميّة (الموصليّة)

أنشئت بعد سنة ٧٠٠/ ١٣٠٠، ودعيت في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي بالموصليّة، وأوقف عليها عدة قرى هي: نعلين وجبع والبيرة[٧٠].

١٨- المدرسة الباسطيّة

أنشئت سنة ٨٣٤/ ١٨٣٠، وممّن أقرأ فيها الشيخ أحمد الديري ثم فرغ عنها لابنه الشيخ محمود سنة ٩٧١/ ١٥٦٣[٧١].

١٩- المدرسة الكريميّة

أنشئت سنة ٧١٨/ ١٣١٨، وممّن درّس فيها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، الشيخ جار الله بن أبي بكر المعروف بابن أبي اللطف، والذي كان فقيها للحنفيّة بالقدس، كما كان سنة ٩٩٠/ ١٥٨٢ ناظراً على وقف المدرسة الكريميّة[٧٢].

٢٠- المدرسة الغادريّة

أنشئت سنة ٨٣٦/ ١٤٣٢، وكان يعمل فيها سنة ٩٨١و٩٨٢/ ١٥٧٣و١٥٧٤ خمسة موظفين منهم شيخها الشيخ حمدان الغزّي ثم تلاه الشيخ حسام الدين، وستة عشر قارئا للقرآن، كما كان يتولى وقفها شاه رخ بك ابن الأمير محمد خان. وكان من أوقافها خان بسوق القطانين وهو خان الغادرية[٧٣].

٢١- المدرسة الطولونيّة

أنشئت قبل سنة ٨٠٠/ ١٣٩٧، وفي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كان لها دخل يسد حاجتها، وكان يأتيها من قرية وثلاث مزارع[٧٤].

٢٢- المدرسة الفناريّة

أنشئت سنة ٨٠٠/ ١٣٩٧، وكان من شيوخها في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر

الميلادي الشيخ أحمد بن أحمد الباجي الانطاكي المتوفى سنة ٩٤٠/ ١٥٣٣، وعمر ابن أبي اللطف المقدسي[٧٥].

٢٣- المدرسة المعظميّة

أنشئت سنة ٦١٤/ ١٢١٧، واستمر عطاؤها العلمي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي حيث أوقف عليها قرية بتير[٧٦].

٢٤- المدرسة الحكميّة

درّس فيها الشيخ أحمد الديري، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ فرغ عنها لابنه محمود حيث عين في وظيفة قراءة ما تيسر لصدقات المدرسة الحكميّة[٧٧].

٢٥- المدرسة والزاوية والخانقاه الأسعديّة

بناها شيخ الإسلام أسعد أفندي بن سعد الدين حسن جان التبريزي المتوفى سنة ١٠٣٤/ ١٦٢٤، نهاية القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، وكانت مدرسة ومركزاً للصوفية[٧٨].

٢٦- مدرسة البيمارستان الصلاحي

أدى البيمارستان الصلاحي منذ أنشأه الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سنة ٥٨٣/ ١١٨٧ دوراً تعليمياً مهمّا استمر حتى القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، وعلى الرغم من أنه هدم في زلزال سنة ٨٦٢/ ١٤٥٨ فإن المؤسسة الصحيّة والتعليميّة ظلت قائمة في مبنى آخر، حيث كان الطلبة يتلقون فيها العلوم العقلية وبخاصة الطب، وكان القاضي الشرعي في القدس يعين موظفي البيمارستان ونظاراً على وقفه بصورة دوريّة[٧٩].

ثالثاً- في مجال تشجيع التصوف ونشر طرقه:

اهتم العثمانيون لأسباب عديدة بالحركة الصوفية في العالم الإسلامي التي كانت قد انتعشت في القدس في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كما في بقية أنحاء العالم الإسلامي. وازدادت قوة الصوفية في القدس مع الوقت حيث أقيم فيها عدد من الخوانق والزوايا والربط التي كانت تجذب إليها كثيراً من المريدين لحلقات ذكر ودراسة وتعليم. واهم الطرق الصوفية التي شجعها العثمانيون في القدس هي الطريقة المولوية، حيث حرص السلطان العثماني سليم الأول عندما زار القدس على تثبيت مولانا أخفش زاده رئيس

الدراويش المولوية في وظيفته. إذ كان في القدس عدد كبير من الأعيان والعلماء والرجال الذين ينتمون إلى هذه الطريقة الصوفية التي كان مركزها مدينة قونية التركية(٨٠).

ونتيجة لانتشار الصوفية أنشئت عدة أربطة وزوايا وخوانق في القدس ومن أهمها:

١. الرباط المنصوري، وكان قائماً منذ ٦٨١/ ١٢٩٢، واستمر عمله في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وممن تولى وقفه الشيخ اسحق بن عمر بن أبي اللطف وذلك سنة ٩٨٣/ ١٥٧٥(٨١).

٢. رباط الكرد، وكان قائماً مند ٦٩٣/ ١٢٩٢، وفي أوائل العهد العثماني بنى الطابق الثالث منه(٨٢).

٣. رباط بايرام، وهو الرباط الوحيد الذي أنشئ في العهد العثماني، وقد أنشأه بايرام جاويش بن مصطفى سنة ٩٤٧/ ١٥٤٠ بعد أن انهى بناء سور القدس(٨٣).

٤. الخانقاه المولوية، أنشأها قومندان القدس خداوندكار بك سنة ٩٩٥/ ١٥٨٦ لاتباع الطريقة المولويّة في القدس، فساعد هذا على انتشار هذه الطريقة، وكان شيخ الخانقاه يعين من الشيخ الأعلى للطريقة المولوية في مدينة قونية(٨٤).

٥. الزاوية الجراحيّة، كانت قائمة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وأوقف عليها عدة أوقاف، منها: أرض سيدي جراح بالقدس، وقرية طاب السفلى(٨٥).

٦. الزاوية الأدهميّة، استمرت قائمة في العهد العثماني، وفي سنة ٩٨٤ و٩٨٥/ ١٥٧٦ و ١٥٧٧ كان خمس الحمام الجديد في صفد وقفاً عليها(٨٦).

٧. زاوية الهنود: أعاد بناءها الشيخ بابا فريد شكر كنج الذي قدم القدس من الهند أواسط القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي وأوقف عليها أوقافاً لخدمتها، وكان ينزلها المسلمون القادمون من شبه الجزيرة الهندية(٨٧).

٨. تكية خاصكي سلطان: أنشأتها روكسيلانة زوجة السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩/ ١٥٥١ لمساعدة الطلبة والفقراء، وأوقفت عليها أوقافاً كثيرة في أنحاء فلسطين وخارجها، إذ انتشرت الأوقاف في خمسة سناجق هي: القدس، ونابلس، وغزة، وصفد، وصيدا. وكانت محاصيل المزارع الموقوفة عليها تفيض عن حاجة التكية في أحيان عديدة(٨٨).

انتشرت الربط والزوايا والتكايا والخوانق الصوفية في القدس، وكانت تضم مكتبات خاصة بها، فاستخدمت على الأغلب مراكز للتعليم الصوفي، حيث اتخذها كثير من العلماء الصوفيين أماكن لتعليم القراءة والكتابة. وأسهم في زيادة فعالية هذه الأماكن من ناحية تعليمية

أنها أصبحت في بداية العهد العثماني ملاجئ للفقراء من نساء ورجال حيث يقدم لهم فيها الطعام ويعطون مساعدات كثيرة، وبذلك فقد استغل علماء الصوفية هذا الوضع لبثّ أفكارهم بين اللاجئين إليهم، وذلك بعد تعليمهم القراءة والكتابة[٨٩].

وقد أدى انتشار الصوفية في القدس إلى توارث الاعتقاد بها في عائلات عديدة مهمة في القدس، وقد أنجبت بعض العائلات المقدسية عدداً من علماء الصوفية الذين برعوا في غير علم، ومن تلك العائلات: عائلة العلمي، ومن أهم علمائها: أبو الهدى العلمي المتوفى ١٠١٢/ ١٦٠٣[٩٠]. ومحمد بن محمد العلمي المقدسي المتوفى سنة ١٠٣٨/ ١٦٢٨[٩١]. وعائلة الدجاني، ومن علمائها: القطب الكبير أحمد بن علي بن ياسين الدجاني المتوفى ٩٦٩/ ١٥٦١[٩٢]. ومحمد بن أحمد الدجاني المتوفى ١٠٢٦/ ١٦١٧[٩٣].

رابعاً – هجرة العلماء إلى بيت المقدس

دأب كثير من العلماء المسلمين في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي على زيارة بيت المقدس. وقد تمكنت من خلال متابعتي لحركة العلماء في بلاد الشام من ملاحظة ثلاثة دوافع كانت تقف وراء زيارة العلماء المسلمين لبيت المقدس هي:

١– الزيارة الدينيّة

كان كثير من العلماء يزورون بيت المقدس للصلاة في المسجد الأقصى المبارك وزيارة الأماكن المقدسة فيه. إذ أن الصلاة في المسجد الأقصى المبارك تعادل خمسمائة صلاة في غيره[٩٤]، فضلاً عن أنه أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال[٩٥]. كما روي عن كعب أن جميع الأنبياء عليهم السلام زاروا بيت المقدس تعظيماً له، عن كعب قال " من زار البيت المقدّس شوقاً إليه دخل الجنة "[٩٦]. أو يزورونه بعد الانتهاء من أداء فريضة الحج في الديار الحجازية فيما عرف عند العامة باسم " تقديس الحجة "، وذلك اقتداء بالسنة النبوية المشرفة، حيث ربط الرسول صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة وزيارة بيت المقدس والصلاة في مسجده الأقصى، فعن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: " من حج أو اعتمر، وصلى ببيت المقدس، وجاهد، ورابط، فقد استكمل جميع سنني "[٩٧]. أو يزورونه قبل الحج والعمرة اقتداء أيضا بالسنة المطهرة، فقد ورد عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: " من أهلّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر أو وجبت له

الجنة " [٩٨] .

وكثيراً ما ورد في كتب التراجم أن فلانا حجّ وزار بيت المقدس ، ومن العلماء الذين زاروا بيت المقدس زيارة دينية : علي بن يوسف الوديني الرومي المتوفى ٩٦٥/ ١٥٥٧ ، حجّ وزار بيت المقدس[٩٩]، وأبو بكر بن أحمد بن محمد الحلبي الجلومي الشافعي المتوفى ٩٦٨/ ١٥٦٠ ، حج وزار بيت المقدس[١٠٠] . وشيخ الإسلام علي بن غانم المقدسي المتوفى ١٠٠٤/ ١٥٩٥ ، رحل إلى القدس ثلاث مرات[١٠١] . وموسى السندي كان من الأولياء الصالحين ، جاور بالمدينة المنورة ، ثم رأى أن إبراهيم الخليل عليه السّلام يطلبه ، فسافر إلى الشام وزاره ، وسكن القدس حتى مات فيها[١٠٢] .

٢- من قصد مصر كان يمرّ بالقدس

تبيّن لي في هذه الدراسة أن عدداً من علماء بلاد الشام وتركيا في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ، كان يسافر إلى مصر لأسباب عديدة ، فكان هؤلاء يزورون بيت المقدس للصلاة في مسجدها الأقصى ومسجد قبة الصخرة ، ولزيارة أماكنها الدينية الأخرى مثل أضرحة الصحابة ، والتابعين ، والصالحين ، وغيرها من المزارات ، ومن هؤلاء العلماء : علي بن محمد بن عراق المتوفى ٩٦٣/ ١٥٥٥ . سافر من دمشق قاصداً زيارة بيت المقدس سنة ٩٤٧/ ١٥٤٠ ثم سافر منها إلى مصر[١٠٣] . ودرويش محمد بن أحمد الطالوي الأرتقي الدمشقي المتوفى سنة ١٠١٤/ ١٦٠٥ ، فقد زار بيت المقدس سنة ٩٩٨/ ١٥٨٩ وهو في طريقه إلى مصر . حيث التقى فيها عدداً من العلماء ، ومنهم الشيخ زين الدين عمر ابن أبي اللطف إذ نزل عنده مدة إقامته في القدس ، وقد أحبّ المدينة وحنّ إليها في قصيدة قالها وهو في غزة في أثناء ذهابه إلى مصر[١٠٤] .

٣- الدافع العلمي

على الرغم من أن الهدف الديني كان هو السبب الأساس في زيارة العلماء لبيت المقدس إلا أن عدداً منهم كان يسعى إلى تحقيق هدف آخر من زيارته ، وهو تلقي العلم على علماء بيت المقدس ، إذ كانت الحركة العلمية فيها مزدهرة ، وكان فيها عدد من مشاهير علماء ذلك الوقت ، وممّن رحل إلى بيت المقدس لتلقي العلم فيها : الحسن بن محمد بن محمد البوريني المتوفى ١٠٢٤/ ١٦١٥ ، إذ هاجر من دمشق مع والده إلى بيت المقدس سنة ٩٧٥/ ١٥٦٧

ومكث فيها خمس سنوات تلقى العلم خلالها على عدد من علمائها كان من أهمهم الشيخ محمد بن محمد أبي اللطف المقدسي المتوفى سنة ٩٩٣/ ١٥٨٥[١٠٥].

كما رحل عدد من العلماء إلى بيت المقدس لإعطاء دروس علمية في المسجد الأقصى المبارك ومسجد قبة الصخرة المشرفة، ومن هؤلاء: محمد بن شعبان بن خلف الضيروطي المصري المعروف بابن عروس و المتوفى سنة٩٤٩/ ١٥٤٢، الذي رحل إلى بيت المقدس وعلم فيها[١٠٦]. ومحمد بن علي بن محمد البكري الصديقي، زار القدس مدة ودرّس فيها[١٠٧]. وشيخ الإسلام علي بن محمد بن غانم القدسي المتوفى سنة ١٠٠٤/ ١٥٩٥، رحل إلى القدس ثلاث مرات وعلّم فيها[١٠٨].

خامساً – دفن العلماء فيها

واصل كثير من العلماء المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي الاعتقاد بقدسية مدينة القدس حتى عند وفاتهم، وبذلك كانوا يهتمون لا بل يوصون بأن يتم دفنهم في تراب بيت المقدس الذي هو أرض المحشر والمنشر يوم القيامة، حسب الاعتقاد السائد بين المسلمين ووفق ما ورد في القرآن والسنة، فقد قال تعالى (فإنما هي زجرة واحدة، فإذا هم بالسّاهرة[١٠٩]، وقال بعض المفسرين إن الساهرة هي إلى جانب جبل الطور (الزيتون) بالقدس[١١٠]، وعن ميمونة أن النبي، صلى الله عليه وسلم، لما قيل له: افتنا في بيت المقدس، قال: أرض المحشر والمنشر " [١١١]. وعن أبي هريرة، عن النبي، صلى الله عليه وسلم، قال: " من مات في بيت المقدس، فكأنما مات في السماء ".[١١٢]. وقد حرّم الإمام الشافعي رضي الله عنه نقل الميت من بلد إلى بلد إلا أن يكون عن مكة أو المدينة أو بيت المقدس في دون مسافة القصر، فحينئذ لا يحرمه، وذلك لفضل الدفن في المدن الثلاثة [١١٣].

استناداً لما سبق فإن عدداً غير قليل من الصحابة، والتابعين، والأولياء، والصالحين على مر العصور الإسلامية دفنوا في مقابر بيت المقدس المنتشرة في أنحائه كلها. [١١٤] كما أن ملوك الدولة الأخشيدية أوصوا بأن يتم دفنهم في القدس، فحمل عدد منهم من القاهرة إلى بيت المقدس حيث دفنوا في مقبرة خاصة بهم في منطقة باب الأسباط[١١٥].

عدد غير قليل من العلماء في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، وجريا على عادة من سبقهم في العصور السابقة، أوصوا بأن يتم دفنهم في بيت المقدس، ومن هؤلاء: موسى بن عبد الله بن جماعة المتوفى سنة ٩١٦/ ١٥١٠، وعبد الرحمن بن إبراهيم

بن جماعة المتوفى سنة ٩٢٤/ ١٥١٨، وعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن العليمي المقدسي الحنبلي، مجير الدين، المتوفى سنة ٩٢٧و٩٢٨/ ١٥٢١ أو ١٥٢٢ . ومحمد بن محمد بن علي بن أبي اللطف الحصكفي المقدسي المتوفى ٩٢٨/ ١٥٢٢، وعبد العزيز المقدسي المتوفى سنة ٩٤٨/ ١٥٤١، ومحمد بن محمد بن علي بن أبي اللطف المقدسي المتوفى سنة٩٧١/ ١٥٦٣، ومحمد بن محمد، شمس الدين المقدسي، المتوفى سنة٩٩٣/ ١٥٨٥، وعمر بن أبي اللطف المقدسي المتوفى سنة ١٠٠٣/ ١٥٩٤ ,[١١٦].

كما أن كثيراً من علماء الصوفية ورجالها الصالحين حرصوا على أن يدفنوا في بيت المقدس، ومن أشهر من دفن منهم في أرض بيت المقدس: الشيخ شمس الدين محمد ابن محمد بن أحمد الشهير بابن العجمي القدسي المتوفى سنة ٩٣٨/ ١٥٣١ [١١٧]. وأحمد الدجاني جد آل الدجاني المتوفى سنة ٩٦٩/ ١٥٦١، وقد دفن في مقبرة مأمن الله[١١٨]. والواعظ شمس الدين محمد العجمي، الذي كان حضر مع السلطان سليمان القانوني فتح جزيرة رودس، وقرّبه منه، ثم رحل إلى القدس، فسكنها، ثم استمر يعظ فيها حتى مات سنة ٩٧٠/ ١٥٦٢، ودفن في قبة كان أنشأها جوار المدرسة البسطامية[١١٩].

سادساً: القدس في أدب الرحلات

أدب الرحلات موضوع من موضوعات الأدب العربي ظهر في وقت مبكر، فكان كثير من العلماء في مجالات علمية عديدة يرحلون بين أقطار العالم الإسلامي ومدنه لأهداف وغايات متنوعة، وبعضهم كان يسجل رحلاته في كتب خاصة يعطيها غالباً أسماء المدن أو الأقطار التي كان يقصدها في رحلته، ومن أهم الرحالة الذين سجلوا رحلاتهم محمد بن أحمد بن جبير المتوفى سنة ٦١٤/ ١٢١٧، ومحمد بن عبد الله المعروف بابن بطوطة المتوفى سنة ٧٧٩/ ١٣٧٧.

في العصر العثماني وبخاصة في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي كثر ارتحال العلماء المسلمين لأسباب متعددة إلى بلاد الشام ومصر والحجاز وبلاد الروم (تركيا) والمغرب وإلى داخل تلك البلاد.

وكان من أهم المدن التي اجتذبت علماء المسلمين للرحلة إليها لأسباب دينية أو علمية أو معيشية مدينة بيت المقدس، حيث ارتحل إليها عدد غير قليل من العلماء في بداية العهد العثماني. وقد قام بعض هؤلاء بتسجيل رحلاتهم إلى القدس نثراً أو شعراً، ومن أهم من

رحل إلى القدس وألف في ذلك في بداية العصر العثماني :

١- أحمد بن محمد بن يوسف الخالدي الصفدي المتوفى سنة ١٠٣٤/ ١٦٢٥، رحل من صفد إلى القدس، ونظم رحلته شعراً [١٢٠].

٢- محب الدين، محمد بن أبي بكر تقي الدين بن داود الحموي الدمشقي المتوفى سنة ١٠١٦/ ١٦٠٨ رحل إلى القدس في مهمة رسمية مع قاضي قضاة دمشق ومفتي الحنفية سنة ٩٧٨/ ١٥٧٠ بأمر من السلطان العثماني لحل خلاف بين المسلمين والنصارى في بيت المقدس. وبعد أن أدوا مهمتهم، زاروا الأماكن المقدسة الإسلامية في القدس ثم سافر هو إلى مصر. وقد ألف في هذه الرحلة كتابا سماه " حادي الأظعان النجدية إلى الديار المصرية أو الدّرة المضيّة في الرحلة المصرية " . وقد تحدث في هذه الرحلة عن زيارته للقدس، والكتاب ما زال مخطوطاً[١٢١].

سابعاً: القدس في أدب الفضائل

اعتاد العرب في العصر الجاهلي على الفخر بقبائلهم، ثم انتقل فخرهم إلى مكان السكن، فوصفوا مناطق سكناهم، وبيّنوا فضائلها على غيرها من حيث الموقع والهواء والأشجار وغيرها من الفضائل الدنيوية.

وفي العصر الإسلامي اعتمدوا في التفاخر بالمدن وأماكن السكن على ذكر فضائل دينية استناداً إلى ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهّرة حول أماكن سكناهم. وقد تركز ذكر الفضائل في مدن محددة مثل مكة والمدينة المنورة، و القدس، والكوفة، ودمشق، والقاهرة. كما حاول أهالي مناطق أخرى الإشارة إلى فضائل بلدانهم استناداً إلى أحاديث نبوية شريفة مثل أهل جزيرة قبرص، وأهل الأندلس[١٢٢].

وقد تطور التفاخر فيما بعد، وتحديداً في نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين/ نهاية الثامن وبداية التاسع الميلاديين، إلى ما عرف في الأدب العربي بأدب فضائل المدن، الذي هو جزء من أدب الفضائل، وهو موضوع مهم من موضوعات الأدب العربي.

وأدب فضائل المدن يجمع بين التاريخ، والجغرافيا، والقصص الدينية، والخرافات، والأدب ؛ شعراً ونثراً. وقد اهتم كتّاب أدب فضائل المدن بارشاد حجاج المدن وزائريها إلى الأماكن المقدسة فيها، وبخاصة المساجد، والمقامات، والمزارات، والزوايا، والتكايا، والربط، والخوانق، وقبور الأولياء، والصالحين، والتابعين، وغيرها من الأماكن التي قد

يهتم بها الزائرون كل حسب اهتمامه واعتقاده .

واحتلت مدينة القدس مكانة مهمة لدى الكتاب الذين ألفوا في أدب الفضائل إذ ألف فيها على مدى العصور عدد كبير من الكتاب، وقد أحصى الدكتور كامل العسلي في كتابه " مخطوطات فضائل بيت المقدس " أسماء ٤٩ كتابا ورسالة ألفت في فضائل بيت المقدس . وقال إن ستة عشر كتابا منها ضاعت كلياً أو جزئياً، وقد توزع مؤلفو تلك الكتب على أقطار العالم الإسلامي المختلفة وفق الآتي : ١٠ مقدسيون أو فلسطينيون، و١١ دمشقيون و ٦ مصريون، وعراقيان، ومغربيان، وتركيان، واثنان من بلاد ما وراء النهر، وواحد حجازي، وآخر فارسي . وقد كان أكثر المؤلفين ممن زار القدس أو اتصل بها بشكل من أشكال الاتصال المتنوعة[١٢٣] .

وفي القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي، ألفت ثلاث كتب في فضائل بيت المقدس، ضاع واحد منها، وهي :

١ . الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد العليمي المقدسي الحنبلي، أبو اليمن، مجير الدين، المولود في القدس سنة ٨٦٠/ ١٤٥٥، والمتوفى بها سنة ٩٢٧أو ٩٢٨/ ١٥٢٠أو١٥٢١، وقد وجد قبره قرب كنيسة الجسمانية شرقي باب الأسباط .

والكتاب في تاريخ القدس منذ فجر الخليقة حتى عصر مؤلفه، بدأ بتأليفه في ١٥ذي الحجة سنة٩٠٠/ ١٤٩٤، وفرغ منه في اقل من أربعة أشهر . وقد طبع عدة مرات، لكنه لم يحقق تحقيقا علميا[١٢٤] . وقد وضع الدكتور اسحق موسى الحسيني وآخرون فهارس كاملة للكتاب سنة ١٤١٩/ ١٩٨٨ ,[١٢٥]

٢ . المستقصى في فضائل الأقصى، لنصر الدين الحلبي الرومي المتوفى سنة ٩٤٨/ ١٥٤١، وتضمن وصفا لشعائر زيارة المسجد الأقصى . وقد نشر في مجلة تربيز العبرية، المجلد الثلاثون لسنة ١٩٦١، في الصفحات ٢٠٩-٢١٤ ,[١٢٦]

٣ . فضائل بيت المقدس، لمحمد بن علي بن طولون الصالحي الدمشقي المتوفى سنة ٩٥٣/ ١٥٤٦[١٢٧] .

ثامناً: مدح القدس في الشعر

زار كثير من العلماء القدس، وكتب بعضهم عن فضائلها، وتاريخها، وجغرافيتها

وأهميتها وكل ما يتعلق بها، وكتب آخرون رحلات شعرية ونثرية، وصفوا فيها القدس، وتعرضوا لتاريخها، ومعالمها.

وقد أطنب ياقوت الحموي المتوفى ٦٢٦/ ١٢٢٨ في ذكر محاسن القدس، وقال إن من أعظم محاسن المسجد الأقصى أنه إذا جلس انسان فيه في أي موضع منه يرى أن ذلك الموضع هو أحسن المواضع وأشرحها. ولذا قيل إن الله نظر إليه بعين الجمال ونظر إلى المسجد الحرام بعين الجلال. وأورد في ذلك قول أحد الشعراء[١٢٨]:

[الطويل]

أهيمُ بقاعِ القدسِ ما هبَّت الصَّبا فتلكَ رباعُ الأنسِ في زمن الصِّبا

وما زلتُ في شوقي إليها مواصلاً سلامي على تلك المعاهد والرُّبى

وكثيرا ما مدحت مدينة القدس من قبل من زارها من العلماء والشعراء على مختلف العصور، وفي سنة ٩٩٨/ ١٥٨٩ زار بيت المقدس الشاعر درويش الطالوي، وهو في طريقه إلى الديار المصرية للأخذ عن علمائها، ومكث فيها فترة زمنية لم يحدّدها، فرأى رؤية عجيبة بالبيت المقدس، وتحديداً في الحرم القدسي الشريف، فقال قصيدة من اثني عشر بيتا، بدأها بتحديد وقت وصوله المدينة المقدسة وحال راحلته وهو متوجه إليها؛ فهو وصل ليلاً، وكانت راحلته أسرع من السحب ونعام البرية على الرغم من وعورة الطريق، قال:[١٢٩]

إلى المسجدِ الأقصى من الحرم القُدسيّ سرينا فوافى الفتحُ من حضرة القُدسِ

وجئنا حمى التقديس والليلُ راقدٌ وقد جُنّ حتى لا يفيقَ من المسِّ

طلائعُ أنضاءٍ على مثلها لها على الأَيْنِ إرقالُ الظَّليمِ على الحَرْسِ

تُباري نعامَ الجوِّ طوراً وتارةً تُجاري نعامَ الدَّوِفي المهمهِ الوَعْسِ

ثم يبين حاله عندما وصل المدينة المقدّسة، فقد اكتحلت عيناه بالحرم القدسي، ونزل في الأرض المباركة وتحديداً على جبل الطور فرأى الحرم القدسي يلمع، وقد جلّى سناه وبريقه ظلمة الليل، قال:

إلى أن بدتْ للعينِ أعلامُ ذي طُوى وبانَ حِمى البيتِ المقدَّسِ عنْ رِجْسِ

نزلنا من الوادي المقدّسِ شاطئاً على بقعة فيه مباركة الرَّمْسِ

فلاحَ لنا من جانب الطُّور لامعاً سنا ضوء نارٍ قد جلَتْ ظلمةَ اللّبْسِ

ثم وصف أثر رؤيته الأماكن المقدسة في نفسه، فقد أيقن قلبه الحقيقة، فتخلى بذلك عن حاسة الحدس، وصوّر ما حصل معه بما حصل مع سيدنا موسى عليه السلام في طور سيناء حيث كلّمه الله في الواد المقدس، وهو سمع نداء داخليا يناديه بأن يأمن في حمى المسجد الأقصى ويطمئن، قال:

**وما تلك نارٌ بل سنا ربّةِ السَّنا		تجلى لقلبٍ قد تخلّى عن الحدْسِ**

**أضاء سناها طورَ سيناءَ مرّةً		وآنسها من قبلُ موسى بلا حِسٍّ**

**سمعنا بطور القلبِ منها نداء مَنْ		تنزَّه عن فصلٍ يدانيه أو جنسِ**

**ونادى منادي القُرب من حضرة الرضا		ألا فانعموا فالفتحُ فوق جنى الغَرْسِ**

**فطوبى لنا من حاضري أيمنِ الحمَى		وطوبى لنا من حاضري حضرةِ القُدْسِ**

وبعد أن مكث درويش الطالوي فترة من الزمن في القدس، وهو في ضيافة علامة القدس عمر بن أبي اللطف المتوفى سنة ١٠٠٣/ ١٥٩٤، حيث زار فيها الأماكن المقدسة، سافر إلى مصر، لكن وقبل أن يبعد عن بيت المقدس كثيراً، وعندما وصل غزة هاشم حنَّ إلى بيت المقدس، فكتب قصيدة إلى صديقه ومضيفه الشيخ عمر بن أبي اللطف يحنُّ فيها إلى القدس وأهلها وصديقه. وقد بدأ القصيدة على طريقة الشعراء الجاهليين، فدعا الله أن يسقيها الغيث لأن له فيها ذكريات جميلة، وأن يبقى نسيمها رقيقاً لأن قلبه رهين بها، كما أنها مسكن أحبته الذين إن تذكرهم جرت عيناه بالدموع، فهم مكثوا فيها وهو غادرها جسداً لكن قلبه بقي أسيرهم، قال(١٣٠):

**سقى معهداً من إيلياء هتونُ		فلي بين هاتيك الرُّبوع شُجونُ**

**ولا زال خفَّاقَ النسيم بربعه		يطيفُ فإن القلب فيه رهينُ**

**منازلُ أحبابٍ إذا عنَّ ذكرهُمْ		سقَتهم على بعد الدِّيار شؤونُ**

**أقاموا وسِرْنا والفؤادُ لديهمُ		مقيمٌ وهل يرعى الودادَ خدينُ**

وبعد أن يخاطب أهل المدينة المقدسة، مستبعداً أن يجود الدهر بمثلهم، يدعو لهم ولديارهم بالسقيا والرحمة، ويخص صديقه بالدُّعاء، ويعدّد فضائله، ثم يدعو لهم بالسلامة مدى الدهر، ويؤكد لهم أنه لم يفارقهم بغضاً لهم بل تنفيذاً لقضاء الله، قال:

عليكم سلامُ الله ما حنَّ عاشقٌ تضاعف منهُ أنّةٌ وحنينُ
فوا لله ما فارقتُكم قالياً لكم ولكنَّ ما يُقضى فسوف يكونُ

أما الأديب والمؤرخ شهاب الدين الخفَّاجي المتوفى سنة ١٠٦٩/ ١٦٥٨، فقد كتب إلى الشاعر محمد الصالحي الهلالي المتوفى سنة ١٠١٢/ ١٦٠٣، قصيدة تائية ملغزاً من شعر الصِّبا، فأجابه محمد الصالحي بقصيدة مطلعها: [١٣١]

طالت وقد قَصُرت عنها العباراتُ وحازت الحسن هاتيكَ البَراعاتُ

ثم ذكر حنينه إلى القدس التي كان قد سكنها في سالف الأيام، ذلك أن الألغاز كان في معنى مدينة القدس، قال:

للـه أحجيـة منـه أتت فسَرتْ منها إلى السَّمْعِ نفحاتٌ زكيَّاتُ
وأذكَرَتْني بأنَّ القدسَ مـن سكـني وبانَ بالبانِ منْ شكوايَ ميلاتُ
والورقُ رقّتْ لما ألقاهُ ساجعةً كأنَّها فوق غُصْنِ البانِ قيْناتُ

تاسعاً: علاقة المسلمين بأهل الذّمة.

قامت علاقة المسلمين في بيت المقدس مع أهل الذمة (اليهود والنصارى) على مبدأين مهمين هما:

١- السنة النبوية الشريفة، إذ عامل الرسول محمد، صلى الله عليه وسلم، اليهود والنصارى معاملة حسنة في مواقف حياتية كثيرة ضارباً بذلك المثل للمسلمين في أن يسيروا على سنته الشريفة، ولخّص هذه السنة للمسلمين من بعده في أحاديث شريفة منها قوله، صلى الله عليه وسلم، [من آذى ذميا فأنا خصمه][١٣٢]، وقوله [ألا من ظلم معاهداً أو تنقَّصه أو كلَّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا خصمه يوم القيامة] [١٣٣].

٢- احترام العهدة العمرية التي منحها الخليفة الراشدي عمر بن الخطاب لبطريرك القدس صفرونيوس عندما تسلمها منه عام ١٦/ ٦٣٧[١٣٤].

بناء على المبدأين السابقين فقد كانت علاقة المسلمين بأهل الذمة في بيت المقدس في القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي علاقة حسنة في أغلب الأحيان. وعلى الرغم من أنني لا أقصد استقصاء جوانب هذه العلاقة وجزئياتها الدقيقة في جوانب الحياة المختلفة لأن

ذلك يطيل البحث ويخرجه عن أهدافه، فإنني أجد لزاماً عليَّ أن أذكر بعض ملامح تلك العلاقة، والتي يمكن التوسع فيها لمن يريد فيكتب بحثاً منفصلاً فيها، ويمكن تلخيص ملامح العلاقة في الآتي:

أ) العلاقة مع النصارى

أكد العثمانيون احترامهم لنصارى بيت المقدس منذ لحظة دخول السلطان سليم الأول للمدينة فاتحاً سنة ٩٢٣/ ١٥١٧، إذ عُرضت عليه العهدة العمرية فوضعها على رأسه احتراماً لها[١٣٥]. وهذا الموقف جعل السلاطين العثمانيين يمنحون نصارى بيت المقدس بطوائفهم المختلفة حرية دينية واجتماعية كاملة ضمن إطار قوانين الدولة، لكن كانت توجد منافسة بين الطوائف المختلفة، فكانت طائفة الروم الأرثوذكس وهم عرب تشكل الأكثرية في القدس، وكان مقرها الديني في عاصمة الدولة العثمانية استانبول، لذلك فقد كانت لها مكانة مهمة في الدولة العثمانية وأفضلية على الطوائف الأخرى. وعندما عقدت بعض الدول الأوروبية اتفاقات مع الدولة العثمانية تمكنت من تحسين موقف طائفة اللاتين وغيرها من الطوائف الغربية في القدس، حيث أخذت تلك الدول وبخاصة فرنسا وإسبانيا والنمسا تتدخل لدى الدولة العثمانية من أجل حماية مصالحهم[١٣٦].

وبناء على ما سبق فقد واصلت الدولة العثمانية السماح للحجاج المسيحيين من مختلف الدول بزيارة أماكنهم المقدسة، حتى تلك التي كانت جزءاً من الممتلكات الإسلامية منذ الفتح الصلاحي للقدس عام ٥٨٣/ ١١٨٧، بحرية تامة ومقابل رسم بسيط، كما حدث في السماح للحجاج المسيحيين بزيارة قبو في المدرسة الصلاحية، كانوا يعتقدون أنه مقدّس[١٣٧].

وفي سنة ٩٢٤/ ١٥١٨ بعد عودة السلطان سليم الأول من بلاد الشام ومصر وفي أثناء إقامته في مدينة أدرنة، وصل إليه سفير من مملكة إسبانيا- التي كانت قد قضت على الحكم الإسلامي في الأندلس وشرَّدت المسلمين منها- وتحدث مع السلطان في السماح للمسيحيين من إسبانيا بزيارة القدس الشريف، كما كان الأمر في عهد الدولة المملوكية، وذلك مقابل دفع المبلغ الذي كانت إسبانيا تدفعه سنويا للدولة المملوكية فأحسن السلطان وفادة السفير، ومقابلته، وصرَّح له بقبول ذلك على أن يرسل ملك إسبانيا رسولاً آخر للسلطان سليم يخوله حق ابرام معاهدة مع الباب العالي[١٣٨].

وفي عام ٩٣٥/ ١٥٢٨ أرسل ملك فرنسا فرنسيس الأول كتابا إلى السلطان سليمان القانوني طلب فيه إرجاع كنيسة في القدس إلى المسيحيين بعد أن تحّولت إلى مسجد، وكانت

تربط الاثنين صداقة قوية، إلا أن السلطان سليمان رفض طلب ملك فرنسا مستنداً إلى أنه لا يستطيع إعادة الكنيسة لأنها صارت جامعاً منذ زمن غير معلوم وجاء في جوابه: " ومن ثم يكون تغيير حالة موضع قد تسمى جامعاً، وأقيمت فيه الصلوات مغايراً لدين المسلمين، وبالاختصار أقول لك: أنه لا يمكنني إجابة سؤالك، ولكن ما عدا الأماكن المعدة لإقامة شعائر الدين فكل مكان يكون في أيدي النصارى يبقى لهم، ولا أسمح لأحد في مدة حكمي العادل أن يشوش راحتهم، وما داموا تحت ظل حمايتي فأرخص لهم أن يمارسوا أمور دينهم وطقوسهم في معابدهم بدون معارضة"(١٣٩).

ومن هنا يتبيَّن أن السلطان سليمان القانوني أعطاهم أمانا يشبه إلى حدّ كبير ما ورد في العهدة العمرية، من حيث الأمان في النفس والمال والممتلكات والمعابد وحرية الحياة والراحة.

ومقابل ذلك فإن الدولة العثمانية لم تكن لتسمح لأهل الذمة بالاعتداء على المسلمين، وممتلكاتهم، ومقدساتهم، فقد أورد النجم الغزّي في "الكواكب السائرة" في أثناء ترجمته للمفتي أحمد بن عبد الله المعروف بنوري أفندي، أن السلطان العثماني أوفده في مهمة رسميّة مع قاضي قضاة دمشق محمد أفندي جوي زاده سنة ٩٨٧/ ١٥٧٩ للتحقق من شكوى مسلمي القدس بأنّ النصارى جدّدوا شيئاً في كنيسة لهم بالقدس واعتدوا على مسجد، فقدم الاثنان في وفد إلى بيت المقدس للتفتيش على الكنيسة المذكورة والكشف عليها. " فوجدا النصارى قد أحدثوا أوضاعاً منكرة، ووجدا إلى جانب الكنيسة مسجداً قديماً هدم الكفار حيطانه، وحولوا وضعه القديم، وجدّدوا بنيانه. فأمر قاضي القضاة المذكور بمحضر من المفتي المذكور وعلماء بيت المقدس بهدم ما جدّده الكفار من البنيان، واعادة القديم كما كان، فهدم المسلمون بنيان النَّصارى، وأعلنوا التكبير، وأقيمت صلاة الجماعة في عصر ذلك اليوم في المسجد المذكور "(١٤٠)

ومن هذا الخبر يتضح أنه وعلى الرغم من امتلاك المسلمين للسلطة والقوة إلا أنهم لم يأخذوا القانون بأيديهم، بل رفعوا الأمر إلى السلطان الذي شكل لجنة تحقيق من مفتي الشام وقاضي قضاتها، وعلماء بيت المقدس الذين عاينوا المكان، واستمعوا إلى الطرفين ثم قرَّروا ما رأوه الحق ونفّذوه.

ب– العلاقة مع اليهود

ازداد عدد اليهود في فلسطين بعامة والقدس بخاصة في القرن العاشر الهجري / السادس

عشر الميلادي بشكل ملحوظ، وذلك نتيجة سماح الدولة العثمانية ليهود أوروبا وبخاصة من اسبانيا والبرتغال بالقدوم إلى أراضيها وبخاصة فلسطين حيث مكنتهم الدولة العثمانية من السكن في أي مكان من فلسطين، فتوجه القسم الأكبر منهم إلى مدينة صفد شمالي فلسطين، وقسم أقل إلى بيت المقدس[١٤١].

وعلى الرغم من هذه الزيادة فإن عدد اليهود بقي قليلاً في القدس، فقد أحصى قاضي القدس الشرعي في ١٩ جمادى الأولى عام ٩٨٠/ ١٥٨٢ عدد اليهود الذين يعيشون في القدس وحرر أسماءهم فوجد أنهم ١١٥ شخصاً يعيش ٥٥ منهم حول الحرم القدسي الشريف، والآخرون في بقية الأحياء[١٤٢].

وكان المسلمون يعاملون اليهود معاملة حسنة، فقد قام المسلمون بتأجير أرض لليهود في منطقة رأس العامود لاستخدامها مقبرة، وفي سنة ٩٧١/ ١٥٦٣ قبض الشيخ عفيف الدين بن جماعة الكناني ايجار المقبرة باعتبارها جزءاً من أوقاف المدرسة الصلاحيّة، وقد دفع ممثلو اليهود الإيجار عن سنتين. [١٤٣]

وكان اليهود يحتلون مكانة مرموقة لدى الدولة العثمانية، فقد ورد أنه كان للسلطان سليم الثاني بن سليمان القانوني قبل توليه السلطنة نديم يهودي يقال له روسفناسي، وكان يحب شرب الخمر كثيراً، فطلب من السلطان أن يفتح جزيرة قبرص طمعاً بجودة الخمر الذي بها، فوعده السلطان أنه متى جلس على تخت الملك يأخذ جزيرة قبرص، ويجعله حاكما عليها، وفعل ذلك السلطان سليم بعد توليه الحكم[١٤٤].

وأكد حسن هذه المعاملة اليهودي الإيطالي دافيد دي روسي الذي زار القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فقال يصف حياة اليهود في القدس: " نحن هنا لسنا في المنفى، كما نحن في بلادنا ذاتها (إيطاليا) هنا. . . المعيَّنون على الجمارك والمكوس من اليهود، وليست هناك ضرائب خاصة مفروضة على اليهود. . . "[١٤٥] وخلص أمنون كوهين في دراسة له عن الحياة اليهودية في القدس في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى أن حكام المسلمين قد شجّعوا قيام حياة يهودية مستقلة في القدس واسبغوا عليها الحماية[١٤٦]. مع ملاحظة أن استقلالية الحياة تبقى في الشؤون الخاصة وضمن القوانين الإسلامية السائدة.

الخاتمة

اتضح لي من خلال هذه الدراسة أن مدينة القدس احتلت مكانة دينية ، وسياسية ، وثقافية ، واجتماعية مهمة لدى الدولة العثمانية ، كما احتلت المكانة نفسها وأكثر لدى شعوب هذه الدولة ، فالسلاطين العثمانيون وفّروا للمدينة وأهلها أشياء كثيرة ، وحرصوا على أن يبقى لها دورها في المنطقة ، وحافظوا على سيادة الإسلام والمسلمين فيها ، وظهر ذلك في جوانب عديدة .

أما شعبيا ، فقد اهتم العلماء والأدباء والمؤرخون والصالحون والصوفية بالمدينة من النواحي كلها ، وظهر ذلك من خلال استمرار زيارتها لأسباب دينية وعلمية والحرص على الدفن فيها ، والتأليف في فضائلها ، ووصفها ، فضلا عن مدحها شعرا .

وقد منحت الدولة العثمانية أهل الذمة فيها حرية ادارة شؤونهم الداخلية ضمن الالتزام بالقوانين الإسلامية التي كانت تظهر حزما في تطبيقها على أعلى المستويات .

مكانة القدس الدينية في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي ، صاحبتها مكانة سياسية ، وثقافية ، واجتماعية للمدينة في بلاد الشام ، وهذا يعطيها مكانا أهم من أن تكون عاصمة سياسية فقط للدولة العثمانية ، مع الأخذ بعين الاعتبار أن قاعدة اختيار العاصمة في الإسلام قامت على أساس وجود المناصرين والأعوان فيها ، وهذا ما استنه الرسول محمد ، صلى الله عليه وسلم .

الهوامش

(١) أنظر: ابن تميم المقدسي، مثير الغرام، ص ١٤-١٩ , ٦٥-٨١, ١٩٠-٢٢٠ , ٢٢٩-٢٣٠ وغيرها.
(٢) أنظر: الحموي، معجم البلدان، ٥/ ١٦٨-١٧٠.
(٣) الأسراء، ١٧/ ١.
(٤) أنظر: ابن تميم المقدسي، م.س، ص٦٩.
(٥) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س.، ص٧٠.
(٦) أنظر: أبن تميم المقدسي، م.س، ص٢١٢.
(٧) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١١٨.
(٨) أنظر: النجم الغزّي، لطف السمر، ٢/ ٦٥٧-٦٥٨؛ أحمد العلاف، دمشق في مطلع القرن، ص١٢٩.
(٩) أنظر: النجم الغزّي، لطف السمر، ٢/ ٥١٠.
(١٠) أنظر: النجم الغزّي، م. ن، ٢/ ٦٥٧؛ أحمد العلاف، م.س، ص١٢٩.
(١١) أنظر: محمود غوشة، العمارة العثمانية في القدس، ص٨٣.
(١٢) أنظر: العارف، المفصل، ص٢٦٥؛ العسلي، مكانة القدس، ص٣١-٣٢.
(١٣) أنظر: العارف، م. س.، ص٣٠٩.
(١٤) أنظر: العسلي، م. س.، ص٣٢.
(١٥) أنظر: العسلي، مكانة القدس.، ص٤٠-٤١.
(١٦) أنظر: العارف، تاريخ الحرم، ص٢٧؛ العارف، المفصل، ص٦٦؛ العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات، ص٣٩٥.
(١٧) أنظر: العارف، تاريخ الحرم، ص٢٧؛ المفصل، ص٦٦؛ العسلي، بيت المقدس في كتب الرحلات، ص٣٩٥.
(١٨) العاصمي، سمط النجوم العوالي، ٤/ ٩٥.
(١٩) أنظر: العارف، المفصل، ص٢٦٦؛ العسلي، مكانة القدس، ص٤٠.
(٢٠) أنظر: العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٥
(٢١) أنظر: العارف، تاريخ الحرم، ص٧٧-٧٨؛ رائف نجم وزملاؤه، كنوز القدس، ص٣٥١.
(٢٢) أنظر: العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٥؛ معاهد العلم، ص٣٦١-٣٦٢.
(٢٣) أنظر: العسلي، أجدادنا في، ص٨٩.
(٢٤) المحبي، خلاصة الأثر، ١/ ٢٨٩.
(٢٥) أنظر: العسلي، مكانة القدس، ص٣٧.
(٢٦) أنظر: محمد غوشة، م.س.، ص٩١.
(٢٧) أنظر: فهمي الأنصاري، المسجد القيمري، ص٧٥.

(٢٨) أنظر : رائف نجم وزملاؤه، م. س. ، ص٣٣٩ .
(٢٩) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٨٩ .
(٣٠) أنظر : العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص٢١٣-٢١٤ ؛ كامل العسلي، أجدادنا في، ص٢٥٥-٢٥٧ ؛ محمد غوشة، م. س. ، ص٨٩ .
(٣١) أنظر : العارف، تاريخ قبة الصخرة، ص٢١٣-٢١٤ ؛ كامل العسلي، أجدادنا في، ص٢٢٥-٢٥٧ .
(٣٢) أنظر : العارف، المفصل، ص٥٠٠ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٣٤٠ ٣٤١ .
(٣٣) أنظر : محمد غوشة، م. س، ص٨٨ .
(٣٤) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٩١ .
(٣٥) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٤١ .
(٣٦) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٩٢ .
(٣٧) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٣٦٦ .
(٣٨) أنظر : كامل العسلي، م. ، ن، ص٢١٩ .
(٣٩) أنظر : العسلي، م. ن. ، ص٢٤٢-٢٤٧ .
(٤٠) أنظر : محمد غوشة، م. س. ، ص٩١ .
(٤١) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص١٤٦-١٤٨ .
(٤٢) أنظر : العسلي، م. ن، ص٢٣٥-٢٣٧ .
(٤٣) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص١٤٨ .
(٤٤) أنظر : العسلي، م. ن. ، ص١٩٩ .
(٤٥) أنظر : العارف، المفصل، ص٢٥٣ .
(٤٦) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص١٤٨ .
(٤٧) أنظر : العسلي، م. ن. ، ص١٢٤ .
(٤٨) أنظر : العسلي، أجدادنا في، ص٨٣-٨٤و٢٠٢ ؛ معاهد العلم، ص٣٢٥ .
(٤٩) أنظر : السجل الشرعي رقم ٦٠ ص٧؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٧٩ .
(٥٠) أنظر : العارف، المفصل، ص٢٤٨ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٢٣٦ .
(٥١) أنظر : ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ٨/ ١٢٩ ؛ النجم الغزّي، الكواكب، ١/ ٢٣٢ .
(٥٢) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م. س. ،٨/ ٣٦٦ .
(٥٣) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م. س. ،٨/ ٢٧٢ ؛ النجم الغزي، الكواكب، ٢/ ٧٦ .
(٥٤) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٨٩ .
(٥٥) أنظر : السجل الشرعي رقم ٦٣ ص٩٢ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٠٢ .
(٥٦) أنظر : العسلي، م. ن، ص١١١ .
(٥٧) أنظر السجل الشرعي رقم ٥٢٢ ص١٤ ؛ العارف، المفصل، ص٢٤٦ ؛ العسلي، معاهد العلم،

ص١١٥ .

(٥٨) أنظر : السجل الشرعي رقم ٥٦ص٥٨٩ ، وسجل رقم ٥٢٢ص٣١؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٢٣ , ، ١٣٣و١٢٨ , ١٣٣ .

(٥٩) أنظر : السجل الشرعي رقم ٤٤ص٥٠٠ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٤٨ .

(٦٠) أنظر : المحبي، م.س، ١/ ٤٨٩ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٥٠ .

(٦١) أنظر : السجل الشرعي رقم ٤٤ص٥٠٠ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٦٩ , ١٧١ .

(٦٢) أنظر : السجل الشرعي رقم ٦٠ص٧؛ البوريني، تراجم الأعيان، ٢/ ١٢٧ ؛ المحبي، م.س.، ١/ ٤٨١ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٧٩-١٨٠ .

(٦٣) أنظر : السجل الشرعي ٤٤ص٥٠٠ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٩١ .

(٦٤) أنظر : السجل الشرعي ٥٦ص٦٠٤ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص١٩٩ .

(٦٥) أنظر : العسلي، أجدادنا في، ص٨٣-٨٦و ص٢٠٢ ؛ معاهد العلم، ص٣٢٥ .

(٦٦) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٢٠٤ .

(٦٧) أنظر : العارف، المفصل، ص٢٤٨ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٢١٢ .

(٦٨) أنظر : العسلي، م.ن.، ص٢١٥-٢١٦ .

(٦٩) أنظر : العسلي، م.ن.، ص٢٣٤ .

(٧٠) أنظر : العسلي، م.ن.، ص٢٤٤-٢٤٥ .

(٧١) أنظر : العسلي، م.ن، ص٢٥٠ .

(٧٢) أنظر : العارف، المفصل، ص٢٤٤ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٢٥٦ .

(٧٣) أنظر : العارف، م.س. ؛ ٢٥٣ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٢٦٣-٢٦٤ .

(٧٤) أنظر : البوريني، م.س.، ص٢٦٦-٢٦٧ .

(٧٥) أنظر : البوريني، م.س.، ٢/ ١٢٧ ؛ النجم الغزي، الكواكب، ٢/ ١٠٢ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٢٧٠ .

(٧٦) أنظر : العسلي، م.ن.، ص٢٧٢ .

(٧٧) أنظر : العسلي، م.ن، ص٢٨٩ .

(٧٨) أنظر : العسلي، م.ن، ص٢٨٩ .

(٧٩) أنظر : العارف، المفصل، ص١٧٩ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٢٩٧ .

(٨٠) أنظر : العارف، م.س.، ص٢٦٧ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٣١٣ .

(٨١) أنظر : العسلي، م.ن، ص٣٢٠ .

(٨٢) أنظر : العسلي، م.ن، ص٣٢٠ .

(٨٣) أنظر : العسلي، م.ن، ص٣٢٤ .

(٨٤) أنظر : العارف، المفصل، ص٥٠٠ ؛ العسلي، معاهد العلم، ص٣٣٩-٣٤١ .

(٨٥) أنظر: العسلي، م. ن، ص٣٤٣.

(٨٦) أنظر: العسلي، م. ن، ص٣٥٦.

(٨٧) أنظر: العسلي، م. ن، ص٣٦٢.

(٨٨) أنظر: العسلي، م. ن، ص٣٦١-٣٦٢.

(٨٩) أنظر: العسلي، م. ن، ص٣٠٦-٣٠٧.

(٩٠) أنظر: المحبي، م. س. ، ١/ ١٥٦.

(٩١) أنظر: المحبي، م. س. ، ٤/ ٧٨-٧٩.

(٩٢) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١٢٠.

(٩٣) أنظر: المحبي، م. س. ، ٣/ ٣٥٦.

(٩٤) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س، ص١٩٩-٢٠٥.

(٩٥) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص١٩٢و٢٠٧و٢٢٣.

(٩٦) أنظر: الحموي، م. س. ، ٥/ ١٦٧.

(٩٧) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص١٩٦-١٩٨و٢١١-٢١٤.

(٩٨) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص٢١١-٢١٢.

(٩٩) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ٢١٤.

(١٠٠) أنظر: النجم الغزّي، م. ن. ، ٣/ ٩٦.

(١٠١) أنظر: الخفاجي، ريحانة الألبا، ٢/ ٥٢؛ المحبي، م. س. ، ٣/ ١٨٣.

(١٠٢) أنظر: النجم الغزّي، لطف السمر، ٢/ ٩٧٤.

(١٠٣) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ٣٥.

(١٠٤) الطالوي، سانحات دمى القصر، ١/ ٣٢٢-٣٢٣.

(١٠٥) أنظر: البوريني م. س. ، ١/ ٤٣.

(١٠٦) أنظر: النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ٣٥.

(١٠٧) أنظر: النجم الغزّي، م. ن. ، ٣/ ٧٠.

(١٠٨) أنظر: الخفاجي، م. س. ، ٢/ ٥٢؛ المحبي، م. س. ، ٣/ ١٨٣.

(١٠٩) النازعات، ٧٩/ ١٣و١٤.

(١١٠) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س، ص٧٣-٧٨.

(١١١) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص٢١٩.

(١١٢) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص٢٤٧.

(١١٣) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص٢٤٩.

(١١٤) أنظر: ابن تميم المقدسي، م. س. ، ص٤٦-٢٤٩؛ مجير الدين الحنبلي، الأنس الجليل، ٢٦٥؛ العسلي، أجدادنا في، ص٣٣.

(١١٥) أنظر : العسلي، م.ن.، ص٢٤-٢٨.
(١١٦) أنظر : العسلي، م.ن.، ٢١٢, ٢٣١-٢٣٣.
(١١٧) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م.س.، ٨/ ٢٣٠؛ النجم الغزّي، الكواكب، ٢/ ١١؛ العسلي، أجدادنا في، ص٢٣٧.
(١١٨) أنظر : ابن العماد الحنبلي، م.س.، ٨/ ٣٥٥؛ النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١٢٠؛ العسلي، أجدادنا في، ص١٨٦.
(١١٩) أنظر : المحبي، م.س، ١/ ٤٨٩؛ العسلي، أجدادنا في، ص١٧٥.
(١٢٠) أنظر : الخالدي، تاريخ الأمير فخر الدين، ص٢؛ المحبي، م.س.، ١/ ٢٩٧؛ البغدادي، ايضاح المكنون، ١/ ١٢٠, ٢/ ١٠٠؛ هدية العارفين، ٥/ ١٥١؛ الزركلي، الأعلام، ١/ ٢٣٦؛ كحالة، معجم المؤلفين، ١/ ٣٠٣؛ العسلي، أجدادنا في، ص٨٣.
(١٢١) أنظر : النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١٢٧-١٢٨؛ المحبي، م.س.، ٣/ ٣٢٢و٣٢٥، إسماعيل البغدادي، ايضاح المكنون، ١/ ٣٨٨؛ العسلي، القدس في أدب الرحلات، ص٨٢.
(١٢٢) أنظر : المقّري، نفح الطيب، ٢/ ٧٦٧؛ ابن بسام، الذخيرة، ١/ ١١١-١١٦.
(١٢٣) أنظر : العسلي، مخطوطات فضائل بيت المقدس، ص٦٥.
(١٢٤) أنظر : العسلي، م.ن.، ص١٠٥-١١٢.
(١٢٥)
(١٢٦) أنظر : العسلي، م.ن.، ص١١٢-١١٣.
(١٢٧) أنظر : العسلي، م.ن.، ص١١٣-١١٤.
(١٢٨) الحموي، م.س.، ٥/ ١٧١.
(١٢٩) أنظر : الطالوي، م.س.، ١/ ٣٢٢-٣٢٣؛ النابلسي، الحضرة الأنسية، ص١٥٩-١٦٠.
(١٣٠) الطالوي، م.س.، ١/ ٣٢٣-٣٢٤.
(١٣١) أنظر : الخفاجي، م.س.، ١/ ٣١؛ النابلسي، م.س.، ص١٥٩-١٦٠.
(١٣٢) العجلوني، كشف الخفاء، ٢/ ٢١٨.
(١٣٣) العجلوني، م.ن.، ٢/ ٢١٨.
(١٣٤) أنظر : حمد يوسف، بيت المقدس، ص٤٨-٤٩.
(١٣٥) أنظر : وليد الخالدي، القدس من العهدة العمرية، ص٢١٦.
(١٣٦) أنظر : العارف، المسيحية في القدس، ص٢٤.
(١٣٧) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٥٧.
(١٣٨) أنظر : محمد فريد بيك، تاريخ الدولة العليّة، ص٧٨.
(١٣٩) أنظر : يوسف آصاف، تاريخ سلاطين آل عثمان، ص٧٧.
(١٤٠) أنظر : النجم الغزّي، الكواكب، ٣/ ١١٧-١١٨؛ المحبي، م.س.، ٣/ ٣٢٤-٣٢٥.

(١٤١) أنظر : محسن يوسف، ديموغرافية القدس، ص٤٤ .

(١٤٢) أنظر : العارف، المفصل، ص٣١٤؛ العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٣٧ .

(١٤٣) أنظر : العسلي، معاهد العلم، ص٨٩-٩٠ .

(١٤٤) أنظر : يوسف آصاف، م.س. ، ص٨٠ .

(١٤٥) العسلي، القدس في التاريخ، ص٢٤١ .

(١٤٦) أنظر : العسلي، م.ن. ، ص٢٤٢ .

المصادر والمراجع

أ) المصادر

(١) القرآن الكريم.

(٢) ابن بسام، علي بن بسام (ت٥٤٢/ ١١٤٧)، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق لطفي عبد البديع، القاهرة: الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٧٥، المجلد الأول.

(٣) ابن تميم المقدسي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت٧٦٥/ ١٣٦١)، مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام، تحقيق أحمد الخطيمي، الطبعة الأولى، بيروت: دار الجيل، ١٤١٥/ ١٩٩٤.

(٤) ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح عبد الحي بن العماد (ت١٠٨٩/ ١٦٧٨)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت: دار الآفاق الجديدة، لا. ت.، ٨ أجزاء، (ذخائر التراث العربي).

(٥) البوريني، الحسن بن محمد (ت١٠٢٤/ ١٦١٥)، تراجم الأعيان من أبناء الزمان، تحقيق صلاح الدين المنجّد، دمشق: مطبوعات مجمع اللغة العربية، ١٩٥٩و١٩٦٣، جزءان.

(٦) حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله (ت١٠٦٧/ ١٦٥٦)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، استانبول: المطبعة البهية، ١٣٦٠هـ.

(٧) الخالدي، أحمد بن محمد (ت١٠٣٤/ ١٦٢٤)، تاريخ الأمير فخر الدين المعني، تحقيق أسد رستم وزميله، الطبعة الثانية، لبنان: المكتبة البوليسية، ١٩٨٥،

(مجموعة الدكتور أسد رستم؛ ٥).

(٨) الخفاجي، شهاب الدين أحمد بن محمد (ت١٠٦٩/ ١٦٥٨)، ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، الطبعة الأولى، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٨٦/ ١٩٦٧، جزءان.

(٩) الذهبي، محمد بن أحمد (ت٧٤٨/ ١٣٧٤)، سير أعلام النبلاء، تحقيق وتخريج وتعليق شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، لا. ت.، الجزء الثاني.

(١٠) سجلات المحكمة الشرعية في القدس ذات الأرقام: ٤٤, ٥٢, ٥٦, ٦٠, ٦٣, ٥٢٢.

(١١) الطالوي، درويش محمد بن أحمد(ت١٠١٤/ ١٦٠٥)، سانحات دمى القصر في مطارحات بني العصر، تحقيق محمد مرسي الخولي، الطبعة الأولى، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣/ ١٩٨٤، جزءان.

(١٢) العاصمي، عبد الملك بن حسين (ت١١١١/ ١٦٩٩)، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، تحقيق عادل عبد الموجود وزميله، الطبعة الأولى، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٩/ ١٩٩٨، الجزء الرابع.

(١٣) العجلوني، إسماعيل بن محمّد (ت١١٦٢/ ١٧٤٨)، كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، الطبعة الثانية، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٥١هـ، الجزء الثاني.

(١٤) الغزّي، نجم الدين محمد بن محمد (ت١٠٦١/ ١٦٥١)،

أ. الكواكب السائرة بمناقب أعيان المائة العاشرة، تحقيق جبرائيل جبور، الطبعة الثانية، بيروت: دار

الآفاق الجديدة، ١٩٧٩ .
ب|. لطف السمر وقطف الثمر من تراجم أعيان الطبقة الأولى من القرن الحادي عشر، تحقيق محمود الشيخ، دمشق: وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٩٨١-١٩٨٢، (إحياء التراث ؛ ٥٧).
(١٥) الفرزدق، همام بن غالب (ت١١٤/ ٧٣٣)، الديوان، بيروت: دار صادر، ١٣٨٦/ ١٩٦٦، المجلد٢.
(١٦) مجير الدين الحنبلي، عبد الرحمن بن محمد (ت٩٢٧/ ١٥٢٠)، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، عمان: مكتبة المحتسب، ١٩٧٣.
(١٧) المحبي، محمد أمين بن فضل الله (ت١١١١/ ١٦٩٩)، خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، القاهرة: المطبعة الوهبية، ١٢٨٤هـ، ٤ أجزاء.
(١٨) المقّري، أحمد بن محمد (ت١٠٤١ / ١٦٣١)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٨، الجزء الأول.
(١٩) النابلسي، عبد الغني (ت١١٤٣/ ١٧٣٠)، الحضرة الأنسيّة في الرحلة القدسيّة، تحقيق أكرم العُلبي، الطبعة الأولى، بيروت: المصادر، ١٤١١/ ١٩٩٠.
(٢٠) ياقوت، أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت٦٢٦/ ١٢٢٨)، معجم البلدان، بيروت: دار إحياء التراث العربي، لا. ت، الجزء الخامس.

ب. المراجع

(١) آصاف (يوسف)، تاريخ سلاطين آل عثمان، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، الطبعة الثالثة، دمشق: دار البصائر، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
(٢) الأنصاري (فهمي)، المسجد القيمري: سلسلة مساجد بيت المقدس داخل السور، إشراف حمد عبد الله، ١٤١٦/ ١٩٩٥، (دائرة الأوقاف والشؤون والمقدسات الإسلامية، قسم إحياء التراث الإسلامي، نشرة ١٤، القسم الخامس).
(٣) البغدادي (إسماعيل باشا)
أ|. إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، الطبعة الثالثة [أوفست]، طهران: ١٣٨٧/ ١٩٦٧، جزءان.
ب|. هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، الطبعة الثالثة[أوفست] طهران: ١٣٨٧/ ١٩٦٧، جزءان.
(٤) الخالدي (وليد)، القدس من العهدة العمرية إلى قمة كامب ديفيد الثانية، مجلة الدارة، السنة السادسة والعشرون، العدد الرابع، شوال ١٤٢١، ص٢١٥-٢٤٤.
(٥) الزركلي (خير الدين)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين

والمستشرقين، الطبعة الخامسة، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠، الجزء الأول.
(٦) العارف (عارف)
أ. تاريخ الحرم القدسي، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، ١٣٦٦/ ١٩٤٧.
ب. تاريخ قبة الأقصى المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة دار الأيتام الإسلامية الصناعية، ١٩٥٥.
ج. المسيحية في القدس، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة دير الروم الأرثوذكس، ١٣٧٠/ ١٩٥١.
د. المفصل في تاريخ القدس، الطبعة الأولى، القدس: مطبعة العارف، ١٣٨٠/ ١٩٦١، الجزء الأول.
(٧) العسلي (كامل)
أ. أجدادنا في ثرى بيت المقدس: دراسة أثرية تاريخية لمقابر القدس وتربها وإثبات بأسماء الأعيان المدفونين فيها، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٤٠٢/ ١٩٨١، (مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية؛ ٥).
ب. بيت المقدس في كتب الرحلات عند العرب والمسلمين، عمان: ١٩٩١.
ج. القدس في التاريخ: إشراف همام غصيب، عمان: مطبعة الجامعة الأردنية، ١٤١٣/ ١٩٩٢، (منشورات الجامعة الأردنية، ٢/ ٩٢).
د. مخطوطات فضائل بيت المقدس: دراسة وبيبلوغرافيا، الطبعة الأولى، عمان: منشورات مجمع اللغة العربية الأردني، ١٩٨١.
هـ. معاهد العلم في بيت المقدس، عمان: جمعية المطابع التعاونية، ١٩٨١، (نشر بدعم من الجامعة الأردنية).
و. مكانة القدس في تاريخ العرب والمسلمين، الطبعة الثانية، عمان: ١٩٨١.
(٨) غوشة (محمد)، العمارة العثمانية في القدس: ص٨٣-٩٥، يوم القدس، الندوة الرابعة، تحرير خليل عودة وزميله، نابلس: كلية الآداب، جامعة النجاح الوطنية، ١٩٩٨.
(٩) العلاف (أحمد حلمي)، دمشق في مطلع القرن العشرين، تحقيق علي نعيسة، دمشق. وزارة الثقافة، ١٣٩٦/١٩٧٦.
(١٠) فريد بيك (محمد)، تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت: دار الجليل، ١٣٩٧/ ١٩٧٧.
(١١) كحالة (عمر رضا)، معجم المؤلفين: تراجم مصنفي الكتب العربية، بيروت: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، لا.ت.، الجزء الأول.
(١٢) نجم (رائف وزملاؤه)، كنوز القدس، عمان: منظمة المدن العربية، ١٩٨٣.
(١٣) يوسف (حمد أحمد)، بيت المقدس، الطبعة الأولى، القدس: دائرة الأوقاف الإسلامية، ١٩٨٢.
(١٤) يوسف (محسن)، ديموغرافية القدس في نهاية القرن الحادي عشر مع رؤية للواقع الحالي، ص٩-٥٤، في كامل العسلي، العلامة المقدسي وقضية القدس: أبحاث ندوة دراسية خاصة في القدس، الطبعة الأولى، القدس: الجمعية الفلسطينية الأكاديمية للشؤون الدولية، ١٩٩٦.

المعرفة وتطورها عند الإنسان

د. نادي الديك*

* مشرف أكاديمي منطقة رام الله التعليمية

ملخص:

في هذه الدراسة يحاول الباحث أن يتتبع أوليات المعرفة وتطورها عند الإنسان، منذ بدء الخليقة حتى اكتملت أدوات التفكير لديه، وبدأت تأخذ مسارات متعددة في تعريف الآخرين بها، وقد اتضح ذلك من خلال النصوص الدينية والإبداعية التي تعامل معها الإنسان، حيث اعتمد الباحث المنهج التكاملي في التعامل مع النص والغوص في أعماقه، حتى اتضح يقيناً إن المعرفة لا تقف عند حد، وهي ليست حكراً على أحد دون غيره.

وأوضحت الدراسة أن ارض العرب هي الموطن الأول للخلية البشرية الأولى ومنهاانطلقت أوليات المعرفة ولبنات الحضارة الإنسانية.

Abstract

The researcher, in this study will shed the light on the chronological development of knowledge from the beginning of the world (creation) going through the development of thinking instruments until completion by the different branches and approaches to knowledge.

This can be apparently seen through the religious and creative texts developed by man (human being). In his study, the researcher applies the methodological integral approach in dealing with texts which in the end confirm that knowledge has no limits and is not exclusive to one person than others.

As a matter of fact, Arab lands were the first homeland from which the basis of knowledge and civilization had been launched.

المعرفة وتطورها عند الإنسان

مقدمة:

المعرفة عند الإنسان عميقة الجذور، بعيدة الدلالات، وبما أننا لا نستطيع استبطان أوليات المعرفة دون بحث أو غوص في أعماق التاريخ، فقد ارتأينا أن نسهم ببحث يعالج هذا الموضوع حتى يخدم المعرفة، ويتتبع خطى تطورها منذ تكوين اللبنة الأولى للحياة البشرية على سطح الأرض، أي منذ نزول آدم على الأرض حتى استقرار الإنسان وخلقه نهجاً تكاملياً في حياته.

لذا لجأنا أولا إلى الاعتماد على القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه لأنه يتضمن حقائق أزلية تعد بمثابة أنوار ساطعة تهتدى بها الأمم في مسيرتها المتصاعدة لبناء الحضارة الإنسانية، ثم تتبعنا الأمر في حكايات الأولين وأساطيرهم مثل قصة الطوفان وملحمة جلجامش مروراً بالطقوس التي اتبعها السحرة، والعادات التقاليد السائدة في المجتمعات القديمة التي أسهمت في خلق النتاج القصصي الذي يكون الإنسان فاعلا فيه أو ناقلا له حتى تكتمل حلقات المعرفة.

الخلق ولغة التعبير الأولى:

خلق الله سبحانه وتعالى السماوات والأرض ومن ثم الملائكة قبل الإنسان، وهذا الأمر نستشفه من قوله تعالى مخاطباً الملائكة عند خلقه للإنسان: " وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون ". [١]

فالله- سبحانه- يعلم بواطن الأمور وخوافيها، لأن معرفته فاقت كل شيء، فمع خلق الإنسان بدأت رحلة الحياة من بعد آدم وحواء، وبعد الخطيئة التي ارتكباها في الجنة قضت مشيئة الله إنزالهما إلى الأرض: " وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكُلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين "[٢].

فنرى أن الله سبحانه بحكمته جعل الشجرة والاقتراب منها وسيلة وسبباً فاعلين لإنزال آدم من الجنة؛ لأنه يقر- سبحانه- بأن آدم خليفته في الأرض، فمع نزول آدم وحواء من السماء

إلى الأرض نرى محنة الحياة الأرضية قد بدأت فعلاً، وقد اختلف في مكانية اللقيا بين آدم وحواء، فبعض الدارسين يرى أنها أرض العراق التي غدت موطن التلاقي الإنساني الأول يقول أحدهم: " عندما أخرج آدم من الجنة وأنزل من السماء كان أول ما وطئت قدماه أرض العراق، وهذا يشير إلى اعتقاد قديم عند الناس، بأن العراق هو أول موطن للبشرية الأولى، ومن الطبيعي أن القصة أدركت أن في العراق، دون بقية رقاع ارض الله، خصائص وميزات وسمات قريبة من الجنة دفعت آدم إلى اختيار أرضه للنزول فيها "[٣]

فآدم أول إنسان يهبط إلى الأرض من السماء، وتليه حواء وبعد أن استقر به المقام لا بد أنه بدأ حياته الطبيعية كما فطرها الله سبحانه، ولا بد من وسيلة للتخاطب والتفاهم لبيته وأسرته فيما بعد، وهذا يجعلنا في حيرة من أمرنا تجاه اللغة الأولى التي خاطب بها الله آدم، ومن ثم استعملها آدم فيما بعد، فالمعلومات المتوافرة لدينا لا تعطينا حالة يقينية عن أوليات اللغة المستخدمة عند النواة الأولى للبشرية، لأن آدم صاحب أول لغة عرفت على وجه الأرض، وهذه اللغة التي استخدمها - كما نعتقد - تكون تلقينية ؛أي أن الله- سبحانه- قد وهبه إيّاها، أو أنه ربما اختار قيماً وأفكارا ومصطلحات أصبحت تشكل مادته المعرفية الأولى، ومن ثم بدأ يتداولها مع باقي أسرته والناس من بعده، ومثل هذا الأمر لم يتركه الباحثون على علاته، بل تكلموا فيه وأدلوا بدلوهم فيه من خلال مؤلفاتهم وبحوثهم.

وأول كتاب وصلنا يخص هذا الموضوع هو السيرة لابن هشام الذي رواه عن اسحق بن يسار، وقد نقده ابن سلام الجمحي في كتابه طبقات الشعراء لما رواه من أشعار للجن والقبائل والأقوام البائدة في فترة سحيقة يكتنفها الغموض لقدمها وعدم التأكد من كنه اللغة التي كانت تلك الأقوام تستعملها يقول الجمحي: ((كان اسحق بن يسار أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك، فقبل الناس عنه الأشعار وكان يعتذر منها ويقول: لا علم لي بالشعر، أتيت به فاحمله ولم يكن ذلك عذراً، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط، وأشعار النساء فضلا عن الرجال، ثم جأوز ذلك إلى عاد وثمود. فكتب لهم أشعاراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقواف، أفلا يرجع إلى نفسه فيقول، من حمل هذا الشعر؟ ومن أداه من آلاف السنين والله تبارك وتعالى يقول: " فقطع دابر القوم الذين ظلموا "[٤] أي لا بقية لهم، ويقول تعالى: " وأنه أهلك عاداً الأولى وثموداً فما أبقى ".[٥]
ويقول في عاد " فهل ترى لهم من باقية "[٦] ويقول[٧]: " وقرونا بين ذلك كثيراً[٨].

إن المتتبع لهذه المسألة يجد أن القدماء قد محصوا الأخبار بعض الشيء، وأن بعضهم وقع

فيما رفضه من أشياء، إلا أن هذه الأمور تؤكد لنا أهمية البحث والاستقصاء في الحياة عامة والبحث العلمي خاصة.

بدايات المعرفة الإنسانية وتدرجها:

اتضح أن القرآن الكريم يخبرنا عن الأقوام السابقة بصورة جلية واضحة، وهذا يجعلنا نعيد التفكير مرات عدة قبل استنتاج الشيء المبحوث عنه، بهذا نقول إن أوليات المعرفة الإنسانية مجهولة الكيفية والأداء بمعنى أنه ليس من السهل التنبؤ أن الحالة المعرفية كانت كذا، ووصلتنا عن طريق كذا إلا إن حالة التخيل قد تسعف المرء وتجعله يضع بعض الاستنتاجات من خلال الاستقراء المتواصل للحياة ونظمها، فقد يكون هناك لغة أو وسيلة تخاطب لدى الناس سابقاً لم نعهدها نحن المعاصرين في بداية القرن الحادي والعشرين، فالإنسان الذي نزل من السماء وأنجب الأطفال وكون الخلية الأولى في الحياة البشرية لا بد أن يتفاعل مع بيئته المحيطة به، وحين سكن تجأويف الأشجار والكهوف معزولا عن حالة الاستئناس البشري التي يطمح إليها الإنسان بفطرته، وذلك لسعة المسافات وقلة السكان، نرى لحظة الخوف ترأوده من فترة لأخرى، وهذه حالة طبيعية تنتاب الإنسان وهي الشعور بالخوف والاضطراب وعدم الطمأنينة، لأن النفس البشرية مطواعة للمواقف كلها، أي أن استمرارية العيش على وتيرة واحدة مستحيلة بل تكاد تكون منعدمة.

فالإنسان الذي يعيش في الكهوف وتجأويف الأشجار لا بد أن يخلق حالة من التناغم كي يستأنس بحياته، ويجعلها ميسرة سهلة مقبولة إلى حد يصلح معها التواصل والعيش بسلام حتى تتراكم لديه الخبرة والتجربة من خلال الحياة ونظمها التي قد يصنعها بذاته، أو يأخذها من محيطه والآخرين، هذه الخبرة تجعله يقفز من محيطه وفطرته الغريزية إلى ما هو أسمى من ذلك واعمق، من هنا يأتي البحث عن الذات، مما يخلق حالة خاصة في الإنسان وهي البحث عن اللذة والترفيه. فاللذة ليست أحادية الجانب بل متشعبة العطاء والتوجهات بذلك يكون الإنسان قد حقق أشياءً كثيرة، ألا وهي الوصول إلى الهدف المنشود، ومن ثم خلق سبل وقيم جديدة لم يكن ليعرفها لولا البحث والحاجة والاستنباط، فكلما حقق الإنسان مكسبًا أو هدفاً محددين حاول الاستزادة من خلال ربط المكاسب والأهداف ببعضها بعضاً.

فكما يكون البحث عن الحياة وتفاصيلها، يكون البحث عن اللذة ومضامينها لان الإنسان يحأول ان يعرّف نفسه للآخرين عبر سبل مختلفة لذلك اختلفت الأساليب عند الناس من

إنسان لآخر، بمعنى قد يعبر الإنسان عن نفسه بوساطة الغناء والآخر بالإشارة والثالث بطريقة الرسم، وهكذا حتى يتجسد لدى الناس قيم وثقافات مختلفة يعبرون عنها بسبل عدة قد تكون معروفة وقد تتمخض مع البحث عن شيء جديد.

فالعزلة قد تولد حالة الخوف وهذه الحالة بدورها تنمي في الإنسان حب الخلاص والسيطرة على النوازع قدر المستطاع، فقد تكون حالة السرد وإخراج النغم المتتالي بوساطة اللحن من العوامل التي يريدها الإنسان، فمن خلال الفعل ورد الفعل ظهرت القصة فكما يقول (ايزاك دينتسين) " القصة هي الفن المقدس، وكانت أول بدء الخليقة، ولكنك ستتذكر أن الشخصيات الإنسانية لم تظهر إلى الوجود إلا في اليوم السادس نعم ففي ذلك اليوم كان لا بد لهم من أن يخلقوا لأنه حيث توجد القصة تجتمع من اجلها الشخصيات "(٩).

التبادلية في المعرفة الإنسانية:

بما أن الحياة تحتاج إلى تقسيم العبء على الآخرين لذلك جاء دور كل إنسان مهماً كي يكمل دورة الحياة، فالرجل الذي يبحث عن أسباب الرزق خارج مكان إقامته لا بد أن يسرد بنوع من الفخار والتدليل والمقدرة ما ينتابه من مشاعر وهموم وتعب، كي تختمر قرائن المعرفة بين المقيمين في البيت والراحلين عنه بانتظام، مما قد يجعل المهام تتداخل فيصبح دور الأم أكثر فاعلية مما يتصوره الآخرون، من هنا يدمج الواقع بالخيال، بمعنى أن الذي يقتبس عن المتحدث فكرة معينة لا بد أن يزيد عليها بطواعية الخيال وسعة المعرفة فيكون دور الأم الحاضنة لأولادها دورا متناميا مع الأيام ويزداد الخيال اتساعا كلما تمرس المرء في الاقتباس والتمرين على ذلك، لان مقدرة الإنسان العقلية تستوعب الشيء الكثير، وبالذات إذا ما قورنت الأمور بمثيلاتها وغير ذلك فقد يتخيل المرء ما كان يفعله الآخرون فكيف إذا تسأوت لحظات العيش واللقاء لأن " القوة العقلية عند الإنسان مؤكدة في جوهرها وان اختلفت درجاتها وينبني على ذلك أن يتخذ التطور في عادات الإنسان ومعتقداته أنماطا شديدة التشابه في مختلف أنحاء الأرض وفي شتى أنواع المناخ وذلك على الرغم من الاختلاف البالغ في درجة التطور وإذا فلعل قبيلة تعيش في مكان ما من الأرض ان تمثل درجة التطور التي اختطفتها قبيلة ثانية كانت تعيش في مكان آخر من المعمورة منذ ألوف السنين، ومن ثم فمأثورات القبيلة الأولى تلقي ضوءا على ماضي القبيلة الثانية حين لا تتوافر الوثائق التي تتصل بالتاريخ القديم "(١٠).

من هنا نرى أن التبادلية في الشيء وأسسه كانت العوامل الفاعلة على خلق القصة أو الحكاية،

وعندما نقول قصة فلا نظن أننا نعني هذا الجنس الأدبي الذي نعرفه اليوم، وإنما تلك الطريقة التي تعارف عليها السابقون كي تتلاءم مع معطيات حياتهم والبيئة المحيطة بهم، ومع التطور الحقيقي الذي يصيب الإنسان فكرا وثقافة وغير ذلك، مما يظهر عنده الاستعداد والميل لخلق أنماط معرفية متطورة لمواكبة روحية العصر الذي يعيشه، وكل ذلك كان يصلنا عن طريق نتاج الإنسان من الأدب والفن والسمات التعبيرية الأخرى، فأخذ الناس يروون ما يتناقلونه عن بعضهم بعضاً، فلا بد أن يكون المنقول يروى بأساليب مختلفة، بمعنى أن يكون بضمير المتكلم ومن ثم بضمير الغائب، وهذا تحصيل حاصل عند الذين يروون الخبر، لأن الذي يسرد الحكاية للمرة الأولى ويكون له اليد الطولى في صنعها وخلقها، لا بد أن يتكلم بضمير الذات، وكذلك الذي يروي الحكاية بعد سماعها، فقد يروي بضمير الغائب وهكذا يتم التبادل المعرفي بين الناس.

فكرة المصير وتطور المعرفة:

اقترنت الحياة البشرية في بداياتها الأولى بالإحساس المتزايد بقيمتها وأهميتها في ترسيخ ظاهرة الاندماج أو التآلف بين الإنسان ومحيطه، غير أن هناك ظاهرة شاذة عن معرفة الإنسان أخذت حيزا كبيرا من تفكيره، وخرجت به عن المألوف وهي ظاهرة الموت والحرص على الحياة، التي تظهر جلية للناس، فأخذوا يبحثون عن أصولها، وأول ظاهرة للموت عرفها الإنسان وقعت بين ولدي آدم هابيل وقابيل، حيث اخبرنا القرآن الكريم بذلك " فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله، فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه قال يا ويلتي أعجَزْتُ أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فاصبح من النادمين " (١١).

فظاهرة الموت جعلت الإنسان يصدم بعواطفه ويبحث عن خفاياها ومبرراتها قدر مستطاعه إلا أنه عجز عن ذلك، وبقي الموت سرا إلهيَّاً لا يعلمه غيره. بذلك شعر الإنسان بقوة خفية تسيطر على مقدراته وتوجهاته. وهذا الشعور جعل الإنسان يقف منها مواقف مختلفة فمرة يفر خوفا من مجهول وصولاً إلى مجهول آخر محتم، إلا أن نوازع الإنسان بفطرته جعلته يتجه صوب مراضاة القوة الخفية التي تسيطر عليه، لذلك التجأ إلى العبادات وأداء الطقوس التي تريحه نفسيا وترضيه معنويا، كي يشعر بالقرب من القوة الخفية التي تخيفه وتسيطر عليه، وبدأ بالتعرف على بعض العوامل التي تؤدي بالإنسان إلى الموت، فأيقن أن المرض

والجوع والحروب توصل المرء إلى الفراق الأزلي، لذلك بدأ يبحث عن كيفية الخلاص من المرض ليأتي الأمر على شاكلتين أولاهما، العلاقة بالقوة الغيبية لتحميه من قوة الغيب فجاء ما يسمى بالعلاقة بين رجال الدين والطقوس والقوى الخارقة وغير ذلك. وثانيهما بدأ يتلمس الشفاء من خلال الأعشاب التي تحيط به فبدأ بالقضاء على بعض الأمراض والأوبئة الفتاكة، حتى صرنا نرى ذلك مشخصا بوساطة النقوش التي تم اكتشافها عن طريق الحفريات حيث تعرفنا على بعض الأعشاب المستخدمة علاجيا، كزهر البابونج وغيرها من الأعشاب التي لم يزل الناس يستخدمونها في حياتهم اليومية، وكذلك عرف الإنسان سنبلة القمح بعد تدجينه وزرعه، وهناك رموز كثيرة تدلل على ذلك " فهذه البقية في التصورات الأسطورية الذكرية ما زالت تحمل خطوطا واضحة من صورة عشتار القديمة كروح للقمح والحبوب والإنبات، فروح القمح في هذه التصورات هي إلاهة القمح وقد خرجت من الطبيعة تمارس سيادتها عليها كما يفعل الآلهة الذكور، وليس اكتشاف (ديمتر) لزراعة القمح ونقلها للبشر إلا إشارة إلى كونها هي نفسها روح القمح القديمة، وشقرة شعر الآلهة هي شقرة السنبلة الأولى التي حلت بها روح القمح وتطابقت معها "(١٢).

من خلال ذلك نعتقد أن تدجين النبات والحيوان ما هو إلا جهد مطلوب ومراد في حد ذاته من الإنسان ومن أجل الإنسان أيضاً، وهذا يدلل على أن الإنسان بدأ ينحو منحى الحضارة ويرتقي سلمها. تلك الحضارة التي بدأ يصنعها بيديه ويحافظ عليها ويديم عطاءها مع الأيام. من هنا نقول إن معرفة الإنسان بالأشياء جاءت تدريجية؛ أي بعد أن كانت معرفته نظرية أصبحت حقيقة فعلية، تطبق على أرض الواقع، وهذا لم يأت من فراغ أبدا وإنما جاءت نتيجة لتراكمات معرفية مقصودة ومبحوث عنها ومعززة مع الأيام بثقة الإنسان. إن تبلور القيم الحضارية عند الإنسان ورسوخ المعرفة لديه جعلته يعيش وفق نظم وقوانين متعارف عليها، وتظهر مع استمرارية الحياة. حتى صرنا نجد كل مجموعة من البشر تعبر عن نفسها بطرائق مختلفة حتى تشعبت الأمور ووصل الأمر إلى المعتقد، إذ أخذت كل قبيلة وسيلة في التعبير عن المعتقدات والعقائد التي يدين بها أبناؤها ويقدسونها حتى غدت من منجزاتهم التي يعتزون بها ولربما يضحون بأنفسهم دفاعاً عنها، دون النظر إن كانت تلك المعتقدات سماوية أم إنسانية وضعية، علما أن المجاورة في السكنى تؤدي إلى التأثر بالمفاهيم والمعتقدات والاقتباس منها، فأخذ الناس يعبرون عن معتقداتهم حتى زادت الأناشيد والتراتيل مما جعل رصيدها يتضاعف لدى الناس المهتمين بها. هذه الأشياء جعلت الفروق بين النوازع الإنسانية

البشرية والوجود الإلهي واضحة جلية، على الرغم هن وجود بعض الصلات العاطفية بين الإنسان والذات الالهية ؛ لأن عواطف الآلهة إنسانية خالصة، وهنا لا بد من وجود رابط معين بين هذه العواطف ألا وهي الأحداث. والأحداث كما تقول سهير القلماوي عصب القصص ومادتها(١٣).

وبما أن القصص تكون مادتها الأحداث الروحية والفكرية، لذا اتسعت رقعتها وأخذ الناس يتناقلون من القصص زيادة على ما أنتجته أخيلتهم تجاه آلهتهم التي خصوها بالنتاج الثري. كل ذلك جعل بعض الأقوام تشتط عن القيم العقائدية السليمة التي تنسجم مع روحية الحياة الإنسانية بفطرتها وتطوراتها. لذلك نزل عقاب الرب على الناس بوساطة الطوفان، حيث يتضح من التوراة أن الله غضب على الناس فأرسل الطوفان عليهم ليمحوَ كل مخلوق على الأرض " ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض " وتأسف في قلبه قال الرب أمحو عن وجه الأرض الإنسان الذي خلقته، الإنسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأني حزنت أني عملتهم وأما نوح فوجد نعمة في عين الرب "(١٤).

وكذلك جاء وصف الطوفان في التوراة كما يلي " وكان الطوفان أربعين يوما على الأرض وتكاثرت المياه ورفعت الفلك فارتفع عن الأرض، وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض فكان الفلك يسير على وجه الماء، وتعاظمت المياه كثيراً جداً على الأرض فتغطت جميع الجبال الشامخة التي تحت كل السماء، خمسة عشر ذراعاً في الارتفاع تعاظمت المياه فتغطت الجبال فمات كل ذي جسد كان يدب على الأرض من الطيور والبهائم والوحوش وكل الزواحف التي كانت تزحف على الأرض وجميع الناس، كل ما في أنفه نسمة روح حياة من كل اليابسة مات فمحا الله كل قائم على وجه الأرض، الناس والبهائم والدبابات وطيور السماء فانمحت من الأرض وبقي نوح والذين معه في الفلك فقط، وتعاظمت المياه على الأرض مائة وخمسون يوما "(١٥).

وقصة الطوفان التي جاء ذكرها في الكتب السماوية لم تنفرد بها تلك الكتب وإنما نجدها في الأدب العراقي القديم في قصة الطوفان البابلي، وهذا يدلل على أن الإنسان العربي القديم يقدر قيمة الحساب والعقاب وقد دونها في إبداعاته الأدبية. وهذا يجعلنا نوقن أن الأدب مرآة الحياة في كل العصور، إلا أن مسميات الآلهة تختلف بعض الشيء عند العراقيين القدماء عما جاء عليه في الكتب السماوية " القرآن – التوراة " فكما يقول د. فاضل عبد الواحد " في اعتقادنا ان السر يكمن في أن الطوفان كان يتعلق أساسا بمسالة خلق الإنسان ومن ثم

بتكاثره وانتشاره في الأرض كما يتضح ذلك جليا من قصة الطوفان البابلية " اتراخاسيس " ومن التوارة أيضاً، ولهذا فعندما قررت الآلهة إحداث الطوفان لتعاقب به الإنسان لأنه كان يزعجها بصخبه وضجيجه حسب الرواية البابلية " أو بسبب انتشار شره وظلمه بموجب التوراة " فقد كان منطقيا أن يتصف بالشمولية ليهلك الإنسان حيثما وجد في الأرض؛ أي دون اقتصاره على بقعة معينة " [١٦].

وقد جاء في خاتمة قصة الطوفان البابلية (اتراخاسيس)ما نصه:

وهكذا جئنا بالطوفان
غير أن الإنسان استطاع من البقاء رغم الدمار
أنت يا مشير الآلهة العظام
بأمرك أقود أنا المعركة
وفي مديحك فليستمع الآلهة ايكيكي
إلى هذه الأنشودة وليمجدوا عظمتك
لقد أنشدت الطوفان إلى الناس كلها
فاستمع إليه ![١٧]

الكون مجال المعرفة الإنسانية

إن قصة الطوفان البابلية وغيرها من النصوص الأدبية القديمة تؤكد لنا حرص الإنسان على تفاعله مع الحياة والتأمل الفاعل في استبطان نظمها وقوانينها. وهذا التأمل والتفكير جعل الإنسان يصل إلى مرحلة التعجب في الشيء، ويحاول فتح مغاليقه، وكشف سرّ ناموسه المبهم عليه، فكان الكون وتشكيلاته أحد العوامل الفاعلة في لفت النظر وجلب الانتباه وخلق الحيرة، فالقمر واختلاف أشكاله على مدار الشهر، ومن ثم اختفاؤه لفترة وجيزة ومن بعدها الظهور كي يعود على هيئته التي عرف بها، والشمس وتقلباتها في قوة حرارتها وضعفها حسب المواسم والفصول ومن ثم الاختفاء وكأنها قناة تغوص في لجين تتساقط عليه الاشعة البنفسجية وغير ذلك من مكونات الكون جعلت هذه الكينونة مادة للنسج القصصي والخيال المبني على التأمل والمناجاة، ومثل ذلك جعل سيدنا إبراهيم يتأمل في الكون ويقر بوحدانية الله فيما بعد حيث جاء على لسانه في القرآن الكريم " وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض

وليكون من الموقنين ، فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أَفَل قال لا أحب الآفلين ، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين " . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون ، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين "(١٨) .

والتفكر في خلق الكون لم يكن حكرا على أحد أو مجموعة دون أخرى ، فقد جاء في الأساطير اليونانية أن السبب الذي من أجله تعبر الشمس من الشرق إلى الغرب هو تصورهم أنها سائق يسوق مجموعة من الجياد اللامعة عبر السماء التي ظنوها قبوا منحنيا فوق الأرض المسطحة . كما فسروا عودة الشمس إلى مقرها دون أن يراها أحد ، بأنها تبحر في كأس هائلة عبر نهر عظيم يحيط بالأرض وسموه أوقيانوس .(١٩)

وللمصريين القدماء نظرتهم كذلك في أصل الأشياء وانبعاثاتها فالزلازل كما ظنوها هي نتيجة لحركة الأرض ، وهي تنقل على قرني الثور الضخم الذي يحملها ، فإذا أصاب الثور التعب والإعياء نقل الأرض من قرن إلى آخر بذلك تهتز وتضطرب ويزعم "رواة الأخبار من العرب أن الأرض على ماء ، والماء على صخرة ، والصخرة على سنام ثور ، والثور على كمكم والكمكم على ظهر حوت والحوت على الريح ، والريح على حجاب ظلمة ، والظمة على الثرى وإلى الثرى انتهى علم الخلائق "(٢٠) .

وهناك بعض القبائل تعتقد أن الشمس والقمر امرأتان " أما الشمس فهي امرأة مربوطة بجبل يجرها به زوجها وسيدها على الدوام ، والقمر كذلك امرأة وزوجها عدو للإنسان وهو يصنع الشراك من الحبال ليوقع بها الرجال ، ولكنه يفشل في الايقاع بالإنسان ، لأن بعض الفئران الصديقة للرجل تترصد زوج القمر وتقرض حبال شراكه ، والنجوم أطفال القمر وفي وقت ما كان للشمس أطفال كثيرون كعدد أولاد القمر ، وخافت الشمس والقمر الا يتحمل الإنسان حر هذا العدد الكبير منهم فاتفقا على أن تأكل كل منهما أطفالها ، ولكن القمر لا تنفذ الاتفاق وأخفت عن الشمس صغارها ، وبعد أن أكلت الشمس أولادها أظهرت القمر أطفالها للوجود ، فغضبت الشمس غضباً شديداً وأخذت تطارد القمر لتقتلها . ومنذ ذلك الحين وهي تطاردها ، ومازالت تريد اللحاق بها لتنتقم من خداعها(٢١) .

وفي التوراة نجد أنه في البدء خلق الله السماوات والأرض ، وكانت الأرض خربة خالية وعلى وجه القمر ظلمة ، وروح الرب ترف فوق الماء(٢٢) .

ومسألة النور والظلمة من المسائل المهمة التي بحثها الإنسان وتطرق لها ، وكانت له فيها آراء

متعددة منها ما جاء مطابقا لما ورد بشأنها في الكتب السماوية، ومنها ما جاء مخالفاً لها على الرغم من تعدد الآراء والتوجهات. " ومن المثير للتأمل حقا أن كثيرا من أساطير التكوين لم يربط بين الشمس والنور، ولم يجعل صلة بينها وبين تتابع الأيام، ففي أسطورة التكوين البابلية تظهر دورة الأيام واختلاف الليل والنهار، قبل ظهور الشمس إلى الوجود "(٢٣).

والذي يتتبع التوراة يجد هناك تمييزا بين الليل والنهار قبل ان يخلق الله الشمس، فخلْقُ النور تم في اليوم الأول من أيام التكوين " وقال الرب ليكن نور فكان نور ورأى الرب النور أنه حسن وفصل الرب بين النور والظلمة ودعا النور نهارا والظلمة دعاها ليلا "(٢٤)، أما خلق الشمس فلم يتم إلا في اليوم الرابع من أيام التكوين " وقال الرب لتكن أنوار في جلد السماء لتفصل بين النهار والليل وتكون لآيات وأوقات وسنين وتكون أنوار في جلد السماء لتنير على الأرض وكان كذلك فعمل الرب النورين العظيمين، النور الأكبر لحكم النهار والنور الأصغر لحكم الليل . . وكان مساء وكان صباح يوما رابعا "(٢٥).

الأساطير ودورها في تكون المعرفة:

إن الذي يدرس الحضارات القديمة، والأساطير التي وصلتنا عبر الحفريات والنقوش يجد أن العلاقة قائمة بين الناس حول أهمية الشمس والقمر، وأيهما أفضل وإلى أيهما تميل مشاعر الناس. فنجد أن القمر يأخذ حيزا كبيرا في تفكيرهم وطقوسهم، وجعلوا القمر امرأة فاعلة تتدخل في مجريات الحياة كلها بدءاً من الزراعة والنماء، وصولا إلى الجنس والعلاقة الجنسية. وكانت الشعوب تدخل القمر وأشكاله المختلفة في طقوسهم كافة " وإضافة إلى خصوبة الأرض، فإن القمر مسؤول عن خصوبة النساء " ففي (غرين لاند) يسود الاعتقاد بأن القمر هو الذي ينفخ الحياة في أرحام النساء، لذلك فإن المرأة غير الراغبة في الحمل لا تنام على ظهرها ليلا دون أن تغطي منطقتها بإحكام، خوفا من تسلل شعاع القمر. وفي نيجيريا يقتصر دور الفعل الجنسي الذي يمارسه الرجل على تسهيل مهمة القمر الذي يعتبر المسؤول الحقيقي عن الحمل. ولدى قبائل الماوري في أمريكا الشمالية يسود الاعتقاد بأن القمر هو زوج النساء جميعاً، وتعتقد بعض القبائل في منغوليا ومناطق أخرى من العالم بأن القمر قادر وحده أحيانا، ودون تدخل الرجل على إخصاب النساء. . . وتقوم المرأة المتزوجة حديثا لدى بعض هنود تكساس بالوقوف عارية في وعاء مملوء بماء تم تعريضه لضوء القمر، وفي بعض روايات ولادة بوذا انه قد ولد من عذراء لقحها ضوء القمر، ويصف الفرس القمر بأنه حافظ بذور

الثور لأن أسطورة قديمة تقول: إن الإله الثور قد أودع بذوره المخصبة في القمر. وفي أنحاء كثيرة من العالم ما زالت النساء ترفع المولود الجديد عالياً نحو القمر ليبارك نموه. وفي أوروبا الوسطى اليوم تحذِّر الفتيات بعضهن بعضاً مازحات من الشرب من ماء بركة ينعكس عليه خيال القمر لكي لا يحملن، وفي مقاطعة (كملن بريتاني) بفرنسا يتندر الناس بالقول إن على المرأة أن لا تكشف جزأها الأسفل تحت ضوء القمر وإلا حملت منه(٢٦).

وقد أخذت النار مكانة لا يستهان بها في تفكير الإنسان القديم وطقوسه، بغض النظر عن محل سكناه وثقافته، فنجد أصحاب الحضارات القديمة في المشرق العربي والهند وأوروبا قد أعطوا النار مكانة مرموقة وفاعلة في حياتهم، وكانوا يقرنون قوة النار بقوة المحصول وغزارته، وفي المناسبات الدينية لم تنعدم النار أبدا. ففي عيد الفصح توقد النيران وتضاء الشموع وقد تدفن بقاياها في الأرض تيمنا بخصبها ونمائها فيما بعد. ونجد النار مقدسة عند الفرس والأكراد وهم يشعلونها إلى يومنا هذا في يوم النورز وهو أول يوم من السنة الإيرانية والكردية " ومن المناسبات الأخرى التي تقام فيها طقوس النار المقدسة يوم الأول من أيار، وهو احتفال كبير يقام في طول أوروبا وعرضها " ولعل أوضح مثال على الطابع العشتاري لهذا الاحتفال ما كان يقوم به المزارعون في منطقة ويلز ببريطانيا. ففي عشية أول أيار يقوم بضعة رجال بالتوجه إلى الغابة القريبة فيحتطبون كمية من أغصان الأشجار يأتون بها إلى القرية فيشكلون منها صلبانا صغيرة توضع حول دائرة الوسط، وهي نفس الدائرة والصليب اللذين رمز بهما إنسان الثقافة النيوليتية في سورية إلى الأم الكبرى منذ الألف السابع قبل الميلاد ثم يقوم أحد الرجال بحك قطعتين من خشب البلوط ببعضهما فإذا اشتعلت فيهما النار، أوقد منها بقية الأغصان، وقام الناس بالرقص حول النار والقفز من فوقها وجلبوا قطعانهم إليها(٢٧).

بهذا تكون النار صيغة مباركة أو ظاهرة لها طقوسها التي تجمع الناس بمباركة وطمأنينة كي يتبادلوا الرقصات، وينعكس ذلك على مجريات حياتهم. وقد مارس العرب في جاهليتهم طقوساً مشابهة إلا أنهم يريدون استنهاض القوى الاخصابية في ملكوت الحياة، وتكون النار رسولا وواسطة خير فاعلة، وتمثل ذلك في انحباس المطر، فكانوا إذا احتبس المطر خرجوا لصلاة الاستسقاء فاشعلوا نارا في أذناب البقر وتركوها تنحدر من قمة جبل وعر، اعتقادا منهم بان تلك النار سوف تستنزل عليهم الغيث، وبينما كانت الابقار تندفع نحو السفح في خوار وضجيج كانوا يرفعون أصواتهم بالصلوات والأدعية(٢٨).

ومثل هذا الأمر يرينا أن العرب ربطت بين أشياء عدة في مثل هذه الطقوس، حيث اعتقدت

أن النار لها علاقة بنزول الغيث وفي الغيث والنار يكون الناس شركاء، فنرى النار والماء والعشب من مكونات الحياة الأولى وإلى نهايتها. وكذلك الربط بين خوار البقر والاستسقاء والدعوات والصلوات التي يهتفون بها. كل ذلك يؤكد أن الصلاة بين الميثولوجيا الإنسانية أصلها واحد، وربما كان لهذا الاعتقاد أثر في العرب، وفي ترسيخ مقولة أن الأرض موضوعة على قرني ثور. وهنا تكمن العلاقة بين البقر التي تلتهم أجسادها النيران وبين الثور الذي يحرك قرنيه، ومن هنا تتم عملية التناغم فينزل المطر كما اعتقادهم. وصلاة الاستسقاء لم تزل قائمة في معتقداتنا القائمة. إلا أن اليهود ما زالوا يستخدمون قرن الثور في عملية الاستسقاء بمعنى أن استسقاء اليهود في أيامنا لم يزل مرتبطاً بالميثولوجيا القديمة أي أن للبقر علاقة بها. وهم بذلك يقلدون القدماء ويخرجون أصواتاً تشبه خوار الأبقار وصيحاتها إلى حد ما باثين مشاعرهم إلى الله كي يستجيب لهم وينزل غيثه من السماء، فعملية المواءمة بين منطلقات السماء ومعتقدات الناس في الأرض قائمة منذ الأزل. ولم يقتصر الأمرُ على خلق العلاقة بين الشمس والقمر والثور، وإنما امتد الأمر ليشمل الكواكب الأخرى، فكوكب الزهرة ارتبط عند العرب وجعلوه " الأم العربية الكبرى، وكانوا يعبدونه لدى ظهوره ويسمونه " العزى " كما كانوا يتفاءلون لرؤيته ويعتقدون بقدرته على جلب الحظ وإشاعة السرور والسعادة، ونسبوا إليه دوافع العشق والجنس عند البشر وأسموه كوكب الحس(٢٩).

والعرب بحسهم هذا ومعتقداتهم لم يكونوا بعيدين عن طروحات أجدادهم العرب ومعتقداتهم في أرض الرافدين وجنوب الجزيرة العربية، لأن ما كان يعرف بالعزى عند الجاهلين هو نفسه المرأة الجميلة الفاتنة التي تعيش على الأرض قبل أن تصعد إلى الأجواء العليا، وتؤول إلى ذلك الكوكب الأحمر البراق عند البابليين. وهذا ما نجده عند الطبري صاحب التفسير عن الملكين "هاروت وماروت" عندما عمد إلى تفسير الآية الكريمة التي تحكي قصة الملكين المذكورين "واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان. وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من احد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ما له في الآخرة من خلق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون "(٣٠).

ان هذه الآية الكريمة وغيرها من الآيات في سورة البقرة لم تخبرنا بأي حال من الأحوال عن طبيعة وكيفية العلاقة بين الملكين والناس. إلا أن الطبري أفاد من معتقدات الناس المتداولة

وقد دونها، وكأنه وضع حالة من المقارنة بين فهمه للنص وبين المعتقدات المتداولة كي يوصلنا إلى أن هذه المعتقدات لم تكن بعيدة أو غريبة عن الفهم العربي وثقافته. فكما أورد الطبري أن الملائكة أخذت تشكو فجور البشر وضلالهم بعد آدم، فأراد الله ابتلاء الملائكة فأرسل ملكين من أكثرهم نقاوة هما هاروت وماروت وأنزلهما إلى الأرض ليأمرا بالمعروف وينهيا عن المنكر. ولكن امرأة فائقة الحسن والجمال عرضت لهما فاقبلا عليها وراوداها عن نفسها فأبت، واشترطت عليهما الخروج عن دينهما وعبادة الأوثان، فامتنعا ثم أتياها ثانية فتمنعت واشترطت عليهما ارتكاب معصية من ثلاث، فإما عبادة الأوثان، أو قتل النفس أو شرب الخمرة، فاختارا شرب الخمرة فسقتهما حتى لعبت برأسيهما فواقعاها. وهنا مرّ رجل، فخافا افتضاح أمرهما فقتلاه ثم انهما أرادا العودة إلى السماء فما استطاعا، فطلبت منهما المرأة تعليمها الكلام الذي يصعدان به إلى السماء ففعلا، فعرجت ولكنها بقيت معلقة هناك على هيئة كوكب الزهراء[٣١].

غاية المعرفة ووسائلها في تعرف الوجود المطلق:

تؤكد هذه القصة على تفرد الله بالمعرفة المطلقة، والعلم بالغيب. وهذا يعيدنا إلى مسألة خلق آدم عندما أعطت الملائكةُ رأيها، حيث وصفته- أي الإنسان- بالإفساد وسفك الدماء، إلا أن الله قد أكمل إرادته في خلق الإنسان، وهنا أيضاً نرى أن طبيعة الإنسان مختلفة عن طبيعة الملائكة. وكأنا نتلمس التوكيد المقصود وهو أن الملائكة لا تعلم إلا بما علمها اياه الله، وقد نتلمس بصيصا يتم به التفريق بين حياة الدنيا وحياة الآخرة، فاللذة الدنيوية هي غير اللذة في الآخرة.

فاللذة الدنيوية متشعبة وقد خبرها الإنسان وحاول تطبيقها بكل مقوماتها، وإن اختلف الناس في ذلك تبعا للعرف والتقاليد، والقيم التي غرسها الإنسان في حياته من خلال تطور مراحله العمرية والثقافية. بذلك بدأ الإنسان يبحث عن المطلق في الحياة، وقد ظهرت هذه المسألة من خلال رسومات وتأملات الشعوب كلها، حتى أن صفة المطلق قد انتقلت لدى متصوفة المسلمين وجعلوها مقترنة بذات الله سبحانه وتعالى " واعلم أبده عين أزله وأزله عين أبده، وهما وضعان لله أظهر عنهما الإضافة الزمانية لتعقل وجوب وجوده، وإلا فلا أزل ولا أبد، كان الله ولا شيء معه، فلا وقت له سوى الأزل الذي هو الأبد، الذي هو حكم وجوده باعتبار مرور الزمن عليه، وانقطاع حكم الزمن دون التطاول إلى مسايرة بقائه.

فبقاؤه الذي ينقطع الزمان دون مسايرته هو الأبد فافهم . . . . "(٣٢) .

وهذا ما عناه ابن العربي لكن جاء التعبير بصورة أخرى عن دائرة الحق والخلق فيقول " دائرة الوجود أولها حب وافتراق وآخرها حب وتلاق ، محورها الحق ومحيطها ما لا يحصى من مجالي الوجود, الكل يخرج من المركز والكل يعود إليه "(٣٣) .

فالحب أول ما خرج من دائرة العماء المغلقة ، وبه تم خلق العالم ، وبذلك تم التلاقي من خلال المرار الأعظم ، وهكذا تبدأ عملية الخلق ؛ أي أن الحب هو الدافع للانبعاث والخلق والالتحام بالأصول ، ومن ثم الذوبان في الشيء الأصلي ، فكأنا نتلمس من قول ابن عربي . إحالة إلى الآية الكريمة في سورة الرحمن " كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذي الجلال والإكرام "(٣٤) . وكأن الحب هو أس الحياة فهو الذي يرينا طريق الصواب ، حيث يلتحم الإنسان بالذات الإلهية ومن ثم يعود كل شيء إلى أصوله بوساطة التحلل والتلاشي . ولا يبقى في الوجود غير الله ممثلا بوجهه الكريم الذي يفوق كل شيء حسنا وبهاء . وذلك أصبح دافعا لدى الناس ان يعبروا عن حبهم بطرائق شتى ، حتى يشخص الرقص ظاهرا في الحياة ، ويتمثل الرقص الديني كوسيلة تعبيرية التصاقية بمحبة الله ورسوله الكريم . وما الحركات التي تقوم بها الفرق الاسلامية في رقصاتها الا تعبير عن هذا الشيء . لذا فقد " لخص الرقص الديني لدى بعض فرق المتصوفة المسلمين ، هذا السعي الروحي للوصول إلى المطلق بإدراك سر الدائرة وسر الحركة الدورانية للسواتيكا ، ففي طقوس فرقة " المولوية " التي أسسها جلال الدين الرومي في القرن السابع الهجري وما زالت حية إلى اليوم في تركيا وسورية ، يقوم الراقص على إيقاع الدفوف بالدوران على قدم واحدة باسطاً ذراعيه اللذين يرسمان حوله دائرة يضع نفسه على محورها ، وبتسارع الحركة يرحل من محيط الدائرة إلى مركزها الظاهر نحو الباطن من محيط الخلق إلى مركز الحق إن ما يقوم به الصوفي بالدوران حول مركز الحق الذي يتلمسه في داخله ، إنما يقوم به كل مسلم يؤدي فريضة الحج عندما يدور حول الكعبة مركز الحق الذي يتلمسه أهل الظاهر في الخارج(٣٥) .

فعملية الرقص هذه ليست جديدة عند الناس بمعنى أن المتصوفة المسلمين لم يكونوا أصحاب اختراع لهذا الدوران حول الذات واليدان مفتوحتان مع الذراعين لتشكل دائرة مركزها الإنسان أو الذات المحبة لذات الله ، حيث يتعانق الراقص والذاكر لله مع الله في هذه اللحظات . ومثل ذلك قد فعله السيد المسيح –عليه السلام– وان رفضته الكنيسة فيما بعد ، ففي الإصحاح الرابع والتسعين وما يليه تقرأ أن السيد المسيح قبل أن يسلم نفسه ، قد جمع حواريه الاثنى

عشر لرفع صلاة للإله الرب، وتأدية رقصة دورانية كان هو قائدها، من كلماته في تلك الصلاة " دأب الألوهة الدوران، سأنفخ في المزمار لترقصوا كلكم دورانا . . من تقاعس عن الرقص فانه سرُّ هذا الاجتماع " وبعد الانتهاء يمضي السيد إلى المحاكمة والصلب ويتفرق الحواريون. أما يوحنا فيأوي إلى كهف في جبل الزيتون يبكي، وفي الساعة السادسة للصلب يخيم الظلام على الأرض كلها، ولكن المسيح يتجلى ليوحنا فيضيء الكهف ويتوجه إليه بالكلام قائلا: بالنسبة للحشود المجتمعة هناك أنا مصلوب وأوخز بالرماح أتتجرع الخل والمرار. . ولكن الصليب الذي ستراه وأنت هابط ليس هو الصليب. . ولست أنا من تراه معلقا على الخشبة "[٣٦].

فالرقص بشكل عام قد استخدم للتعبير عن انفعالات الإنسان وإظهار ما تستبطنه النفس من قيم ومكنونات حتى غدا التعبير بالرقص متنوعا ومتشعبا، إلى أن دخل باب الطقوس الدينية، حتى احتفظت به الديانات الشرقية كلها تقريبا، وغدا ملمحا بارزا للتعبير عن التقارب بين الذات الإنسانية والذات الإلهية وبالذات تلك الحلقات الدائرية التي كانت تقام ولم تزل إلى يومنا هذا. والرقص لم تحتكره عقيدة معينة أو طائفة بذاتها وإنما هو وسيلة تعبيرية ترفيهية شائعة لدى الطوائف المسيحية الشرقية وبعض الفرق الإسلامية، وخاصة تلك التي انتهجت بعض الطرائق للتعبير عن ذاتها بعد اتخاذها التكايا معلما من معالمها. ولم نزل نحن في أيامنا نشاهد تلك الرقصات المصاحبة للدفوف والرقائق النحاسية المسماة بالكؤوس مع تمايل أعضاء الجسد والانغماس الكلي مع اللحن الصادر والإيقاع المطلوب.

ولم ينفصل العامل الجنسي عن العوامل الأخرى التي نظر إليها الإنسان وتمحصها، علما أن الظواهر والعوامل الكونية التي تخلق أثراً في الذات الإنسانية قد ربطها الناس بالقوة الخفية، تلك القوة التي تسيطر على نواميس الحياة وقوانينها، بمعنى أن كل محصلة في الحياة قد ربطها الإنسان بالقوة الخفية الغيبية. ولا يشذ عن تلك القاعدة الإنسان نفسه فغرائزه وعواطفه ودوافعه تجد أصلها وفاعليتها مرتبطة بفاعلية إلهية، ولا يستثنى من ذلك الدافع الجنسي. لأن الإنسان ربطه بالمستوى النوراني الأسمى، وعدّه قبسا إلهيا، ففي العملية الجنسية "يتجاوز الإنسان شرطه الزماني والمكاني ليدخل في حال هو أقرب ما يكون إلى الآن الأبدي، فينطلق من ذاته المعزولة ليتحد بقوة كونية تسري في الوجود الحي، يفتح مخزون الطاقة الحبيسة لترجع إلى مصدرها الذي منه شعت وفي أجساد الاحياء أودعت. لم يكن الفعل الجنسي متعة فردية ونشاطاً شخصيا معزولا بل طقسا يربط الإنسان المتناهي بالملكوت اللامتناهي. عبادة يكرر

فيها الفرد على المستوى الأصغر، ما قامت به القدرة الخالقة على المستوى الأكبر . . .[٣٧].

فالمتبع يرى أن القدماء قد بنوا معابدهم الخاصة بالحياة الجنسية، وجعلوها مقدسة لا يجوز المساس بها أو إلحاق الأذى بروادها. والنصوص الأدبية القديمة مليئة بهذه الأمور مما يؤكد أن الجنس- كان ولم يزل- يشكل حالة لها قداستها وقيمها عند الناس، إلا أن الناس مختلفون في التعبير عن نوازعهم الجنسية كل حسب معتقده وثقافته، وملحمة جلجامش ترينا ما يصبو إليه، إذ تقع الإلاهة في حب البطل الذي هو نصف إله فيكون الحوار بينهما.

تعال يا جلجامش وكن حبيبي
هبني ثمارك هدية
كن زوجاً لي وأنا زوجا لك
ولكن جلجامش يدير ظهرا لحب الإلاهة ويأخذ في تعداد مثالبها وتهتكها:
أي حبيب أخلصت له الحب إلى الأبد؟
تعالي افضح لك حكاية عشاقك:
على تموز زوجك الشاب
قضيت بالبكاء عاما اثر عام
أحببت طائر الشقران الملون
ولكنك ضربته فكسرت له الجناح
وها هو في القيعان ينادي: وا جناحي
أحببت الأسد، الكامل القوة
ولكنك حضرت له مصائد مسبقا
أحببت الحصان السباق في المعارك
ولكنك قدرت عليه السوط والمهماز والأحزمة
أحببت راعي القطيع
ولكنك ضربته فمسخته ذئباً
يلاحقه أبناء جلدته
وتعض كلابه ساقيه
أحببت ايشولاتو بستاني نخيل أبيك
فضربته فمسخته خلداً.

فان أحببتني، ألا يكون نصيبي منك كهؤلاء؟[٣٨]

هذا ما يأخذه الذكر على الأنثى. وكأنا نحس أن المحبوب من طرف عشتار والرافض اتباع غرائزها يريدها صادقة غير متذبذبة في مشاعرها، ولا متجنية على أحد، ويرى في ذلك فضيلة عالية من طرف الرجل تجاه المرأة، وقد يكون الجنس بذلك طريقا أو مسلكا للصعود إلى الملكوت الأسمى، وهذا ما جاء في الحديث المروي عن الرسول عليه الصلاة والسلام " عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن أناساً قالوا يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم قال: أوليس قد جعل الله لكم ما تتصدقون به؟ ان بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، قالوا يا رسول الله أيأتي أحدنا شهوته، ويكون له فيها أجر؟ قال: أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر "[٣٩].

فالجماع الحلال له صدقته المؤكدة كما ورد عن النبي، ومثل هذا يأتي من باب وضع الأمور في مراتبها أي وضع الأسس كي يقنن الجنس من خلالها وبها، وهذا نابع من نبي أو صادر عن نبي، اما الجماعات الأخرى قبل الإسلام أي الحضارات القديمة، فكانوا يمارسون الجنس بشكل جماعي وذلك لبعث روحية الخصب والنماء في الحياة، حتى تشكل مدادا في القوة الاخصابية وكانت الممارسات الجنسية تجري في الأعياد، والمناسبات الدينية، وهذا ما عرف بالبغاء الجماعي عند اليونان والرومان، واستمر ذلك حتى أننا نجده عند بعض القبائل والشعوب الآن. مثل هذه " الطقوس الجنسية ما زال قائما لدى كثير من الثقافات البدائية، ففي بعض الجزر الواقعة غربي غينيا الجديدة وأجزاء من شمال استراليا يعتقد الأهالي بان اله الشمس المذكر يهبط من عليائه مرة كل سنة ليحض آلهة الأرض المؤنثة، وذلك قبل بدء موسم الأمطار، فيتجمعون رجالاً ونساء تحت شجرة التين حيث يعتقدون ان الجماع الالهي يتم هناك، ويمارسون الجنس الجماعي الذي من شأنه حث الطبيعة على إطلاق خيراتها الكامنة، فيهطل المطر وتنبت الأرض وتتكاثر الماشية وتخصب أرحام النساء ويجري الطقس في جو ديني رصين، لا يوحي برغبة المشاركين في إرضاء نوازعهم الجنسية الفردية[٤٠].

ومثل هذا الأمر كانت تمارسه إحدى الفرق المسيحية الغنوصية السورية. وهذا ما نقله القديس إيفانيوس، اعتقادا من الفاعلين أن ذلك دم المسيح. وكذلك يفعلون مع النساء الحائضات، وذلك تفسيرا خاصا منهم لما ورد في سفر رؤيا يوحنا على لسان المسيح عليه السلام " واراني نهرا صافيا من ماء حياة لامعا كبلور خارج عن عرش الله، وعلى النهر هنا

وهناك شجرة حياة تضع اثنتي عشرة ثمرة، وتعطي كل شهر ثمرها وورق الشجر لشفاء الألم[٤١].

ورأى بعض الباحثين أن السيدة العذراء ما هي إلا الأم الكبرى التي تتجسد فيها الأنوثة الأبدية وهي صاحبة السلطان الفاعل في خلق الحياة وديمومتها، بمعنى أن الحياة الغريزية تمثل في السيدة العذراء لانها تمثل الأم الكبرى السرمدية في ذاتها وفلسفتها " فمريم العذراء التي ظهرت في فلسطين وعاشت هناك عددا من السنين ليست الا تجليا في المكان للأم الكبرى مريم الموجودة قبل الزمان وقبل المكان والتي ستبقى بعد فناء المكان وتوقف جريان الزمان. . "[٤٢]

الأنماط التعبيرية عن المعرفة:

من هنا نستنتج أن تطور المعرفة عند الإنسان جعلها في تناول يد الناس جميعاً، وأصبحت متداولة تداولا ينم عن تفاعل مع ديمومة في العطاء، أي أن كل مجتمع يفيد من الحياة بمسألة معينة قد يضيف عليها أو يحورها كي تتلاءم مع قيمه أو ذوقه وثقافته وغير ذلك، لأن تطور الإنسان إلى جماعات أدى إلى اتساع العلم والمعرفة من خلال اتصال كل جماعة بالجماعات الأخرى حتى نرى طرائق تعبيرية مختلفة. فمن الناس من ينظر إلى المسألة من منظار فلسفي، والآخر تأخذه الدهشة ويتملاه العجب، والآخرون قد يبحثون عن الأسباب والمسببات لخلق الظواهر ومجرياتها، مما جعل الشعوب تتطور شيئا فشيئاً، كي تنتقل البشرية من الحياة البدائية إلى الرعوية ومن ثم إلى الاستقرار الذي أوجدته النظم الزراعية. وفيما بعد التجارة التي قاربت في العلاقة بين الناس ووحدت بعض المجتمعات حسب المصالح المتبادلة وكذلك قربت المسافات، مما أدى إلى وفرة المال والسلع على حد سواء.

كل ذلك جعل العلاقة تتوطد بين أفراد المجتمع ومن ثم بين المجتمعات التي كانت القبيلة تشكل نواتها، مما حدا ببعض المهتمين التفرغ لنقل الأخبار وتسجيل ما يدور في حب الحياة وصعابها، لأن لحظات التوجس والتعجب والريبة أصبحت لا تكفي أو لا تغني عن الأمر شيئاً. لذلك بدأت ظاهرة القصاصين تتجذر وتتسع كي تشمل شريحة أكبر، بمعنى تخدم شريحة واسعة من الناس التواقين للسماع والمتشوقين للتجدد أو الترويح عن الذات. لان مهام القصاص أصبحت متسعة كما هي الحياة، مما حدا بالناس إلى حفظ أسماء القادة والبارعين والعظماء الذي سجلوا قيما وتضحيات جساماً. وهذا الأمر لم ينحصر فقط بما

يخص الكبار، وإنما امتد ليشمل الأحداث العامة والأحداث المهتمة في تطور الشعوب ومسيرتها. لذلك أصبحت الوسائل تتلاءم مع الواقع، فإذا كان الواقع ساذجا أصبحت الحالة التعبيرية ساذجة. وإذا تطورت الحياة بقيمها ونظامها المتكامل نجد الوسائل الترفيهية والتعبيرية قد تطورت هي الأخرى، فمن الحكاية البسيطة التي كانت تسرد على نطاق أسرة بسيطة التكوين والتركيب وبطريقة تكاد تكون مبهمة إشارية أم تعبيرية، بوساطة لغة معينة، إلى الرسم والحفر اللذين يشكلان معبراً للوصول إلى الحقيقة المقصودة والمرادة. ولكن مع تطور ملامح المعرفة وتأصلها في العقول والنفوس أخذت عقلية الروي تشحذ خياله، فيعطي الخيال حرية تتم عن قصد مراد كي يلبس المتحدث الحدث ألوانا من التفاصيل والثنايا الجديدة التي تستقطب عواطف الناس وأفكارهم، مما جعل حالة المناورة والمناضلة تظهر بين القاصين والرواة حتى ينعكس ذلك على الأعمال التي تقدمها الجماعات أو القبائل أو الأفراد الأبطال الذين وضعوا في عقولهم وقوة أجسادهم خدمة لمصلحة الجميع. لذلك حفظ لنا التاريخ سيرة مصلحين ومفكرين وأبطال حروب دون النظر إلى قوميتهم وأعراقهم وعقائدهم، بذلك نتعرف على زرادشت وسيف بن ذي يزن وعنترة بن شداد وغيرها من السير التي تأثرت بثقافات الشعوب كما هي ألف ليلة وليلة. ولم يكتف الناس بسرد سير الملوك والعظماء وإنما دخلت الحكاية الخرافية طريق السرد والإخبار، حتى تحول الأمر من الأناشيد البدائية الأولى التي استخدمت تقربا للقوة الغيبية إلى حكايات السحر والشائعات ومن ثم أساطير الآلهة وسيرتها، وتصوير قوى الطبيعة التي تزخر بالأسرار، وبما هو بعيد عن الإدراك.

كل ذلك أدى إلى خلق حالة التقبل من سرد الحقيقة المجردة إلي مجريات الأمور والقصص البدائية. ومن ثم إلى الأسطورة فالتاريخ بقصصه حتى يصل الأمر إلى القصص الخيالي الذي عرف فيما بعد بالأدب والقصص الشعبي، مع المرور بمراحل التصفية والخلاص من الزوائد.

الخاتمة

بعد أن شخصت هذه الدراسة في النور اتضح لنا أن المعرفة الإنسانية متشعبة التوجهات، راسخة الجذور في عمق التاريخ، وقد تطورت واتسعت باتساع أفق الإنسان ومثابرته، لذا تعددت مصادر المعرفة لديه، إن كانت تلك المصادر دينية أم ابتكارية أم اقتباسية من المحيط والآخرين، بذلك تعمقت صلة الإنسان بمحيطه وتفاعل مع موجودات الكون المتعددة، حتى غدا يتعامل مع المحسوسات والمجردات ومن ثم توجه صوب التفاعل مع النفس والروح والغيبيات حتى أيقن أهمية الدين والمعرفة الإلهية، إذ اتخذ السحر وأعمال العرافين مدخلا لمعرفة الذات الخفية حتى أيقن حقيقة الخالق بفطرته السوية وجاء تأكيد ذلك بوساطة الأنبياء.

الهوامش

١ . القرآن الكريم سورة البقرة آية : ٣٠

٢ . البقرة، الآية : ٣٥

٣ . العراق في التاريخ، مجموعة من الباحثين العراقيين، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٣ ص٢٢

٤ . الأنعام، الآية : ٤٥

٥ . النجم، الآيتان : (٥٠-٥١)

٦ . الحاقة، الآية : ٨

٧ . الفرقان، الآية : ٣٨

٨ . ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء طبع جوزيف هيل لندن ١٩١٦ ص٨ عن طبعة مصورة بيروت .

٩ . نقلا عن : في أدب الأطفال، دكتور علي الحديدي، مكتبة الانجلو المصرية ط٢ ١٩٧٦ ص١٤ .

١٠-الكزاندر هجرتي كراب، عالم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، دار الكاتب العربي القاهرة ١٩٦٧ ص٢٠-٢١ .

١١-المائدة، الآيتان : (٣٠-٣١)

١٢-فراس السواح، لغز عشتار الألوهية المؤنثة، واصل الدين الأسطورة-ط٥ ١٩٩٣، توزيع دار علاء الدين دمشق، طبع مطابع العجلوني دمشق، سوريا ص١١٨-١١٩

١٣-د. سهير القلماوي، ألف ليلة وليلة، مطبعة دار المعارف -القاهرة ١٩٦٦ص١٣١-١٣٢ .

١٤-التوراة- سفر التكوين ٦ : ٥-٨ .

١٥-سفر التكوين ٨(١٧-٣٤)

١٦-د. فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع السمأوية، مطبعة أوفيست الاخلاص، بغداد ١٩٧٥ ص١١٢ .

١٧-المصدر نفسه ص١١٣ .

١٨-سورة الأنعام، الآيات : ٧٤-٧٧ .

١٩-د. محمد صقر خفاجة، أساطير اليونان، ج١ ط١ القاهرة ١٩٥٣ ص١ .

٢٠-البخاري، شرح صحيح البخاري، ج ،٧ المطبعة الميمونية مصر ١٣٢٦ه ص٨

٢١-نقلا عن : في أدب الأطفال دكتور علي الحديدي ص٢٢

٢٢-سفر التكوين الإصحاح الأول (١-٢) .

٢٣-فراس السواح، لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة ص٧٨ .

٢٤ . سفر التكوين : الإصحاح الأول : (٣-٤) .

٢٥ . سفر التكوين الصحاح الأول (١٤-١٩) .

٢٦ . انظر فراس السواح، لغز عشتار- ص٨٣-٨٤ .

٢٧. فراس السواح، لغز عشتار- ص١٣٤.

٢٨. محمود سليم الحوت، الميثولوجيا عند العرب، دار النهار، بيروت ١٩٧٩ ص١١٧

٢٩. محمود سليم الحوت، الميثولوجيا عند العرب ص٨٩.

٣٠. سورة البقرة الآية -١٠٢.

٣١. انظر: تفسير الطبري، تفسير الآية ١٠٢ من سورة البقرة المطبعة الميمنية القاهرة.

٣٢. الشيخ عبد الكريم الجبلي، الإنسان الكامل. في معرفة الأواخر والأوائل ج١ ص١٠٣.

٣٣. محيي الدين بن عربي - الفتوحات المكية ج١ص٢٢٠

٣٤. سورة الرحمن- الآية (٢٦-٢٧)

٣٥. لغز عشتار ص١٧٣.

٣٦. نقلا عن لغز عشتار ١٧٣

٣٧. لغز عشتار ص١٧٨

٣٨. فراس السواح، ملحمة جلجامش دار الكلمة بيروت ١٩٨١ ص٩٧-١٠٠

٣٩. النووي- رياض الصالحين، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي، القاهرة ص٧٥.

٤٠. نقلا عن لغز عشتار ص١٨٩

٤١. سفر رؤيا يوحنا، الإصحاح ٢٢: ٢

٤٢. د. الأب متري هاجي اثناسيو، الموسوعة المريمية دمشق ١٩٨٢ ص٣٢٨.

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم
٢ - الكتاب المقدس
٣- الاب متري هاجي اتناسيو، الموسوعة المريمية، دمشق، ١٩٨٢
٤ - ابن سلام الجمحي، طبقات الشعراء، طبع جوزيف هيل لندن، ١٩١٦
٥ - الكزاندرا هدرتي كراب، عالم الفلكلور، ترجمة رشدي صالح، دار الكاتب العربي، القاهرة، ١٩٦٧
٦ - البخاري، شرح صحيح البخاري، ج١ ط١ القاهرة ١٩٥٣
٧- سهير القمأوي، الف ليلة وليلة، مطبعة دار المعارف، القاهرة ١٩٦٦
٨- الشيخ عبد الكريم الجبلي، الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل، ج١ لبنان، د.ت
٩ - الطبري، تفسير الطبري، المطبعة الميمنية، القاهرة.
١٠ - النووي، رياض الصالحين، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي، القاهرة
١١ - فاضل عبد الواحد علي، الطوفان في المراجع المسمارية، مطبعة أوفيست الاخلاص بغداد ١٩٧٥
١٢ - فراس السواح، لغز عشتار الالوهة المؤنثة واصل الدين والاسطورة ط٥ ، توزيع دار علاء الدين دمشق، طبع مطابع العجلوني، دمشق سوريا ١٩٩٣
١٣ - فراس السواح، ملحمة جلجامش، دار الكلمة، بيروت ١٩٨١
١٤ - مجموعة من الباحثين العراقيين، العراق في التاريخ، دار الحرية للطباعة بغداد، ١٩٨٣
١٥ - محمد صقر خفاجة، أساطير اليونان، ج١ ط١ القاهرة ١٩٥٣
١٦ - محمود سليم الحوت، الميثولوجيا عند العرب، دار النهار، بيروت ١٩٧٩
١٧ - محيى الدين بن عربي الفتوحات المكية، ج١ ، بيروت، لبنان

استراتيجيات العامل الفلسطيني من اجل البقاء والتكيف في ظل الإغلاق والحصار الإسرائيلي

شادية عويس مخلوف*

* دائرة ضبط النوعية / جامعة القدس المفتوحة

ملخص

تناولت هذه الدراسة موضوع الاستراتيجيات التي يستخدمها العامل الفلسطيني في سعيه من اجل البقاء، ومحاولاته التكيف مع الأوضاع السياسية والاقتصادية في ظل سياسات الإغلاق والحصار التي تعيشها الأراضي الفلسطينية المحتلة، والتي فرضت على العائلات الفلسطينية إجراءات معينة للتكيف مع هذه الأوضاع غير المستقرة.

واعتمدت الدراسة على حالات محددة ومختارة (عدد من العائلات الفلسطينية) كمحور التركيز، واستخدم أسلوب المقابلات مع الأسر المبحوثة كأداة لجمع البيانات، بالإضافة إلى ملاحظات الباحث مما ساعد على تقديم صورة شاملة وواضحة عن المبحوثين. ومع ذلك فإن أسلوب تكيف كل أسرة يختلف عن أسلوب الأسرة الأخرى في معالجتها للمشاكل التي تواجهها، وفي الطرق التي تستخدمها للتكيف مع هذا الوضع.

وقد توصلت الدراسة الى أن الأسرة ذات المستوى التعليمي (بغض النظر عن الجنس) استطاعت أن تتكيف بشكل افضل من الأسرة التي ليس لديها مستوى تعليمي معين، وأن جميع العائلات لم ترضخ للواقع المرير، وقامت بتكييف نفسها لمواجهة أي طارئ مستفيدة من خبراتها السابقة، وبالنتيجة فان جميع هذه الأسر بحاجة إلى فرص عمل لتخطي الأوضاع الحالية، بالإضافة الى التشريعات التي تحمي العامل في جميع الظروف ومنها الحماية من البطالة وغيرها.

Abstract

This study dealt with the strategies employed by the Palestinian worker in his struggle to survive as well as in his attempts to coexist with the drastic political and economic conditions under the policies of closure and siege being imposed on the Palestinians in the occupied territories. These policies have forced Palestinian families to adopt some measures in order to adapt themselves with these changeable and unsettled situations.

On the other hand, the study focused on a number of Palestinian families which were selected carefully as its subjects. The interview method was employed with these families as the main tool of collecting data in addition to the researcher's observations which ultimately made it possible to present an obvious and comprehensive picture about the subject families. However, the study revealed a distinctive difference in the way each family chose to adapt itself with the problems it was facing.

Moreover, the study showed that the families who enjoyed a higher educational level, regardless of sex, were able to adapt themselves better than those with lower educational level. Besides, all families did not give in to the bitter reality. On the contrary, they adapted themselves to confront any urgency making use of their previous experiences.

The main recommendation which the study suggests is that all families are in need of job opportunities to overcome the present difficult conditions in addition to new legislations which protect the worker in all circumstances.

استراتيجيات العامل الفلسطيني من اجل البقاء والتكيف في ظل الإغلاق والحصار الإسرائيلي

مقدمة

فرضت الظروف السياسية خلال سنوات الاحتلال الإسرائيلي الطويلة على المجتمع الفلسطيني أن يطور أساليبه، ويكيِّف حياته لمواجهة سياسات الاحتلال والتصدي لها، وهو ما تم التعبير عنه في حالة عدم الاستقرار الاقتصادي والسياسي التي يعيشها الشعب الفلسطيني. لقد استطاع هذا الشعب أن يصمد ويحافظ على وجوده تحت الاحتلال طوال السنوات الماضية، فهناك العديد من الإجراءات الاقتصادية والكيفية الاجتماعية المنظمة والعفوية التي استخدمها المجتمع الفلسطيني ليعيد إنتاج نفسه ضمن القيود والمعوقات التي فرضتها إسرائيل منذ اللحظات الأولى لاحتلالها الضفة الغربية وقطاع غزة[١]. وعلى رأسها الحصار العسكري والاقتصادي للأراضي الفلسطينية الذي أضحى سياسة معروفة ومنهجاً متبعاً وثابتاً تطبقه الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة، وقد ازداد ذلك وضوحاً خلال انتفاضة الشعب الفلسطيني الأولى في نهاية العام ١٩٨٧ التي استمرت لسنوات عدة.

وقد تكرر المشهد نفسه في انتفاضة الأقصى عام ٢٠٠٠، ذلك أن ما يجري من أحداث كثيرة في الضفة الغربية وقطاع غزة يؤثر بالضرورة على المناخ الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه الأسرة الفلسطينية التي تعد النواة الأساسية للمجتمع الفلسطيني، فقد انقلب كيان هذه الأسرة، ووجدت نفسها أمام منعطف خطير تواجهه[٢]، وتمثل ذلك فيما فرضته سلطات الاحتلال الإسرائيلي في نهاية شهر أيلول عام ٢٠٠٠، الذي يعد الأسوأ من نوعه من حيث مدته الزمنية وحجم الإجراءات التعسفية والقيود المفروضة. وقد واجهت أسر العمال الفلسطينيين هذا الواقع المرير والمؤلم بأساليب مختلفة، كما أجبرت هذه الأسر على خلق استراتيجيات خاصة بها لإعادة أساليب إنتاجها من أجل البقاء والتكيف في ظل هذه الظروف الجديدة الصعبة.

إن انفتاح سوق العمل المأجور الإسرائيلي أمام القوة العاملة الفلسطينية أدى إلى انخراط أعداد كبيرة ومتزايدة من الفلسطينيين في العمل داخل الخط الأخضر (إسرائيل)، وهذا بدوره استقطب الجزء الأكبر من الأيدي العاملة في محافظة رام الله وباقي محافظات الضفة الغربية وقطاع غزة، وقد تغير هذا كله فجأة وبالتالي انعكس على نمط حياة الأسرة الفلسطينية عندما أغلقت سلطات الاحتلال الإسرائيلي أبوابها أمام العامل الفلسطيني[٣]، ومنعت حوالي ١٤٣ ألف عامل من الوصول إلى أماكن عملهم، فحرموا بشكل مفاجيء من مصدر رزقهم الوحيد.

والسؤال الذي يطرح نفسه في مثل هذه الظروف هو: ما مجمل آليات التكيُّف التي تستخدمها عائلة العامل الفلسطيني العاطل عن العمل لمواجهة هذه الضغوطات الخارجية لإعادة إنتاجها وتمكينها من البقاء؟

وهنا نأتي الى ما يحاول هذا البحث فحصه للتعرف على آليات تكيف الأسرة الفلسطينية مع الأوضاع الجديدة والصعبة التي ما زالت قائمة. وقد اقتضى ذلك تقسيم هذه الدراسة الى خمسة مباحث جاءت على النحو الآتي:

المبحث الأول: يشمل الإطار النظري وتعريف المفاهيم، ويتضمن أيضاً أهمية الدراسة وهدفها والمشكلة التي تبحثها، بالإضافة إلى الفرضيات ووحدة البحث والحقول البحثية. ويتناول المبحث الثاني: المنهجية وما تبعها من وسائل جمع البيانات، وتعريف معايير الدراسة واختيار العينة وصعوبات البحث. أما المبحث الثالث، فيشتمل على لمحة عن العائلات المبحوثة. ويعرض المبحث الرابع استراتيجيات العائلة الفلسطينية للتكيف والبقاء لإعادة إنتاجها، وأما المبحث الخامس والأخير فقد شمل خلاصة واستنتاجات.

المبحث الأول

الإطار النظري

لقد أحدثت انتفاضة الأقصى وما تبعها تغيرات بارزة في واقع الحياة الاقتصادية والاجتماعية لشرائح المجتمع الفلسطيني، وربما كان النصيب الأكبر في هذا التغيير عائداً للظروف الجديدة التي أحدثتها السياسات الاحتلالية مثل الإغلاق والحصار الاقتصادي وما نجم عنهما من منهج حياة مختلف عما كانت عليه العائلات قبل ذلك وخاصة الظروف التي استجدت على عائلات العمال الفلسطينيين الذين كانوا يعملون في إسرائيل، وعلى ضوء ما سبق، فإننا سنتطرق إلى أهم الأدبيات التي ناقشت جوانب من موضوع هذه الدراسة.

توصلت دراسة قامت بها أبحاث المرأة في نابلس عن الأسرة الفلسطينية، إلى أن رب الأسرة هو المسؤول الأول عن إعالة أسرته، لذلك فهو مجدٌّ في العمل لتوفير المتطلبات المختلفة لأسرته، وأظهرت الدراسة كذلك أن مستوى الدخل الأسري يتأثر بعوامل عدة مباشرة وغير مباشرة، ومن ضمن هذه العوامل عدد العاملين في الأسرة، والأجر اليومي أو الشهري الذي يتقاضونه والذي يتأثر بمستواهم التعليمي والمهني.

وعن موضوع العمالة ونسبة الإعالة والبطالة بين أسر مدينة نابلس بينت النتائج ان مجموع العاملين من الأسر المستجوبة بلغ (٢٤٩) شخصاً عمل منهم حوالي (٥٤٪) في القطاع الخاص وهي نسبة أعلى بكثير من النسبة الموازية عند أرباب الأسر العاملين والبالغة (٤١٪)، كما عمل ما يزيد عن (٢٩٪) من مجموع العاملين في أعمال مستقلة كأصحاب عمل، وهي نسبة قليلة مقارنة بأرباب الأسر العاملين، وذلك بسبب عدم توفر الخبرة ورأس المال الفردي لإقامة مشاريع عمل مستقلة، وتشابه توزيع مجموع العاملين على المؤسسات، الأمر الذي يظهر مدى تأثير رب الأسرة على اختيار الأبناء لمهنهم ومكان أعمالهم.

وتظهر الدراسة أيضا أن هناك تغيرات متباينة في استهلاك المواد الغذائية حيث انخفض استهلاك اللحم في الأسر المستجوبة، ويعود هذا الانخفاض الى عدم قدرة العديد من الأسر على شراء كميات اللحوم نفسها التي كانوا يستهلكونها قبل الانتفاضة وبخاصة في ظل انخفاض الدخل، ومن ناحية أخرى تظهر النتائج أن استهلاك الأسماك انعدم عند حوالي (٣١٪) من الأسر المستجوبة، وذلك لصعوبة الحصول على الأسماك من قطاع غزة وعدم استيراد الأسماك الاسرائيلية(٤).

وتستنتج الدراسة السابقة أن هناك تغيراً في عدد وجبات الطعام الأسرية وطبيعتها، ويتأثر حجم الاستهلاك الأسري بعوامل عديدة منها وجبات الطعام، واجتماع العائلة حول مائدة الطعام، فقد ظهر أن (٦٣٪) من الأسر المستجوبة كانوا يجتمعون حول مائدة الطعام قبل الانتفاضة وارتفعت هذه النسبة الى ٧٩٪، وذلك لظروف تتعلق بالعمل وطول غياب أفراد الأسرة عن المنزل وصعوبة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي قصرت فترة غياب بعض أفراد الأسرة عن البيت، وزادت في تواجدهم في البيوت، مما زاد نسبة الأسر التي يجتمع أفرادها حول مائدة الطعام الى (٧٩٪) من مجموع الأسر المستجوبة[٥].

أما بالنسبة لوقت الفراغ فإن وجوده أو عدم وجوده مرتبط بالظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يمر بها المجتمع النابلسي، فهو يطول في حالات البطالة وسوء الوضع الاقتصادي، كما يتأثر كسائر القضايا بدرجة تطور المجتمع المعني.

كما أظهرت النتائج أن هناك بعض التغيرات قد حصلت، حيث أمكن ملاحظة ارتفاع نسبة الذين يقضون وقت الفراغ في الإسهام في التحسينات البيتية، وكانت النسبة من (٣-٤٪) قبل الانتفاضة وأصبحت (١٢ ,٦٪) في أثناء الانتفاضة، وذلك بسبب طول أيام منع التجول والاعتقالات وأيام الإضراب الشامل، وارتفعت نسبة الذين يقضون وقت الفراغ بالأعمال التطوعية، وهناك من كان يقضي وقته في لعب الورق وطاولة الزهر مع الجيران، لوجود علاقات طيبة معهم بحيث يلتقون داخل البيت أو في الحي[٦].

ولم تغفل الدراسة السابقة البحث عن العلاقة مع الجيران في أثناء الانتفاضة فتبين أن هناك تغيراً بنسبة (٤١٪) من الأسر المستجوبة لم يحصل عندها تغير في العلاقة مع الجيران، وربما يعود السبب الى الموقع الجغرافي أو الى الطبقة الاجتماعية للأسرة نفسها بحيث تؤثر هذه العوامل جميعها على إحداث التغير بشكل نسبي، وتبين النتائج أيضا أن العلاقات مع الجيران عادية أو جيدة عند حوالي (٦٠٪) من مجموع الأسر المستجوبة حيث تربطهم علاقات قوية، وهذا يظهر عمق التكافل الاجتماعي الواضح في المجتمع المبحوث الذي يتعرض باستمرار للمضايقات الإسرائيلية، وبالتالي يصبح التكافل والتعاون بين الأسر أقوى وأعم[٧].

ومن منظور البحث السابق فإن أسباب انخفاض نسبة ربات البيوت العاملات تعود الى أسباب عديدة اجتماعية واقتصادية مثل ارتفاع حجم الأسرة وتفرغ ربة البيت لرعاية أطفالها، والتقليل من الاستهلاك المنزلي وغير ذلك من الأسباب التي لا تشجع خروج المرأة للعمل في ظل ظروف بطالة مرتفعة للرجال[٨].

وحول الموضوع نفسه يستنتج الدكتور مجدي المالكي من دراسة أعدها عن مخيم الجلزون أن الانتفاضة عززت في كثير من المجالات واقع المرأة السلبي، حيث جرى عزلها عن النشاطات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية خارج المنزل، فتقلص دورها في العمل المنتج خارج البيت، وتقلص دورها في النشاطات النسوية لتسهم في زيادة مشاركتها في الأعمال المنزلية، ودعم اقتصاد العائلة من خلال ترشيد الاستهلاك المنزلي والتضامن والتعاون مع الأقارب والجيران.

وتشير الدراسة التي أجراها كل من المالكي وشلبي عن التحولات الاجتماعية والاقتصادية في ثلاث قرى فلسطينية إلى قيام المرأة في الأسر الريفية بأدوار اجتماعية واقتصادية جديدة، الأمر الذي جعلها تتناقض مع بعض محددات القيم الاجتماعية القديمة، التي تراجعت في كثير من الأحيان تحت وطأة الحاجة المادية.

ومن الاستراتيجيات التي اتبعتها أسرة العامل الفلسطيني المتضررة من أجل إعادة إنتاجها تؤكد الدراسة السابقة أنه طرأ تغيير على أدوار المرأة الإنتاجية داخل العائلة، فالرجل انسحب من بعض النشاطات التي كانت مسندة إليه كحقل الزراعة مثلاً في حين أوكلت بعض هذه النشاطات الى المرأة.

أما بالنسبة للمستوى التعليمي، فقد لاحظت دراسة المالكي وشلبي أيضاً أن العمال الفلسطينيين في إسرائيل معظمهم من كبار السن أو أنهم أميون، ولكن معظم حملة الشهادات الجامعية والمعاهد المتوسطة يلتحقون بالعمل في إسرائيل خلال العطل والإجازات الرسمية، وخاصة أن معظم هؤلاء يعملون في قطاع التعليم, ولديهم إجازات طويلة خلال السنة[٩].

ويلاحظ من الدراسة إن نسبة المتزوجين من أرباب الأسر مرتفعة لدى المستخدمين في المشاريع الإسرائيلية من قريتي المزرعة وخربثا، ولهذا فإن غالبية العمال في القريتين يشاركون عائلاتهم الأصلية مساكنهم، ويعود السبب في ذلك الى عوامل اجتماعية واقتصادية.

واستنتجت دراسة المالكي وشلبي أن العمل في إسرائيل يقتصر على أولئك الذين ليس لديهم دخل خارجي آخر كمساهمات خارجية من المهجر، وساعد ذلك على خلق نوع من الحراك الطبقي حيث احتل العمال مكانة اقتصادية واجتماعية متدنية إذا ما قورنت مع المكانة الاقتصادية التي احتلتها العائلات المعتمدة على العائدات من المهجر، وانسجاما مع ذلك فأن هيبتهم الاجتماعية أصبحت متدنية.

وتضيف الدراسة أيضاً أن قرية خربثا ترى في العمل داخل إسرائيل مصدر رزق أساسي

لمعظم سكان القرية، ولا يوجد شريحة اجتماعية متميزة عن هؤلاء العمال سوى المعلمين الذين استطاعوا تحسين وضعهم الاقتصادي فالعمل في إسرائيل أسهم في خلق تجانس مهني وطبقي داخلي، خاصة بعد أن استقطب القوة العاملة من كل العائلات والحمايل في القرية[١٠].

كما لاحظت الدراسة السابقة أن هذه الأسر استخدمت أساليب متعددة في مجال التضامن والتعاون من أجل مواجهة الضغوطات الخارجية الناجمة عن الممارسات الإسرائيلية، التي أدت الى انخفاض العمل وازدياد القمع السياسي الجماعي والكوارث المتتالية التي أصابت معظم هذه العائلات. فقد شاهدنا تعاوناً من هذا القبيل في المجال الزراعي برز خلال فترة الانتفاضة عند قطف الزيتون والحصاد، وعلى مستوى الجنسين الذكر والأنثى، وعلاقة التعاون هذه لم تقتصر على الزراعة، بل امتدت لتشمل مجمل مرافق الحياة شاهدناها في المناسبات والأفراح والأحزان حيث تمثلت في تقديم المساعدات المادية والمعنوية للأسر المنكوبة والمتضررة من جراء الممارسات الإسرائيلية التعسفية[١١].

وانسجاماً مع ما سبق ترى دراسة إبراهيم عثمان عن الأسرة في مدينة عمان استمرار المسؤوليات المادية بين العائلات النووية الجديدة والأهل فقد أظهرت هذه الدراسة أن (٥٤٪) من أرباب الأسر يساعدون أهلهم مالياً وأن عدداً كبيراً من العائلات من أصل ريفي لا تزال تستلم المؤن من الأهل [١٢].

وفي دراسة نشرتها (ماس) قام بها الباحثان هلال والمالكي حول استراتيجيات التكيف للمجتمع الفلسطيني، تبين أن هذه الأسر عمدت إلى تشكيل صندوق أسمته صندوق الحمولة هدفه مساعدة الأسر على الاندماج في المجتمع المحلي، كما أنشأت جمعيات توفير من أجل تأمين سيولة للأفراد خارج النطاق المالي الرسمي الأسري، وقد لاحظت الدراسة ازدياد الإقراض التكافلي، حيث كثر تداول القروض دون فائدة ربوية بين الأشخاص على أساس القرابة أو المعرفة الشخصية [١٣]

ويرى عثمان إبراهيم أن الاعتماد على شبكات القرابة يقل كلما تحسن وضع العائلة بمعنى أن الاعتماد على شبكات القرابة يقع ضمن استراتيجيات العائلة للبقاء، حيث تلجأ الأسر للأقارب في حال الأزمات، والعكس صحيح.

وتكشف دراسة هلال والمالكي أن عدداً من الأسر تعمل من أجل تنويع مصادر دخل أفرادها بحيث يسهم كل فرد من الأسرة في تغطية نفقاتها من خلال تنوع المهن وأماكن العمل

(سواء في مناطق السلطة الوطنية الفلسطينية أو في إسرائيل)، كما تعمل الأسرة على استغلال قوة العمل المتاحة لديها بكفاءة اكبر قدر الإمكان في ظل سوق عمل متقلب وغير ثابت، وكشفت الدراسة السابقة عن استراتيجية هدفها تقليص مصروفات الأسرة عند حدوث انخفاض في دخلها لتصبح قاصرة على الحاجات الضرورية اللازمة والملحة. ولجأت الأسر- من اجل ذلك- إلى أشكال متعددة لضغط ميزانياتها كالتخفيف من المشاركة في المناسبات الاجتماعية والاستغناء عن كثير من الكماليات وتقليص أوجه الإنفاق على المتطلبات الأساسية.

وأظهرت الدراسة نفسها أشكالاً أخرى من استراتيجيات التكيف منها مثلاً: تقديم منح غير مستردة أو قروض بلا فوائد تسترد بمرونة عالية، وهذا الشكل يظهر بين الاخوة في الأسر الغنية. وهناك نوعان من الشراكة: الأول، تضامن أو تعاون مشترك لتأسيس مشروع لتكوين رأسمال للعائلة بصورة عفوية. والثاني، تضامن واع ومدروس من طرف أفراد الأسرة الذين يدخلون في شراكة تامة لتأسيس مشاريع مشتركة يعود دخلها وملكيتها للجميع. كما أن العائلة تلجأ إلى استخدام المدخرات التي بحوزتها، سواء النقدية أو العينية[١٤].

ويمكن ان نستخلص مما سبق، أن هناك العديد من الدراسات التي من الممكن أن تعطينا بعض الأجوبة الأولية لمشكلة البحث التي نحن بصدد معالجتها، فهناك دراسات تطرقت للواقع العربي بشكل عام، وقليل من الدراسات التي عالجت الخصوصية الفلسطينية التي أخذتها بعين النظر في هذا البحث.

تعريف المفاهيم

الأسرة: جماعة من الناس يشتركون معاً في المسكن وترتيبات المعيشة، وتربطهم جميعاً صلة قرابة قوية، قائمة على روابط الدم والمصاهرة أو التبني والادعاء.

رب الأسرة: هو الشخص المسؤول عن توجيه سياسة الإنفاق في الأسرة من دخل أفرادها، ولا يشترط ان يكون اكبر الأفراد سناً وقد يكون ذكراً أو انثى[١٥].

انفاق الأسرة: يمكن تعريفة بأنه النقد الذي يصرف على شراء السلع والخدمات المستخدمة لأغراض المعيشة.

استهلاك الأسرة: هو النقد الذي يصرف على شراء السلع والخدمات لأغراض المعيشة.

العامل: هو الفرد الذي يباشر عملاً معيناً سواء كان لحساب غيره بأجر أو لحسابه، أو بدون

أجر لمصلحة العائلة. ويحصل مقابل عمله على أجر سواء كان على شكل راتب شهري أو أجر أسبوعي أو أجر يومي[١٦].

الاستراتيجيات: يقصد بها الخطط والبرامج التي توضع لتحقيق أهداف معينة قد تكون بعيدة المدى أو قصيرة المدى.

البقاء والتكيف: هما مصطلحان مرتبطان معاً، يدلان على قدرة الأسرة على الاستمرار ومقاومة الأزمات والصعاب التي تواجهها خلال فترة حياتها.

الحصار: سد جميع منافذ الضفة الغربية وقطاع غزة عبر الأراضي الإسرائيلية ومنع حركة الأفراد والبضائع بين هاتين المنطقتين سواء فيما بينهما أو مع إسرائيل، أو مع العالم الخارجي مروراً بالأراضي الاسرائيلية[١٧].

إعادة الإنتاج: والمقصود بها أن تخلق الأسرة طريقة أو نهجاً لحياتها يجعلها تتغلب على أزماتها لتستطيع التكيف والبقاء في ظل الظروف الجديدة التي تخترق حياتها.

أهمية البحث

تكمن أهمية إجراء مثل هذا البحث في كونه يكشف عن مستوى الضرر الذي تتعرض له العائلات الفلسطينية بسبب الإغلاق والحصار العسكري، إضافة الى أنه يمكِّن الباحث من معرفة أساليب التكيف والتأقلم التي تتبعها هذه العائلات، الأمر الذي قد يفتح المجال لإصدار التوصيات لهذه العائلات، أو الى الجهات الرسمية للإسهام في تحسين الظروف المعيشية التي تمر بها هذه العائلات. ناهيك عن محاولة معالجة المشاكل الاجتماعية التي قد تنبثق عن مثل هذه الظروف الصعبة.

هدف البحث

تهدف هذه الدراسة الى ما يلي:

- معرفة آثار الحصار العسكري على عائلة العامل الفلسطيني بجوانبها الاقتصادية والاجتماعية.
- معرفة الاستراتيجيات التي تتبناها الأسرة للتكيف في ظل الظروف الصعبة التي تمر بها، وعدم تمكن رب العائلة (العامل الفلسطيني) من الوصول لعمله.

- استصدار التوصيات على ضوء المعطيات الناتجة من البحث لتحسين ظروف هذه العائلات في ظل الظروف الصعبة.

مشكلة البحث

يعنى هذا البحث بالإجابة على التساؤلات التالية:

١. كيف تستطيع أسرة العامل الفلسطيني البقاء في ظل الإغلاق والحصار العسكري الذي فرضته سلطات الاحتلال الإسرائيلي، ومنع العمال الفلسطينيين من الوصول الى أماكن عملهم داخل إسرائيل؟
٢. ما هي الاستراتيجيات التي تستخدمها الأسرة من اجل البقاء والتكيف مع واقعها الجديد لتستطيع أعاده إنتاج ذاتها في ظل هذه الظروف؟وكيف تخلق استراتيجيتها للعيش؟
٣. ما هو تأثير الإغلاق والحصار على العامل الفلسطيني في مدينة رام الله؟

الفرضيات

ونعنى بالفرضيات في أبسط معانيها أنها صياغات احتمالية تتضمن تخمينات ذكية وأيجابات متوقعة وتوجيهات، ويكون الواقع المعاش هو الحاكم الفعلي للتحقق من مصداقية وتحديد المدى الموضوعي لها. مما يجعل هذه الدراسة تأتي للتحقق من بعض الفرضيات التي جرى تكوينها من خلال الاطِّلاع على الدراسات المتعلقة بموضوع البحث. كما أن هذه الفرضيات تعمل على دعم الدراسة وتوجيهها.

الدراسة الحالية تعنى بتأثير أساليب الحصار الاقتصادي التي تنتهجها سلطات الاحتلال، والتي تحول دون وصول العامل الفلسطيني الى مكان عمله الى إسرائيل. فالحصار الحالي المفروض يترك هذا العامل (رب الأسرة) في موقف يجبره على التفكير في البحث عن وسائل أخرى بديلة لتأمين مصدر العيش لأسرته، ويمكن ان نلخص هذه الافتراضات فيما يلي:

- إن حجم الأسرة وتركيبها الديمغرافي (عمر أفراد الأسرة) له تأثير على وضع الأسرة، فهذه المتغيرات لها تأثير واضح على مستوى الدخل، وطرق أنماط الاستهلاك. فالأسر ذات الأعداد الكبيرة تحاول ترشيد الاستهلاك والتقليص من مصروفاتها والاكتفاء في هذه المرحلة الجديدة التي تعيشها بالتركيز اكثر على المتطلبات الأساسية من مأكل ومشرب وملبس.

- حتى تستطيع الأسرة سد الاحتياجات الضرورية للتكيف والبقاء، فأنني افترض أنها ستحول مدخراتها التي تُدَّخر عادةً للحالات الطارئة إلى رأس مال للبدء بمشروع عائلي استثماري صغير قادر على الإنتاج لتأمين مصدر ثابت للعائلة في ظل التقلبات الاقتصادية مثل فتح محل تجاري أو مشغل أو شراء سيارة أجرة . . . الخ، الأمر الذي ينوِّع فرص التشغيل العائلي، ويجنِّب الاعتماد على مهنة واحدة في ظل واقع عدم الاستقرار المهني، كما يتيح فرصة مشاركة أفراد آخرين غير ربِّ الأسرة في الإنفاق عليها وإعادة إنتاجها.

- وسأفترض أيضاً أن الأسرة تعتمد على مساعدات نقدية على شكل عائدات خارجية يوفرها أقاربهم الذين يسكنون داخل البلاد وخارجها. أو تتلقى مساعدات عينية موسمية على شكل هدايا، أو مساعدات من المؤسسات التي تختص بتقديم المعونة أو منح غير مستردة كمساعدة من جهة معينة، وهذا من شأنه رفع مستوى هذه العائلات المعيشي .

- وهناك افتراض يقول إن العمال في إسرائيل هم من الأميين أو من أولئك الذين تسربوا من المدارس في المرحلة الإعدادية، وإن كان هناك من هم حاصلون على شهادات جامعية أو معاهد متوسطة، فذلك عائد - حسبما افترض - إلى البطالة وقلة الفرص المتاحة لهم بما يناسب تخصصاتهم، أو انهم يلتحقون بالعمل داخل إسرائيل في العطل الرسمية لزيادة الدخل لديهم.

وحدة البحث

عائلة العامل الفلسطيني الذي لا يستطيع الوصول الى عمله داخل إسرائيل منذ الحصار العسكري والاقتصادي الإسرائيلي المشدد الذي فرضته حكومة باراك في نهاية أيلول ٢٠٠٠.

الحقول البحثية

١. مدينة رام الله.
٢. عائلات (أرباب الأسر ممن يعملون في إسرائيل).

المبحث الثاني

منهجية البحث

اعتمدت هذه الدراسة على منهج بحث "كيفي" وذلك لأنها تدرس الظاهرة وتحللها ضمن أجوائها الطبيعية، وتركز على دراسة العلاقات الاجتماعية انطلاقاً من حقيقة أن العالم والمجتمع متعدد الظواهر، فهذا الأسلوب من البحث يهتم بالوضع الذي يعيشه الناس، ويقوم بالتحليل من خلال المعاني التي يتضمنها حديثهم عن الظاهرة، ومن خلال فهمهم لها، ويعتبرهم أناسا لهم خصائصهم وصفاتهم المميزة، كما أنه يدرك الأبعاد المتعددة والمختلفة ويحللها، ونستطيع أن ندخل أساليب وتقنيات عدة في آن واحد، سواء على مستوى جمع البيانات أو ترميزها أو تحليلها أو كتابتها وعرضها، كما يتم جمع البيانات وتحليلها في الوقت نفسه.

استخدمت في هذا البحث العديد من الأساليب بهدف الحصول على المعلومات التي تهمني من العينة ,وكانت وحدة البحث (الأسرة) التي اختيرت بشكل قصدي، واستخدمت المقابلات والملاحظات كأداة بحث وقمت بطرح الأسئلة على أرباب وربات الأسر من خلال اطلاعي على الأدبيات والدراسات السابقة.

أما طبيعة الأسئلة فكانت مفتوحة لتتيح الفرصة لأفراد العائلات المبحوثة للتعبير عن أنفسهم، وكان في حوزتي مسجل صغير لتسجيل المقابلات، وقد تم تفريغها بعد كل مقابلة مباشرة، وكانت المقابلات تجري بشكل فردي أو جماعي. وفي حالة حضور ضيوف أو أي طرف آخر لزيارة العائلة كنت أقوم بإنهاء المقابلة، وذلك خوفاً من التأثير على صحة البيانات، كما أنني اعتمدت المقابلات شبة الموجهة ليكون هناك تحديد تقريبي للموضوع ويوجد تدخل نسبي بتوجيه الأسئلة. ودونت كل ما لاحظته في دفتر خاص بالملاحظات بعد المقابلة مباشرة.

وسأحاول من خلال هذه المقابلات الحصول على معلومات دقيقة ومفصلة حول هذه العائلات متضمنة المعلومات الآتية:

١. معلومات وبيانات أساسية عن العائلة، كمعرفة وضع السكن، والمستوى الثقافي والتعليمي لكل فرد من أفراد الأسرة، ومصادر الدخل
٢. علاقة الأسرة بشبكة الأقارب.
٣. تقسيم الأدوار داخل الأسرة.

٤ . كيفية التعامل مع الأزمات
٦ . تأثير الإغلاق والحصار الاقتصادي على العامل الفلسطيني
٧ . التخطيط والتوقعات المستقبلية .

وسائل جمع البيانات:

المقابلات.

كانت المقابلات تجري في منزل العائلة وذلك بترتيب مسبق من خلال الهاتف مع رب الأسرة ، وكانت تدوم من ساعة ونصف تقريباً الى ساعتين فأكثر في كل زيارة، حيث كانت الأسئلة توجه ضمن محاور محددة مسبقاً يتم التركيز عليها ، وقد تتوسع في اتجاه وتتقلص في اتجاه آخر حسب العائلات المبحوثة .

وقد تم تسجيل المقابلات ومتابعتها بعد المقابلة لاستكمال النقص في المعلومات حسب الحاجة ، إلا أن بعض الأسر رفضت التسجيل فكنت أدونها مباشرة ، وفي الزيارات الأولى لكل عائلة كانت المقابلة للتعارف اكثر ولبناء جسور الثقة بيني وبينهم ، أما المقابلات التي تليها فكانت تسير بشكل سلس ومريح للغاية وفي أجواء دافئة كلها مودة واحترام ، وقد تمت عملية جمع البيانات والمقابلات في شهر كانون الثاني وبالتحديد ما بين (٩ -١-٢٠٠٢) و (٢٨-١-٢٠٠٢) وقد تم إجراء تسع مقابلات بواقع ثلاث مقابلات لكل عائلة تتراوح مدتها بين ساعة ونصف الى ساعتين . وقبل البدء في استعراض العائلات المبحوثة أود أن انوه إلى أن أسماء العائلات شبة مستعارة تقريباً من باب الأمانة والحفاظ على المعلومات التي تخص العائلة وحدها وتعد من خصوصياتها التي ليس لأحد الحق في الاطلاع عليها .

الملاحظات

بالإضافة الى استخدام أسلوب المقابلات في جمع البيانات ، فقد استخدمت أسلوب الملاحظة ، وهي مراقبة منظمة تقوم على أسس ومعايير أهمها تحديد الموضوع المراد ملاحظته مسبقاً ، فالملاحظة خلال المقابلات تعطينا صورة شاملة وواسعة عن المبحوثين ، كما أنها تعطينا أبعد مما نراه ، ولاحظت من خلال المقابلات بعضاً من مظاهر اليأس والإحباط تمثلت في البكاء الشديد . وتحول الشعور بالعجز الى انعدام القدرة على التصرف السريع في الظروف الراهنة . وفي إحدى الحالات كانت الأم تضرب كفاً بكف خلال حديثها ، وينخفض صوتها

وتختنق عبراتها لدرجة أنني اضطررت لإيقاف التسجيل لفترة وجيزة لعدم قدرتها على الاستمرار في الحديث. وحين كنت أطرح سؤالاً معيناً، وخاصة فيما يتعلق بالدخل، ولم أتلق إجابة واضحة ومحددة، كنت أعيد صياغة السؤال في قالب آخر وأطرحه مرة أخرى.

كانت العائلات المبحوثة تستخدم كلمات تؤكد إيمانها بالقدرية وتستخدمها لتفسير ما يطرأ على حياتها من تغيير في شتى مجالات الحياة سواء في حادث موت عزيز أو إصابة أحد الأفراد بمرض أو تعطيل رب الأسرة عن العمل. وتعبر عن هذه المعتقدات بالشعور بعدم القدرة على فعل شيء أو الخلاص من المأزق الذي وقعت فيه.

تعريف المعايير

التركيب الديمغرافي للأسرة: والمقصود به عمر أفراد الأسرة.

حجم الأسرة: وهو كم عدد أفراد الأسرة هناك الأسرة صغيرة العدد، متوسطة العدد وكبيرة العدد.

الجنس: ويصنف الجنس الى ذكر وأنثى.

المستوى التعليمي: هو أعلى مؤهل علمي أتمه الفرد بنجاح، ويكون المستوى التعليمي للأفراد من الذين أعمارهم عشر سنوات فأكثر.

الحالة الاجتماعية: ويقصد بها تحديد الحالة الزوجية للفرد التي تعنى حالة الفرد الشخصية التى يكون فيها متزوجاً أو مطلقاً أو أرمل أو لم يتزوج ابدا١٨.

الدخل: يمكن تعريفه بأنه الأجر الذي يتقاضاه العامل من صاحب العمل لقاء ما يقوم به طيلة أيام العمل.

المهنة: والمقصود بها الحرفة أو نوع العمل الذي يباشره الفرد إذا كان عاملاً، أو اذا باشره سابقاً إذا كان عاطلاً عن العمل. بغض النظر عن طبيعة عمل المنشأة التي يعمل بها.

اخترت هذه العائلات لأنها تلبى المعايير التي أخذتها بعين الاعتبار وتتطابق معها. فالعائلة الأولى تلبي معيار الجنس والحالة الاجتماعية والمستوى الثقافي - التعليمي وهذه العائلة أحادية المهنة. والعائلة الثانية تلبي معياري الحالة الاجتماعية والدخل، حيث إن هناك تنوعاً في مصادر الدخل، ولكنها محدودة بسبب الظروف السياسية. أما بالنسبة للعائلة الثالثة، فتلبي معياري الحالة الاجتماعية والدخل بالإضافة الى حجم الأسرة وتركيبها الديمغرافي

حيت يوجد أولاد في سن العمل مما يجلب مصادر متعددة للدخل يجعلها تتكيف بشكل افضل من العائلة التي سبقتها.

لقد اخترت في البداية أربع عائلات من العائلات متوسطة العمر التي لديها أبناء في سن العمل مما يتيح فرصاً اكثر لتعدد مصادر الدخل ولكني وفقت في اختيار ثلاث منها، أما الأسرة الرابعة، فلم أوفق في اختيارها منذ الزيارة الأولى، وذلك بسبب المشاحنات المستمرة بين الزوجين، فالزوجة لا تريد من زوجها التواجد أثناء المقابلة لأسباب تتعلق بشخصيتها التي اعتبرها ضعيفة وهشة في الظاهر والجوهر معاً. والعائلات الثلاث على النحو الآتي:

العائلة الأولى: صغيرة العدد تتكون من الأم والأولاد الذين في سن المدرسة حيث إن الأب متوف، والأم حاصلة على درجة البكالوريوس وهي أسرة مسيحية.

العائلةً الثانية: فهي متوسطة العدد تتكون من سبعة أفراد الأب والأم وولدين وثلاث بنات منهم من هو في سن المدرسة، ومن هو في سن العمل، وهي عائلة مسلمة.

العائلة الثالثة: وهي عائلة كبيرة العدد تتكون من أحد عشر فرداً، حيث ان الأب متزوج مرتين ولديه ولدان وسبع بنات من الزوجتين منهم من هو في سن العمل والإنتاج، مما يحقق التنوع في مصادر الدخل تبعا لفرص العمل المتوافرة لأفرادها وجميعهم يسكنون في بيت واحد، وهي عائلة مسلمة.

عينة الدراسة

تستند هذه الدراسة إلى ضرورة إجراء بحث ميداني في مدينة رام الله على عدد من العائلات التي فيها أرباب وربات البيوت يعملون في إسرائيل وهذه العينة قصدية. وقد استخدمت في دراستها أسلوب دراسة الحالة معتمدة على المعايير الآتية:

- حجم الأسرة.
- تركيبها الديمغرافي (عمر أفراد الأسرة).
- الجنس.
- المستوى الثقافي و التعليمي.
- الحالة الاجتماعية للأسرة.
- الدخل.

والعائلات الثلاث التي سأتناولها كعينة، اختيرت للدراسة والتحليل مع مراعاة النموذجية -كما هي الحالة الدارجة في بلادنا - والتوزيع، فالعائلات مقسمة على مناطق وحارات مختلفة، إضافة الى اعتبارات تتعلق بتجاوب هذه العائلات مع الباحث، اما بالنسبة لنوع التعيين فهو التعيين بكرة الثلج، بمعنى أننا نستطيع زيادة عدد الحالات كلما تعمقنا في الدراسة وشعرنا أننا بحاجة إلى مزيد من الحالات لإغناء الدراسة وإثرائها.

وقد اخترت العائلات من مدينة رام الله لأسباب عدة منها:

١. كوني اسكن في هذه المدينة وأعايش أحداث الحياة في أثناء الحصار الأمر الذي يجعلني أبادر وأبحث عن هذا الموضوع عن كثب.
٢. كون المدينة تتمتع بقدرة كبيرة من التجانس السكاني، وتتميز بدرجة لا يستهان بها من العمال الذين يعيشون التجربة.

سوف استثني في هذه الدراسة المخيمات والقرى وخاصة التي تقع ضمن حدود بلدية رام الله وسأقصر عملي على المدينة، وذلك لصعوبة التنقل بسبب إغلاق المناطق، والحصار العسكري والاقتصادي وعزل المدن والقرى والمخيمات عن بعضها.

صعوبات البحث

- تردد بعض المبحوثين في تحديد الدخل الحقيقي لعائلاتهم.
- تخوف بعض العائلات من أن للبحث علاقة بمصلحة الضرائب.
- بعض العائلات تعتذر عن المقابلة قبل الموعد بساعة بسبب زيارات مفاجئة.
- انقطاع الهاتف مما أدى إلى صعوبة في تحديد موعد للمقابلة.
- عدم تفهم بعض المبحوثين أن البحت للأغراض الجامعية وليس من طرف مؤسسات الدعم المالي.
- التخلي عن عائلة من العائلات المبحوثة خوفا من حدوث مشاكل من قبل الزوجة.
- التردد من بعض العائلات حول موعد المقابلة هل يكون في الفترة الصباحية أو المسائية.

المبحث الثالث

لمحة عن العائلات المبحوثة

يتضمن هذا المبحث معلومات وبيانات أساسية عن العائلات التي تمت دراستها، والتى أسهمت بشكل مباشر في معرفة حجم أفراد الأسرة، وتركبيها الديمغرافي (عمر أفراد الأسرة). كما أبرزت مستوى الحالة الاجتماعية والجنس، إضافة إلى معرفة مصادر دخل الأسرة وأوضاعها السكنية، التي بدورها توصلنا إلى فهم المستوى الثقافي والتعليمي ونوعية الأسر.

أولا: عـــائلـة أم حســـام:ـ

تعد هذه العائلة من العائلات الصغيرة الحجم، فهي تتكون من ولدين وأمهما، أما الأب فمتوفٍّ وهي مقسمة على النحو الآتي.

١. الأب: سمير توفي عام ١٩٩٠ م عن عمر ناهز الثلاثين عاما إثر مرض خبيث أصاب عينه واكتشف بعد خروجه من سجون الاحتلال الإسرائيلي مباشرة، وبعد أن أجريت له عملية جراحية في رأسه في مستشفى المقاصد انتهت بالفشل لسوء الحظ مما أدى الى وفاته بعد مرور أربعة اشهر على خروجه من السجن. كان الوالد في حياته يعمل في أحدى الشركات الإسرائيلية موظفاً في قسم المحاسبة، حيث كان دخله تقريباً أربعة آلاف شيقل، مما كان يضمن للأسرة دخلاً ثابتاً.

٢. الزوجة: ميري وتبلغ من العمر ستة وثلاثين عاماً. أنهت شهادة الثانوية العامة وحصلت على دبلوم في السكرتيريا قبل زواجها، إلا أنها لم تعمل بعد الزواج وبقيت ربة بيت خلال فترة وجود زوجها. إلا أن حياتها انقلبت رأساً على عقب بعد وفاة الزوج، مما أجبرها على الانتقال مع أولادها إلى بيت والدها الذي يسكن وحده في مدينة رام الله، إضافة إلى انه قريب من بيت أهل زوجها.

ومن اجل مواجهة هذا الوضع الصعب والجديد والقاضي بتحمل مسئوليتها لإعالة أطفالها الاثنين، التحقت بجامعة بيرزيت من اجل الحصول على شهادة جامعية تضمن لها العيش بكرامة بعد المصاب الجلل الذي أصابها. وقد تكفل أخوها الأكبر الموجود في الولايات المتحدة الأمريكية بمصاريف دراستها إضافة الى مصاريف البيت ومصاريف علاج والدها الذي كان

مريضاً بسبب كبر سنه .

بعد مرور عام على التحاقها بالجامعة توفي والدها ، وبقيت الأم في بيت والدها لوحدها مع أولادها الصغار حسام وبسام متحملة جميع أعباء المصاريف جميعها ، وقد استطاعت أن تنهي دراستها وحصلت على شهادة البكالوريوس في علم النفس في عام ١٩٩٩ .

٣. حسام: الابن الأكبر ويبلغ من العمر (١٤) عاماً في الصف الثامن الأساسي بمدرسة حكومية .

٤. بسام: وهو الابن الأصغر ويبلغ من العمر (١٢) عاماً في الصف السادس الأساسي في مدرسة الإنجيلية حيث تم تدبير دفع الأقساط من طرف إدارة المدرسة نفسها .

الأسرة ما زالت تعيش في البيت المستأجر الذي كان والدها يسكن فيه وقد ارتفعت أجرته بعد وفاة والدها من (١٥) دينارا أردنيا شهرياً الى (٤٠) ديناراً تدفعها الكنيسة الكاثوليكية كل ستة اشهر حسب عقد الإيجار الجديد بعد أن قلل أخوها تأمين الدعم المالي لها بسبب زواجه من أمريكية .

أما بالنسبة للبيت فيتكون من غرفتي نوم وصالة صغيرة تستعمل لاستقبال الضيوف إضافة إلى مطبخ وحمام . وقد لوحظ أن الأسرة تستعمل مدفأة للتدفئة ، كما تتوافر في البيت الكماليات الأساسية مثل تلفاز وغسالة وثلاجة وغاز . وجهاز (satellite) جديد .

ما زالت الزوجة تحتفظ ببعض المصاغ الذي اشتراه لها زوجها عند زواجهما كمدخرات لها ، ولم يستخدم حتى الآن ، ويقدر بحوالي أربعة آلاف دينار أردني .

لقد اضطرت ميري (ام حسام) للخروج الى العمل في إسرائيل فعملت في الشركة نفسها التي كان يعمل فبها زوجها ، حيث عملت سكرتيرة واستطاعت أن توفر دخلاً ثابتاً لأسرتها ، إلا أن الأحداث السياسية الأخيرة منعتها من الوصول الى عملها طيلة اكثر من ثلاثة اشهر ، الأمر الذي اضطر الشركة الى إنهاء خدماتها .

بدأت أم حسام بالبحث عن عمل جديد في مدينة رام الله ، وقد نجحت بعد المحاولات المكثفة والحثيثة من الحصول على عمل في أحدى المؤسسات الفلسطينية غير الحكومية القريبة من مكان سكناها بمبلغ خمسمائة دولار .

أما بالنسبة لمصادر دخل تلك الأسرة إضافة الى راتبها من العمل الحالي فإن أخاها يرسل لها مبلغ مائتي دولار شهرياً كمصارف للأولاد ، إضافة الى معونة شهرية بسيطة تصرفها لجنة الزكاة والصدقات في مدينة رام الله . بالإضافة إلى حصولها أحيانا على مساعدات من الأهل

الأقارب خلال فترة الأعياد والمناسبات المختلفة، كما حصلت على بعض المعونة على شكل (أرز، طحين وحليب) من إعانات الدعم للشعب الفلسطيني بواقع مرة واحدة فقط. كما أن أولادها يبيعون بعض الحاجات البسيطة مثل (الترمس) أمام البيت للمارين وذلك في العطل المدرسية. فمن وجهة نظرهم يرون أن هدفهم هو إشعار الأم بأنهم هم الآخرون يشاركونها في بعض المصاريف ويتحملون بعضا من هموم الأسرة. فإننا نستنتج أن الوضع الحالي للأسرة اقرب ما يكون الى المستقر أو المتوسط حتى الآن.

بالرغم من كل الصعوبات التي واجهتها هذه السيدة بعد وفاة زوجها وأبيها من جهة، وتعطلها عن العمل من جهة أخرى نستطيع القول بشكل عام إنها استطاعت الصمود وتحدي كل الضغوط الاجتماعية والاقتصادية من حولها من أجل تربية أولادها الاثنين. وعلى الرغم من العروض الكثيرة التي توافرت وتتوافر للزواج، فإنها كانت في كل مرة ترفض كل العروض وبشكل ملفت للنظر.

وهذه الأسرة واجهت مشكلة وفاة الزوج من خلال تحمل الزوجة المسؤولية حيث استطاعت ان تجمع بين العمل والدراسة، بين تربيتها لأطفالها ورعايتها لوالدها، كل هذا لم يضعها في دائرة اليأس من كثرة المشاكل التي حلت بها بعد هذه الأزمة، أنها امرأة جبارة تمثل نمط المرأة الفلسطينية التي تعيش تحت الاحتلال. استطاعت ان تجد عملاً بعد وفاة زوجها، ولإدراكها أنه لا يمكن الاعتماد على العمل في إسرائيل، فإنها سعت للبحث عن مصدر اكثر ثقة من خلال حصولها على شهادة جامعية، استطاعت من خلالها الحصول على عمل يؤمن لها جزءاً من مصاريف عائلتها التي ما زال أفرادها غير منتجين، ويعتبر دخلها الحالي مصدر دخل ثابت حتى الآن.

ثانياً: عائلة أبي رامي:

تعد أسرة أبي رامي من الأسر متوسطة الحجم فهي تتكون من سبعة أفراد: الأب (عطية) والأم (فاطمة) والأبناء: رامي ومحمد ومعتز وآية ورنا.

١. الأب: عطية(أبو رامي)، ويبلغ من العمر (٤٨) عاماً أنهى الصف السادس الابتدائي. وكما هو مألوف، فإن رب الأسرة في جميع المجتمعات العربية هو المسؤول الأول عن إعالة الأسرة، لذلك يتوقع منه تأمين متطلبات أسرته المختلفة، لكن أبا رامي ما زال عاطلاً عن العمل منذ بداية الانتفاضة. وكان قد عمل في إسرائيل حوالي ثلاثين عاماً منها ست عشرة

سنة في المنطقة الصناعية قرب الرام (عطروت) في مصنع لقوالب البناء الجاهز . وعندما أغلق هذا المصنع قبل ستة عشر عاماً، حصل من صاحب المصنع على أتعابه ومدخراته، وعرض عليه أن ينتقل معه الى مصنعه الجديد في منطقة يبنى على طريق غزة، لأن لديه الخبرة الطويلة في هذا المجال . ومنذ ذلك الحين (ثلاثة عشر عاماً تقريباً) وهو يعمل في المصنع نفسه حتى اندلاع انتفاضة الأقصى، ولكون مكان العمل بعيد المسافة ويستغرق أربع ساعات ذهاباً وإياباً في الوضع العادي، ويستغرق أكثر من ذلك في فترة الإنتفاضة بسبب الحواجز والإغلاقات، فإنه لا يستطيع المغامرة والذهاب لعمله في هذه الظروف الجديدة . مما جعل صاحب العمل يقدم على الاستغناء عنه، دون إن يأخذ توفيره أو أتعابه، وهكذا اصبح أبو رامي عاطلا عن العمل دون أي ذنب ارتكبه طيلة الأربعة شهور الماضية .

اعتاد العامل عطية قبل الانتفاضة ان يحصل على تصريح للدخول إلى إسرائيل بمساعدة صاحب العمل، وكان يدفع لقاء ذلك مبلغ (٥٠٠) شيكل لحكومة إسرائيل، كما كان لديه تأمين صحي وحساب توفير إضافة الى تأمين أجرة الطريق، فالسيد عطية كان يعمل مياومة ستة وعشرين يوماً بالشهر ويتقاضي مائتي شيقل يومياً .

وبعد أن اضطر أبو رامي لترك عمله أصبح يقضي معظم وقته داخل البيت مما سبب له الملل والكسل والشعور بالعزلة وعدم الاكتراث من الآخرين كما علمنا منه مباشرةً، وقد حاول البحث عن العمل مراراً وتكراراً ولكن دون جدوى، إلا انه عمل بين الفينة والأخرى أعمال صيانة بسيطة تقاضى منها مردوداً مالياً متواضعاً، فمثلاً قام مؤخراً بإصلاح شبابيك الجمعية التي تعمل بها ابنته "آية" في مدينة البيرة حيث تقاضى (٧٠٠) شيقل، كما انه تقاضى مساعدة مالية بمقدار (٦٠٠) شيقل من السلطة الوطنية الفلسطينية وتأميناً مجانياً للأسرة لمدة ثلاثة أشهر (تأمين الانتفاضة) .

٢. الأم فاطمة: وتبلغ من العمر ثلاثة وأربعين عاماً أنهت الصف الثالث الابتدائي وهي ربة بيت وتعاني من الصم على اثر التهاب حاد أصابها قبل تسع سنوات في الأذن الوسطى، وقد أجريت لها عمليتان جراحيتان ولكنهما باءتا بالفشل مما أفقدها حاسة السمع نهائياً، والأمل بالنجاح ضعيف جداً في حال إجراء عملية أخرى . السيدة فاطمة (أم رامي) الآن تضع سماعات في أذنيها إلا أنها تشعر أنها لا تستطيع تحملها وتجعلها دائما في حالة توتر، . لقد لفتت مشكلة السمع هذه انتباهي منذ اللحظة الأولى، فعندما كنت أتكلم معها لاحظت

عدم قدرتها على الفهم، فكنت أشاهدها تسأل ابنتها " رنا " لتعيد لها السؤال مرة أخرى، الأمر الذي جعلني أدرك أنها تواجه مشكلة في السمع. كما لاحظت في أثناء إجراء المقابلة انها كانت تتكلم بحماس عن هذه المشكلة حيث كان الأمر صعباً للتأقلم وهي في سن متقدم.

وبالرغم من هذا فإن زوجها لا يشعرها بأنها صماء قدر الإمكان، فهو يخاف على مشاعرها، فمثلاً قام بوضع ضوء بجانب جرس الباب بعد استشارتها حتى تراه في حالة قرع الجرس من طرف شخص ما، كما أنه وضع في البيت هاتفين لتتمكن من الحديث مع الآخرين فهي تتكلم بواحد وابنتها رنا تسمع بالآخر، وتفسر لأمها لتتمكن من الإجابة، فابنتها الصغيرة تلازم أمها في كل مكان فهي تذهب معها للسوق وتلازمها في الزيارات للجيران وغيرها كما تساعدها في المنزل. بشكل عام فإن جميع أفراد الأسرة متعاونون ومتفهمون وضع الأم فلا يشعرونها أنها صماء ولا يتركونها وحدها كي لا تشعر بالملل والوحدة، ويحاولون شرح كل كبيرة وصغيرة لها. والأم فاطمة تشارك في دخل أسرتها الآن، حيث تعمل معجنات للجيران تحصل منها على مبالغ متواضعة.

٣. رامي: الابن الأكبر ويبلغ من العمر أربعة وعشرين عاماً حصل على شهادة الثانوية العامة، تلقى دورة كهرباء في مدينة رام الله ودرس تصليح ماكنات خياطة في القدس وعمل فيها إلا انه كان يرغب في السفر، وبعد الإغلاق والحصار أراد أن يجرب حظه في أمريكا فحصل على تأشيرة سياحية وسافر عند عمه ليعمل عنده في محطة وقود.

٤. آية: وهي البنت الكبرى وتبلغ من العمر اثنتين وعشرين عاماً. أنهت دراستها الثانوية العامة بنجاح من مدرسة البيرة الثانوية، ودرست سكرتيريا في كلية الأمة، ومنذ عام تعمل في جمعية الهدى بالبيرة بمعاش شهري (١٢٠٠) شيقل جديد.

٥. محمد: يبلغ من العمر عشرين عاماً أنهى دراسته الثانوية العامة ولم يحالفه الحظ. عمل في محل للسمانة لمدة قصيرة. أراد والده أن يعلمه حرفة عند أحد أصدقائه في منجرة أو في محل للألمنيوم إلا انه رفض الفكرة، وهو الآن يعمل مع السلطة الوطنية الفلسطينية، مع أن والده لا يرغب في ذلك ويتقاضى مبلغ (٩٠٠) شيقل.

٦.**معتز:** ويبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً أنهى شهادة الثانوية العامة، ولم يحالفه الحظ مثل أخيه ولكنه سجل في مدرسة خاصة لأنه يطمح في النجاح، وعمل في فندق جراند بارك لمدة خمسة أشهر وبعد الإغلاق أصبح عاطلا عن العمل نتيجة تقليص عدد العاملين وتضرر القطاع السياحي.

٧.**رنا:** وتبلغ من العمر ستة عشر عاماً وهي في الصف الحادي عشر علمي بمدرسة البيرة الثانوية، وتطمح أن تنهي الثانوية العامة لتكمل دراستها بالجامعة ويشجعها والديها على ذلك.

بشكل عام فإن جميع الأبناء والبنات درسوا لغاية الثانوية العامة وبعض منهم حصل على دورات مختلفة، والأب يأمل أن تدخل ابنته الصغرى رنا الجامعة، وتحصل على شهادة جامعية، لأنه كان يتمنى لو أن أحد الأبناء حصل على شهادة من إحدى الجامعات.

أما بالنسبة لمنزل الأسرة فإن جميع الأبناء والبنات يسكنون معاً كونهم غير متزوجين، والبيت مستأجر منذ ثلاثين عاماً لقاء (٣٠) ديناراً أردنياً شهرياً وهو مكون من غرفتي نوم إحداهما للوالدين والأخرى للبنات، أما الأولاد فينامون في غرفة الجلوس التي يستعملونها أيضاً لاستقبال الضيوف، وهناك فرندة صغيرة تستعملها الأم للغسيل وحمام ومطبخ، وتستعمل الأسرة مدفأة الكاز للتدفئة في فصل الشتاء.

ويتوافر في المنزل أثاث متواضع جداً وعلى الرغم من توافر جهاز تلفاز (وفيديو) وثلاجة وغسالة (وستلايت)، فإن هذه الأجهزة بحالة مزرية لأنها قديمة وبالية.

بشكل عام، فأن الأسرة تعيش في وضع اقتصادي غير مستقر، فهي تعاني من صعوبات اقتصادية وأزمة حقيقية خانقة، من جراء عدم قدرة الأب على إيجاد عمل مستقر، وأجبرت الأسرة بسبب الأحداث الجارية على التقنين في متطلبات البيت فأصبح الشراء قاصراً على الحاجات الضرورية التي تشعر الأسرة أنها بحاجة ماسة إليها.

وتعمل الأم على تقليل المأكولات التي تدخل فيها اللحوم بسبب ارتفاع أسعارها فتحاول قدر الإمكان تقليل التكاليف من خلال ترشيد التدبير المنزلي. وازداد الأمر سوءاً عندما طالبهم صاحب البيت بدفع الإيجار لأنه لم يدفع منذ أربعة أشهر، كما قامت شركة الاتصالات بقطع الهاتف كون الفاتورة لم تدفع منذ اكثر من أربعة أشهر، كل هذا يحصل ولا حول ولا قوة أمام هذه المتطلبات المعيشية الضرورية التي أصبحت هذه العائلة غير قادرة على تسديدها بسبب ظروف الإغلاق والحصار التي تفرضه إسرائيل.

يتمثل دخل الأسرة فقط في الراتب الذي تتقاضاه الابنة آية، إضافة الى المساعدات غير المنتظمة من السلطة، كما أن الابن الأكبر رامي قبل سفره ترك مع والده مبلغ ثلاثة آلاف شيقل وهذا ما تبقى معه بعد شراء تذكرة السفر الى أمريكيا. الدخل الحالي غير المستقر اجبر الأسرة مؤخرا على البدء في الصرف من المدخرات الاحتياطية التي بحوزتها. كما تنوى الأم بيع صيغتها المتواضعة إذا ما استمر الوضع سوءاً.

مع أن الوالد عمل ثلاثين عاما في إسرائيل، إلا انه لم يستطع اكتساب مهارة يمكن استعمالها في سوق العمل الفلسطيني، فمثل هذا المصنع الذي كان يعمل فيه غير موجود في المناطق الفلسطينية، ولذا وجد نفسه عاطلا عن العمل، وهذا ما جعل فرص العمل أمامه ضيقة. والأولاد لم يتمكنوا من امتلاك مهن أو الحصول على شهادات عليا تمكنهم الوقوف بصلابة أمام هذه الأزمات، فالابن الأكبر ذهب الى أمريكيا ليجرب حظه هناك والابن معتز حاول العمل في فندق الا ان الظروف منعته من الاستمرار والابن محمد وقف حائرا بين الاستمرار في العمل في السلطة، أو أن يتعلم مهنة ويلبى رغبة والده والأم تعد من ذوي الحاجات الخاصة كونها لا تسمع إلا إنها تشارك الأسرة همومها في تأمين جزء بسيط من الدخل جراء المعجنات التي تقوم بها في منزلها للجيران، أما الابنة آية فهي الوحيدة التي استطاعت ان تجد عملا مقابل (١٢٠٠) شيقل شهرياً، وذلك راجع الى أنها تمتلك شهادة لا بأس بها من كلية الأمة.

ثالثا: عائلة أبو رمزي:-

تعد هذه العائلة كبيرة الحجم وتتكون من أحد عشر فرداً والأب تزوج من اثنتين الأولى أنجبت أربعة أبناء (ولدان وبنتان) وتوفيت قبل عشر سنوات على اثر جلطة حادة مفاجئة على القلب عن عمر يناهز سبعة واربعين عاما، فتزوج الأب بأخرى حيث أنجبت له خمس بنات، وهذه العائلة تتكون من.

١. **الأب:** علي ويبلغ من العمر تسعة وأربعين عاماً أنهى الصف السابع وتعلم البناء من أولاد عمة الذين أخذوه ليعمل معهم في إسرائيل.

أبناء الزوجة الأولى مقسمون كما يلي:

٢. **رمزي:** وهو الابن الأكبر ويبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً أنهى شهادة الدراسة الثانوية العامة وتعلم التجارة في السوق، ولديه الآن محل للألبسة الشعبية استطاع فتحه بعد

أن قام ببيع ما تركته أمه من مصاغ ليكون مصدر دخل ثابت للأسرة، وقد جرى ذلك بعد أن أخذ موافقة الورثة (أخواته وأخيه)، كما انه باع جميع الأسهم في شركة الدخان، وسحب مدخرات والدته من البنك العربي حتى تمكن من إتمام هذا المشروع. ومن هنا فهو يعد المسؤول الأول عن البيت بأكمله الذي يشمل اخوته من أمه وأخواته من زوجة أبيه، بعد ان تعطل والده عن العمل في إسرائيل.

٣.**سماح:**وتبلغ من العمر ثلاثة وعشرين عاماً أنهت شهادة الثانوية العامة ودرست سكرتاريا وتعمل الآن في وكالة غوث اللاجئين وتتقاضى راتبا متواضعاً قدره (٥٠٠ $) دولار أمريكي.

٤.**خالد:**ويبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً أنهى الثانوية العامة وتعلم الكهرباء في معهد قلنديا ويمارس هذه المهنة الآن، لكن دخله متذبذب بسبب الأوضاع الاقتصادية المألوفة.

٥. **تهاني:** وتبلغ من العمر تسعة عشر عاماً، أنهت الثانوية العامة ولم يحالفها الحظ وهي في البيت وأحياناً أخرى عند أخيها رمزي تساعده في المحل.

أما بالنسبة للزوجة الثانية وبناتها فهم على النحو التالي.

١. **سمية:** الزوجة الثانية وتبلغ من العمر خمسة وثلاثين عاماً أنهت الصف الثالث الابتدائي وهى الآن تعد ربة بيت.

٢. **سماهر:** وتبلغ من العمر خمسة عشر عاماً في الصف العاشر.

٣. **سعاد:** وتبلغ من العمر أربعة عشر عاماً في الصف التاسع.

٤. **ربا:** وتبلغ من العمر عشرة أعوام في الصف الخامس.

٥. **لما:** وتبلغ من العمر عشرة أعوام في الصف الخامس وهي توأم لربا.

٦. **أماني:** وتبلغ من العمر سبعة أعوام وهي في الصف الثاني الأساسي.

وجميع البنات في المدارس الحكومية.

أما بالنسبة للزوجة المتوفاة (جميلة)، فكانت من أسرة غنية، إذ كان والدها وأخوتها يعملون في الكويت، وكانوا يقدمون لها الهدايا الثمينة باستمرار، أما بعد وفاتها فيقدمون الهدايا للأولاد في الأعياد فقط.

الأب علي كان يعمل قبل انتفاضة الأقصى في حقل البناء حيث كان يتقاضى (١٧٠) شيقل يومياً، اما بعد الإغلاق وبسبب عدم قدرته على الدخول إلى إسرائيل حتى في ظل

وجود تصريح عمل حصل عليه بوساطة المتعهد الإسرائيلي، إلا أن ظروف عدم الأمان والمسؤوليات الكثيرة الملقاة على عاتقه في ظل وجود بناته القاصرات من الزوجة الثانية، جعلته يفضل العمل ولو بشكل جزئي في رام الله، فهو أحياناً يعمل بائعاً للألبسة الشعبية على بسطة يأخذها من محل ابنه الخاص ببيع الألبسة الشعبية الجاهزة، هذا العمل الجزئي بالتأكيد لا يسد الاحتياجات الكثيرة الملقاة على عاتقه من إعالة خمس بنات في سن المدرسة وأمهم وأبنائه من الزوجة الأولى.

أبو رمزي هذه الأيام في حيرة من أمره، فهو من جهة مسؤول عن أعالة أسرتة الكبيرة ومن جهة أخرى مسؤول عن زواج ابنه رمزي، وبسبب هذه الظروف لم يجرؤ على الأقدام على هذه الخطوة التي تتطلب كثيراً من المتطلبات التي لا تحصى ولا تعد.

تعيش الأسرة في منزل ملك لها كائن في عين مصباح حيث ان الأب اقتسمه مع ابن عمه وأصبحت الجهة الجنوبية ملكاً له ويتكون المنزل من ثلاث غرف نوم وصالون وغرفة للجلوس وغرفة سفرة وحمامين ومطبخ مجهز بجميع الأدوات الكهربائية، وتستخدم الأسرة التدفئة المركزية في فصل الشتاء بالإضافة الى أن مدفأة الكاز موجودة بالمنزل.

وبشكل عام فإن المنزل مجهز بجميع الكماليات الأساسية والثانوية مثل (تلفاز) (وفيديو) (وستالايت) وأدوات كهربائية وحاسوب... الخ، وكذلك يوجد سيارة من نوع بيجو لرمزى يستعملها أثناء عمله لنقل البضاعة من والى محله.

كما تملك الام (الزوجة الثانية) مجموعة معقولة من الصيغة بغرض الزينة قدرتها لي بمبلغ (٤٥٠٠) دينار أردني، كما ان لديها حساب توفير في بنك القاهرة عمان لم تستخدمها الأسرة لغاية الآن، وتعتبرها مدخرات لحمايتها في المستقبل.

وبالرغم من انها أجهضت اكثر من مرة إلا أنها تفكر في الإنجاب مرة أخرى لأنها تريد ولداً يناديها الناس باسمه مثل زوجها ابي رمزي.

بالنسبة لوضع الأسرة الاقتصادي قبل الإغلاق فإننا نستطيع القول ان هذه الأسرة كانت تتمتع بوضع مالي جيد، فهناك دخل الأب المرتفع ويقدر بحوالي (٤٦٠٠) شيقل، ودخل الابنة "سماح" (٥٠٠ $) وهناك دخل رمزي صاحب المحل التجاري الذي كان فيه اثنان من العمال يساعدانه في تحمل أعبائه وكان دخله قبل الانتفاضة حوالي (٣٠٠٠$) تقريباً.

أما في الوقت الحاضر وبعد الإغلاق المستمر فالأب كما ذكرنا عاطل عن العمل، وعمله الحالي جزئي لا يمكن الاعتماد عليه بشكل كامل. كما أن صاحب المحل ابنه الأكبر رمزي

أجبر على الاستغناء عن عامليه بسبب قلة الحركة التجارية مكتفياً بمساعدة اخته تهاني ، ودخل المحل انخفض بشكل ملموس ، دخل الابنة سماح لا زال مستمرا ، أما بالنسبة لأخيها الكهربائي فواضح انه تأثر هو الآخر بهذه الأوضاع الا أننا نستطيع القول انه لا بأس به .

الجميع يحمد الله على أن والدتهم المتوفاة كان لها بعد أفق بنظرتها للمستقبل وخصوصاً لمستقبل أسرتها وبالذات بناتها ، ففتحت حسابات توفير ل سماح وتهاني منذ ولادتهما في البنك العربي ليكون لهما مبلغ لا يستهان به عند زواجهما ، مما يشكل دخلاً إضافياً لهما يأتي من ريع هذه الأموال التي لم تستعمل لغاية الآن .

نستخلص مما سبق أن هذه العائلة وضعت أسسا للدخل الاقتصادي استطاعت ان تصمد أمام تقلبات القدر ، فالمحل التجاري ما زال يوفر دخلاً ثابتا للأسرة وكذلك دخل الابنة سماح ، فهذه العائلة يمكن لها ان تصمد في ظل الأوضاع الاقتصادية ، فهناك تنوع في الدخل من بقية أفراد الأسرة غير الوالد فهناك ريع الأرباح من البنك العربي للبنات فهي تمثل احتياطاً لا يستهان به . أما بالنسبة لبنات الزوجة الثانية ، فكما علمنا انهن مازلن صغاراً وغير منتجات ويحتجن الى رعاية من والدهن وأخوتهن من الزوجة الأولى ، رعاية تكفل لهم الاستمرار والبقاء ، فتلاحم العائلات وتماسكها ضروري جداً للتكيف في هذه المرحلة .

نلاحظ من خلال استعراضنا للمبحث الأول الذي يتضمن البيانات الأساسية لكل عائلة ، ومعرفة واقعها المادي والمستوى الثقافي – التعليمي وجود فروقات أساسية بينها .

فالعائلات الثلاث تتفق في أمر ولا تتفق في أمور عدة ، فهي تتفق في انها تأثرت بالحصار والإغلاق التي فرضته سلطات الاحتلال ، فمصادر الدخل في هذه العائلات نقصت بشكل ملحوظ بعد انتفاضة الأقصى ، وعدم قدرة معيلي هذه العائلات على الاستمرار في العمل في إسرائيل .

فعائلتا ام حسام وأم رامي كان تأثير الإغلاق عليهما أشد من عائلة ابي رمزي ، فالأخيرة تتمتع بوضع اقتصادي جيد كونها تمتلك بيت ملك إضافة الى وجود مدخرات ، كما ان لديها أبناء يتمتعون بتأهيل علمي ومهنة مما وفر تنوعاً في مصادر الدخل جعلهم قادرين على استحداث عمل من خلال البدء بمشروع العائلة المتمثل في محل الألبسة الجاهزة وهذا فضلا عن عمل الابنة في وكالة الغوث وعمل خالد في الكهرباء .

اما أسرة ام حسام فقد تأثرت اقتصادياً بشكل ملحوظ بعد وفاة الزوج رب الأسرة وبعد توقفها عن العمل في إسرائيل الا ان الوضع عاد وتحسن تدريجياً بعد حصولها على عمل

بديل لها في رام الله، فالمستوى التعليمي الذي حصلت عليه ساعدها على تخطي هذه الأزمة.

وبالمقارنة مع أسرة أبي رامي، فإن الأخيرة هي الأشد تأثراً بظروف الإغلاقات السيئة، رغم تعدد الأبناء، فالأب غير المتعلم ما زال عاطلاً عن العمل، ومصادر الدخل قليلة رغم أن الأبناء في سن العمل، ولكن الظروف الاقتصادية وعدم توافر فرص العمل منعتهم من إيجاد عمل، وهم غير مؤهلين علمياً أو مهنياً لإيجاد فرص متعددة، فما زالت هذه الأسرة غير مستقرة، وتعيش على أمل أن يستطيع الأب أخذ اتعابه للبدء بمشروع صغير ليؤمن دخلاً ثابتا للأسرة يقيها تقلبات الحياة في المستقبل.

ونلاحظ ان العائلات الثلاث المبحوثة تعلم أبناءها بما يتناسب وإمكانياتها، فنجدهم حاصلين على شهادات ثانوية عامة أو تعلموا مهناً مختلفة، مما يدل على ان الجميع يحاولون دوماً إيصال الأبناء الى درجة تمكنهم من البقاء في ظل ظروف اقتصادية متقلبة وصعبة وغير مستقرة.

اما بالنسبة للكماليات فقد لوحظ أنها أصبحت ضروريات، حيث ان العائلات الثلاث تملك تقريباً الأجهزة نفسها، وهذا يدفعنا الى الحذر في المرات القادمة من اعتماد وجود مثل هذه الاجهزه أو عدم وجودها في عملية الفرز بين العائلات والفرز الطبقي ومحاولة قياس دخلهم المادي بناء على توافرها أو عدم توافرها.

الملاحظة الجديرة بالاهتمام والانتباه إن شبكات القربى عند العائلات الفلسطينية بشكل عام والعائلات المبحوثة بشكل خاص قريبة من بعضها بعضاً حيث أن الظروف الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني رسخت أو قوت مشاعر التضامن والتعاضد فيما بينها.

المبحث الرابع

استراتيجيات العائلة للبقاء والتكيف لإعاده إنتاجها

بعد أن عرضنا بعض البيانات الأساسية للعائلات المبحوثة، وبعد أن كونا فكرة عامة عن كل عائلة وبخاصة الوضع المادي، التي ساعدتنا على فهم واستخلاص الآليات التي اتبعتها كل عائلة في مواجهة الظروف الطارئة والخارجة عن إرادتها، والتي أثرت على المجتمع الفلسطيني بشكل عام وعلى العائلات المبحوثة بشكل خاص. يمكن القول إن الطرق والوسائل والتدابير التي نسميها الاستراتيجيات التي تستخدمها العائلة الفلسطينية من أجل البقاء والتكيف لإعادة إنتاجها، تنقسم إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول: استراتيجيات قصيرة المدى، ونقصد بها تلك الصعوبات التي يتدبر أمرها بشكل سريع ومباشر مثل موت الزوج أو اعتقاله، أو فقدان رب الأسرة لعمله فجأة دون ذنب ارتكبه، وإنما لسبب خارج عن إرادته، أو مرض أحد أفراد العائلة وهذه كلها تتطلب علاجاً سريعاً قد يستدعي تغيير الأدوار داخل العائلة وإعادة تقسيم العمل من جديد. هذه التغيرات الفجائية قد تؤدي احياناً الى لجوء العائلة الى صرف مدخراتها، واللجوء الى أحد الأقارب لطلب المساعدة المالية أو التوجه الى المؤسسات الوطنية لطلب العون.

اما القسم الثاني: استراتيجيات طويلة المدى وفيها تحاول العائلة التخطيط للمستقبل من خلال تعليم الأبناء أو التخطيط لإقامة المشاريع الصغيرة لتكون دخلاً ثابتاً للعائلة يمكنها من العيش بسلام وبأمان، وتستطيع من خلاله الادخار للأوقات الصعبة كالتي تمر بها في أيامنا هذه، أو للصرف على زواج أبنائها وبناتها أو إجراء عمليات جراحية طارئة لأحد أفراد العائلة. سنرى هذه الاستراتيجيات المختلفة بارزة عند مناقشة مشكلات البحث ومحاولة الإجابة على التساؤلات التي أشرنا إليها، والتى بدورها ستوضح هذه المخططات والاستراتيجيات.

أولاً: علاقة العائلة مع شبكة الأقارب:-

لوحظ من خلال هذه الدراسة للعائلات الثلاث ان هناك شبكة من العلاقات بين هذه العائلات والأقارب برزت خلال النقاش وله علاقة بموضوع الدراسة، وبالتحديد نود الإشارة الى نوعية العلاقة والرابطة بين كل من هذه العائلات المبحوثة وبين شبكة الأقارب والأدوار التي قامت بها للإسهام في مواجهة الأزمات التي اعترضتها خلال فترة الحصار.

لجأت عائلة السيدة أم حسام الى بيت والدها بعد وفاة زوجها، مما شجَّع أخوتها على التردد لزيارتها دون قيود كون البيت هو بيت الأب مما جعلهم يؤازرون أختهم في جميع الأزمات التي تعترض حياتها، إضافة الى إن هذا السكن وتلك العلاقات الحميمة مع أهلها يحميها من القيل والقال الذي اعتدنا عليه في مجتمعنا المحلى كونها أرملة. هذه العلاقات التي حافظت عليها أم حسام في الماضي كانت بمثابة رصيد لها في الحاضر وبخاصة أهل زوجها والقريبين من سكنها الذين يزورونها بين الحين والآخر ليطمئنوا على أولاد ابنهم المتوفى. وقد لاحظت أن العلاقة بين أم حسام وزوج أختها الكبيرة غير طبيعية (متوترة) بعض الشيء وبعد الاستفسار وجدت انه يتدخل في كل كبيرة وصغيرة تخصها تحت ذريعة كونها أرملة، والمجتمع لا يرحمها بأي حال من الأحوال. ومن هنا نلاحظ ان العلاقة مع الأقارب قد يكون لها جوانب سلبية تتمثل في التدخل احياناً بخصوصية العائلة وجوانب أيجابية كثيرة تتمثل بتقديم العون والمساعدة، في الظروف الصعبة التي يمر بها الشعب الفلسطيني عامة بسبب الأحوال الاقتصادية السيئة والظروف التي تمر بها أم حسام خاصة ضاعف من شعور التضامن والتكافل بين الأقارب حولها، وهذا ما لمسته من خلال المساعدات المالية والعينية ليس فقط من الأقارب بل من المعارف والجيران كذلك.

أما بالنسبة لعائلة أبي رامي فالعلاقة الحميمة والوطيدة مع الأقارب برز أثرها خلال أزمته الحالية التي يمر بها الآن، فأخوه الموجود في أمريكيا ساعد ابنه في السفر وأمن له المعيشة والعمل عندما وصل هناك، كما أن أخوه أرسل له مبلغ (٣٠٠$) في شهر كانون الأول، وأحد أصدقائه الآن مستعد لأن يعلم أحد أولاده في محل الألمنيوم الذي يمتلكه.

أما بالنسبة للزوجة التي فقدت السمع، فوجدت اخوتها الموجودين في عمان يساعدونها في مصاريف علاجها، وأرسلوا لها المساعدات المالية خلال فترة علاجها وإجراء العمليات لها، كما أنهم يقدمون لها الهدايا والمساعدات المالية في الأعياد والمناسبات، فهذه الأسرة تتبادل الزيارات مع الأهل والأقارب بشكل مستمر، وهذا كله يرفع من معنويات الام ويشجعها باستمرار ويبث فيها الأمل بأن تستعيد سمعها في يوم من الأيام.

وإذا قارنا العائلات السابقة مع عائلة أبي رمزي فنجدها تختلف قليلاً، فالوضع الاقتصادي الجيد الذي تتمتع به تلك العائلة يجعلها شبه مستقرة اقتصادياً، ولكن هذا لا ينفي وجود علاقات مع الأقارب، فهناك علاقات حميمة مع الأقارب، ولكنها تقتصر على الزيارات وتأدية الواجبات الاجتماعية وخاصة مع أهل الزوجة المتوفاة.

فهناك زيارات وعلاقات متواصلة، ولكنها خالية من المساعدات المالية مقارنة مع العائلات السابقة. وكذلك هناك علاقات وطيدة مع أولاد عمهم كونهم من نفس العمر وهناك زيارات اجتماعية كثيرة ومستمرة وهي ليست مبنية في الوقت الحاضر على مصالح اقتصادية.

نستنتج من خلال المعطيات السابقة التي استطعنا الحصول عليها أن هناك انسجاماً واضحاً مع الفرضية الخاصة بهذا الجانب والقائلة إنه في ظل الظروف الصعبة تجد الأسرة مساعدات عينية أو مادية من الأقارب الذين يسكنون داخل البلاد وخارجها.

ثانياً: تقسيم الأدوار داخل العائلة:-

أن لتقسيم العمل علاقة وثيقة باستراتيجيات العائلة للبقاء والتكيف، حيث تعد التقسيمات داخل العائلة غير ثابتة، وخاضعة للتغير باستمرار حسب حاجة العائلة، وضرورات مواجهة التغيرات الطارئة والأزمات المتقلبة التي تعترضها، فعلى سبيل المثال: نلاحظ في حالات عدة أنه يتم تغيير جذري في تقسيم العمل نتيجة أزمات مالية، بوفاة زوج، أو تعطل معيل العائلة عن عمله، وهذا ينطبق على الحالات الثلاث التي قمت بدراستها.

فعائلة أم حسام تأثرت بشكل كبير واضح ومؤلم بوفاة زوجها ووالدها، مما انعكس على تقسيم العمل داخل العائلة، فأم حسام كانت ربة بيت اضطرتها الظروف للخروج الى سوق العمل، بالإضافة الى أعبائها المنزلية، ونشاطاتها خارج المنزل من زيارات للأقارب، وذلك لأنها بحاجة ماسة لهم، إضافة الى تحملها أعباء تربية أولادها والاهتمام بدروسهم ومراجعة مدارسهم. كما ان الأبناء بسام وحسام تأثروا بما حدث، وأرادوا تحمل جزء ولو بسيط من هذه الأعباء الملقاة على عاتق أمهم، فشعورهم بالمسؤولية تجاه أنفسهم جعلهم يبيعون (الترمس) أمام المنزل في العطل الصيفية وفي الأعياد الرسمية.

وكذلك الحال بالنسبة لعائلة أبي رامي، فقد أخذ تقسيم العمل دوره في حياة تلك العائلة، ولكن الظروف المحيطة التي نمر بها حالت دون الوصول الى درجة مرضية من الاستقرار، ومع هذا فقد حاولت جاهدة العمل على تقسيم الأدوار، وبدأت الأم " فاطمة " بتدبير أمرها بالبدء بعمل معجنات للجيران، والبنت "آية" تعمل سكرتيرة، وكذلك الأبناء يقومون بأعمال متناثرة هنا وهناك لتعود عليهم ببعض الدخل، والأب لم يقف مكتوف الأيدي، فهو يحاول أن يجد عملاً ويمارس أعمال الصيانة من حين الى آخر، وهذا الوضع ما كان يحدث لولا تعطل الأب عن العمل. ولو كان لدى الأسرة نظرة بعيدة الى المستقبل وتخطيط سليم لمواجهة

الأزمات، لكانت قد عملت على وضع التدابير اللازمة من اجل تفادي هذه الأزمات وحلها.

وينطبق التغيير في تقسيم العمل على عائلة ابي رمزي، فبمجرد توقف الأب عن العمل الذي كان يوفر دخلاً لها، اخذ يفتش عن بدائل أخرى، فوجد أمامه محل ابنه فأخذ منه الألبسة وأخذ يبيعها على البسطة. ونلاحظ أن لديه أبناء في سن العمل مما يتيح شيئاً من التنوع في مصادر الدخل، فهناك الابنة التي تعمل في مجال السكرتريا، وكذلك الابن الذي يعمل كهربائياً. ورغم الوضع الاقتصادي الجيد الذي تتمتع به تلك العائلة فذلك لا ينفي وجود تغيير في تقسيم العمل في ظل هذه الظروف.

ثالثاً: كيفية التعامل مع الأزمات:-

على الرغم من النقاش السابق، فإننا نحتاج الى شي من التفصيل المباشر والدقيق، فالصعوبات أو المشاكل التي تواجه العائلة تتنوع وتختلف باختلاف الظروف، التي قد تكون خارجة عن إرادة العائلة في أغلب الاحيان مثل:

١. أزمات اقتصادية: وتنتج عن عدم استطاعة العائلة مواجهة مشكلة اقتصادية ملحة نتيجة عامل مفاجئ، أو عدم توافر مدخرات كافية للأوقات العصيبة والمفاجئة.
٢. مشاكل اجتماعية: وتتضمن حالات الوفاة أو الاعتقال، الأمر الذي يتطلب تغييرات بنيوية أساسية في العائلة، مما يجعلها تعيد النظر في تقسيم العمل.
٣. مشاكل صحية: مثل مرض أحد أفراد العائلة أو الحاجة إلى رعاية مسن، الذي يرتبط بدوره بالحاجة إلى مصروفات جديدة.

مما سبق نرى أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين هذه المشاكل كلها، فالمشكلة الاقتصادية على سبيل المثال، تنعكس على مشاكل اجتماعية وتغيير أدوار الأفراد وإعادة الأولويات والفرص المتاحة.

والحقيقة المؤلمة، هي أن أيا من العائلات الفلسطينية بشكل عام، أو العائلات المبحوثة بشكل خاص لم تنج ولم تسلم من مواجهة مشكلات أو مرورها بأزمات صعبة ومؤلمة، مما أدى إلى تغيرات جوهرية بنيوية في هذه العائلات.

فعائله ام حسام واجهت أزمات متعددة وتعاملت مع هذه الأزمات من خلال حصولها على عمل في إسرائيل بعد وفاة زوجها وإصرارها للحصول على شهادة عليا، ثم قامت

بالانتقال الى بيت والدها حتى تحمي نفسها وأولادها وتوفر جزءاً ولو قليلاً من المصاريف، وأخيراً استطاعت إيجاد عمل في رام الله.

أما بالنسبة لعائلة أبى رمزي فالأزمة تمثلت في توقف رب الأسرة عن عمله في إسرائيل، لكنها تعاملت مع هذه الأزمة من خلال الوضع الاقتصادي الجيد الذي تتمتع به، ومن خلال التقليل من مصروفاتها، وبما أن هناك أولاداً في سن العمل والإنتاج فقد تخطت العائلة هذه المشكلة بسهولة، ذلك لأنهم يمارسون أعمالاً مختلفة، فمنهم الموظف، وصاحب المحل، والمهني، فلم تقتصر هذه العائلة على أحادية المهنة، بل تعددت المهن مما أدى الى تنوع مصادر الدخل لدى عائلة أبي رمزي.

أما عن عائلة أبي رامي فواجهت مشكلة توقف رب الأسرة عن العمل في إسرائيل، لكنها لم تتخط أزمتها بسهولة، وإنما بشكل جزئي، ومن خلال المساعدات التي تلقتها من السلطة الوطنية أو من خلال قيام ابي رامي ببعض أعمال الصيانة بين الفينة والأخرى، ولا ننسى دخل الابنة "آية" وكذلك من خلال ترشيد الاستهلاك المنزلي الذي تقوم به الأم، وطلب أبو رامي من أخيه الموجود في أمريكيا اخذ ابنه الأكبر "رامي"، وهكذا أسهم جميع أفراد الأسرة بقدر المستطاع في تجاوز الأزمة.

رابعاً: تأثير الإغلاق والحصار الاقتصادي على العامل الفلسطيني:-

استطاعت إسرائيل خلال فترة الاحتلال أن تخلق نمطاً من الحياة الاقتصادية في المجتمع الفلسطيني تمثل في ربطهم مباشرة بسوق العمل الإسرائيلي حيث أصبح عدد كبير من العمال يعتمدون على العمل داخل المصانع والورش الإسرائيلية، وبهذا لم يشكل المجتمع الفلسطيني سوق عمالة لغالبية العمال من الفلسطينيين. هذا النمط استمر بعد دخول السلطة الفلسطينية، حيث لم تستطع خلق البدائل لهؤلاء العمال، الأمر الذي أوقع العمال في ورطة حقيقية يعانون منها حتى الآن بعد أن فرضت إسرائيل إغلاقاً وحصاراً لم يسبق له مثيل. فالعامل الفلسطيني الذي اعتاد على دخل جيد، وبالتالي على نمط حياة اقتصادية معين، اختل كلياً عندما توقف عن العمل داخل اسرائيل فجأة بعد انتفاضة الأقصى في (٢٨ - ٩ - ٢٠٠٠).

إن شعور اليأس والإحباط أصاب العامل الفلسطيني بشكل عام وأرباب الأسر المبحوثة بشكل خاص فهم يجلسون في بيوتهم منذ بداية الانتفاضة، فلا يوجد عمل في مناطق السلطة الفلسطينية ولا يوجد تعويضات مالية تعوض الخسارة ولا يوجد ضمان اجتماعي كاف،

وليس بحوزتهم شهادات علمية تؤهلهم للعمل.

هذا الضغط الشديد على العمال الفلسطينيين جعلهم يفكرون بإيجاد بدائل لأنفسهم. ففي حالة أم حسام لوحظ أنها وجدت عملاً بديلاً لها في رام الله من خلال الشهادة، فكانت منقذاً لها. أما أبو رمزي، فبالرغم من انه لا يحمل شهادة فانه وجد عملاً له وذلك بأخذ بضاعة من محل الألبسة الشعبية لبيعها، معوضاً بذلك قدرا ولو ضئيلاً من العجز المالي الذي أصابه بسبب توقفه عن العمل إضافة الى ملء الفراغ القاتل الذي أشعره أحيانا انه رجل لا أهمية له في هذه الحياة. أما بالنسبة لأبي رامي فلم يستطع حتى الآن تدبر الأمر بشكل منتظم فمعظم أوقاته يقضيها في المقاهي ولعب الورق ومشاهدة التلفاز مما سبب له شعوراً بأنه كسول ولا مبال حيث انه ينام أوقاتاً طويلة مقارنة بالأوقات التي كان يصحو فيها باكراً للعمل، مما جعله عصبي المزاج مع أهل بيته.

خامساً: الخطط والتوقعات المستقبلية:-

إن ظروف الاحتلال التي مر بها الشعب الفلسطيني خلال خمسة وثلاثين عاماً مضت علمت العائلة الفلسطينية قاعدة مفادها أن التغيرات المستمرة على الوضع الاقتصادي والاجتماعي والنابعة من الاحتلال تجعله دائماً يفكر في وضع البدائل والخيارات المتعددة. وبدون ذلك فإن الشخص قد يكون عرضة لأن يجد نفسه وسط الأمواج لوحده بدون أي معين أو منقذ. صحيح أن إسرائيل حاولت وتحاول باستمرار أن تربط هذا الشعب بشكل عام، والأسرة الفلسطينية بشكل خاص بالوجود الإسرائيلي أي انه بدون هذا الوجود تكون حياة العائلة في خطر، وتكون في وضع صعب، وبالتالي ستضطر الى الرضوخ والخنوع لما تمليه عليه هذه الدولة المحتلة.

تتطلع العائلات جميعها بشكل عام، والمبحوثة خاصة، الى المستقبل بعيون مشرقة ومتفائلة، فهي تصبو دوماً الى غد مشرق، متجاوزة الماضي والحاضر الصعب. وقد تكون هذه النظرة محاولة من طرف بعض العائلات للهروب الى واقع الأحلام السعيدة، فهذه العائلات تخطط للمستقبل سواء بشكل عفوي، أو بشكل واع، وتتعلم باستمرار من تجاوز أزماتها التي مرت بها. فتحاول تعليم أبنائها بدرجه معقولة. حتى في ظل مستوى دخل اقل، ويتوقع الأهل أن يكون مستقبل الأبناء أفضل بسبب التعليم، وأما الإناث، فان نبع التفاؤل بالمستقبل لديهن سببه بالإضافة إلى التعليم الاعتقاد بأن فرصتهن في الزواج ستسهم

في إيجاد حياة أفضل بالنسبة لهن .

ففي حالة "أم حسام" تجسد تفكيرها بوضع استراتيجيات قريبة المدى بالعمل سكرتيرة في إسرائيل، واستطاعت من خلالها حل المشكلة الاقتصادية لعائلتها، كما أنها وضعت استراتيجية بعيدة المدى تمثلت في استكمال دراستها العليا في الماجستير .

وفي حالة عائلة أبو "رمزي" نرى أن استراتيجية الوضع الاقتصادي التي وضعتها زوجته المتوفاة أثبتت نجاحها فاستطاعت هذه العائلة الصمود. فمحل الألبسة الجاهزة لدى العائلة يعد مصدر دخل لا يستهان به وكذلك دخل "سماح" جيد، والابن "خالد" تدبر الأمر من خلال العمل في مجال الكهرباء، وزيادة على ذلك، فأن مدخرات العائلة التي ذكرتها سابقاً والموجودة في البنوك أسهمت وتسهم في استقرار الوضع الاقتصادي إلى حد ما .

صحيح أن توابع الانتفاضة من إغلاق وحصار عطلت تطلع أبي رمزي الى زواج أولاده إلا أنه يفكر أن يقوم بذلك في أسرع وقت ممكن، إضافة الى أن لديه تفكيراً على المدى البعيد، إذا استقرت الأحوال الاقتصادية، في فتح محل للألبسة الشعبية مشابه لمحل أبنه. كما انه يخطط لتعليم بناته من الزوجة الثانية ليكون سلاحاً بأيديهن في المستقبل، ويريد الآن بناء طابق جديد فوق بيته ليكون خاصاً بالزوجة الثانية ليشعر الجميع بالاستقرار والاستقلالية .

آما عائلة أبي رامي، فهذه الظروف الصعبة التي حلت بالجميع تركت أثراُ بالغاً عليها، فالبدائل الحالية والمتوافرة أمام أبي رامي محدودة، والتدابير التي كانت قريبة المدى تمثلت في سفر ابنه "رامي" الى أمريكيا لمحاولة إيجاد فرص افضل له، بالإضافة إلى أن ابنه "محمد" يعمل بالسلطة مع أن والده غير راضٍ عن عمله أما عن الاستراتيجيات بعيدة المدى، فإنه يرغب عندما يأخذ أتعابه من صاحب العمل الإسرائيلي أن يفتح محل صيانة وبيع أجهزة كهربائية، لأنه يرغب تلك المهنة ويعتبرها من هواياته. أدرك أبو رامي متأخراً أن استراتيجيته كانت غير حكيمة في الحياة، وأنه كان بإمكانه إن يخطط لها بشكل أفضل، ولو أدركها من قبل لما وصل الى هذا الوضع، ولكنه أدركها متأخراً وبعد فوات الأوان .

المبحث الخامس

خلاصة واستنتاجات

استهدف البحث محاولة استكشاف استراتيجيات العائلة الفلسطينية للبقاء والتكيف الاجتماعي هادفةً الى تحسين الواقع الصعب الذي تتعرض له وخاصة في ظل الظروف الاقتصادية والسياسية غير المستقرة والناتجة عن سياسة الاحتلال الذي ظل يسبب لهذا الشعب مستقبلاً غير آمن.

إن الدراسة المتواضعة التي قمت بها على العائلات المبحوثة دلت على أن هذه العائلات لم ترضخ للواقع الصعب والمرير الذي عصف بها منذ بداية انتفاضة الأقصى، وأصرت على الاستمرار وعدم الانقراض كما خطط لها، بل على العكس من ذلك، قامت بتطوير آليات جديدة جعلتها أحياناً اكثر صلابة وقدرة على مواجهة مشاكل مماثلة، وقد حافظت كذلك على تطوير واقعها هذا مهيئة لنفسها جواً قادراً على مواجهة أي طارئ مستفيدة من خبرات المرحلة الماضية والحالية في التخطيط للمستقبل بنوعيه قصير المدى وطويل المدى، وقد اعتاد شعبنا الفلسطيني على تخطي كل الصعوبات التي تعترض حياته في معظم الأحيان.

لقد دفعت الحالة الاقتصادية والسياسية التي ألمت بالشعب الفلسطيني والعائلات الفلسطينية، الى البحث عن مصادر رزق جديدة لإعالة أسرها، بعد فقدانها لعملها الذي كان مصدر دخل لها، مما أحدث تغييرات بنيوية على صعيد العائلة مثل تقسيم الأدوار أو توزيع العمل والمسؤوليات . . . . . الخ بين أفرادها، إضافة الى محاولة التوجه في التفكير بالأقارب، على تكاتف العائلات الفلسطينية وتضامنها، كما اتضح من خلال دراسة عائلتي " أم حسام " و " أبو رامي " .

ومن جهة أخرى دفعت الأزمات التي واجهت العائلات إلى البحث عن بدائل قد تكون صعبة في البداية، مثل طلب معونة من أحد الأقارب، أو توجه الأم للعمل الخارجي من أجل التغلب على الأزمة المالية، والمحافظة على بقائها وهذا ينطبق على الأبناء، حتى الصغار منهم الذين يسهمون في إيجاد موارد للعائلة كعائله " أم حسام " .

أما بالنسبة للعلاقة بشبكة الأقارب ونوعها، فيبدو واضحاً أن هذه العلاقات تزداد فقط في حال الأزمات، حيث يقوى الاعتماد على شبكات القربى، وخاصة القرابة من الدرجة الأولى، مثل حاله " أم حسام " و " أبو رامي " . وعلى العكس تنحو العائلات تجاه الاستقلالية

والمحافظة على خصوصيتها وأتباع خط معتدل تجاه الأقارب يتسم بطابع المجاملة في المناسبات الرسمية، عندما تكون العائلة في وضع اقتصادي جيد ومريح، هذا ما لاحظته في عائلة " أبو رمزي " .

وترى جميع العائلات أن تعليم الأبناء هو افضل استثمار للعائلة والأبناء وبخاصة البنات لأن الشهادة تشكل سلاحاً يتسلحن به ويواجهن من خلاله الأزمات التي يمكن أن تعترض حياتهن في المستقبل، فجميع العائلات المبحوثة ترى أن التعليم بمثابة استثمار واستراتيجية وسند وضمان، ليس لمنفعة الأهل فحسب بل لمنفعة أنفسهم وحياتهم المستقبلية، لذلك نجد الجميع يحاول تعليم الأبناء بقدر المستطاع والإمكانيات.

وتوصلت الدراسة إلى نتيجة مهمة تتفق في معظم الأحيان مع أغلب الدراسات السابقة حول هذا الموضوع ومفادها انه كلما زاد تعليم الوالدين كلما زادت موارد العائلة, وزاد دخلها واحتمال تغلبها على مواجهه الأزمات. فهذه العائلات خططت بذكاء استراتيجية حياتها وطبقتها ولاحظت أنها متينة، على عكس الاستراتيجية المبنية على الرمل التي تتلاطمها الأمواج وتهدمها، كما حصل في العائلات الأخرى التي لم تول التعليم اهتماما، ولم تبن مشاريع استثمارية بديلة تساعد العائلة وقت الشدائد.

أنني أوصي بناء على هذه الدراسة المتواضعة أن على الجهات المعنية والمسؤولة في السلطة الوطنية الفلسطينية والمؤسسات المختلفة أن تعي الوضع السياسي المتغير والمرتبط بمشكلة انعدام فرص عمل واستثمار، لذلك يجب رفع سقف المساعدات التي تحصل عليها تلك العائلات من السلطة الوطنية، كما أنه ينبغي توفير فرص عمل في القطاع الاقتصادي الفلسطيني؛ لأن الحرمان من العمل يلحق أضراراً بعائلات العامل اقتصادياً واجتماعياً، وعلى وزارة العمل بالتنسيق مع الغرف التجارية والصناعية، إعداد خطة لتأمين وضمان حل لهذه المشكلة لدى هؤلاء.

إن هناك العديد من مشاريع البنية التحتية التي يفتقدها أبناء هذا الشعب، مثل بناء المدارس والعيادات الصحية وإصلاح الطرقات وشق الطرق الجديدة، إضافة الى إقامة مشاريع سكنية وبخاصة للعائلات محدودة الدخل، فمثل هذه المشاريع التي ينتظرها أبناء شعبنا من أجل تحسين نوعية حياتهم البائسة خلال فترة الاحتلال، تستطيع السلطة الفلسطينية تنفيذها من خلال أموال الصمود التي يتوقع وصولها بين حين وآخر.

فبدلاً من إعطاء العاملين العاطلين عن العمل حالياً هذه الأموال وهم يجلسون في بيوتهم،

تستطيع السلطة منحهم الأموال ولكن مقابل العمل لإنجاز هذه المهام الأنفة الذكر، وبذلك تدعم العامل مادياً، ونبني بلدنا ويشعر العامل أن جهده ذهب لشعبه لا لعدوه الذي يتفنن ويبتدع الأساليب في قتله وتعذيبه.

كما ينبغي على السلطة الفلسطينية تخفيض رسوم الهاتف والمياه والكهرباء للعائلات محدودة الدخل، وتقديم المساعدات القانونية لتحصيل مستحقات العمال من أجور وتعويضات من أصحاب العمل الإسرائيلي ليتمكنوا من استغلال تعويضاتهم من اجل تأمين احتياجاتهم الأساسية، واستثمارها في المجالات المختلفة. وعلى السلطة أن تعمل على مجانية التعليم، ومجانية التأمين الصحي لجميع العائلات الفلسطينية محدودة الدخل، وبدون ذلك سوف تلجأ العائلات إلى الهجرة خارج الوطن.

وأخيراً. يجب أن تقوم السلطة الوطنية، وجميع مؤسساتها بأتباع سياسة ترشيد حكيمة، وأن تضع حداً للفساد وهدر المال العام، ورصد جميع هذه الأموال في خدمه شعبنا من اجل الصمود والمقاومة.

هوامش البحث:

١ . هلال جميل . المالكي، مجدي . "نظام التكافل الاجتماعي غير الرسمي (غير الممأسس) الضفة الغربية وقطاع غزة" ، ص١ ، ١٩٩٧ .

٢ . لجنة أبحاث المرأة، " الأسرة والانتفاضة " ، دراسة اجتماعية اقتصادية، النادي الثقافي الرياضي، ص١٤ , ١٩٩٠ .

٣ . المالكي، مجدي . والشلبي، خميس، "التحولات الاجتماعية-والاقتصادية في ثلاث قرى فلسطينية" ، مركز العمل التنموي / معاً، القدس ص ٤٥ , ١٩٩٣ .

٤ . لجنة أبحاث المرأة، مرجع سبق ذكره ص٧٩ .

٥ . المرجع السابق ص٧٩ .

٦ . المرجع السابق ص٧٦ .

٧ . المرجع السابق ص١١٠ .

٨ . المالكي وشلبي، مرجع سبق ذكره ص٧١ .

٩ . المالكي وشلبي، مرجع سبق ذكره ص٧٢ .

١٠ . المالكي وشلبي، مرجع سبق ذكره ص١٧٥ .

١١ . عثمان إبراهيم، " التغيرات في الأسر الحضرية في الأردن" ، مجلة العلوم الاجتماعية، عدد٣، ص٣٢ , ١٩٨٦ .

١٢ . هلال، جميل . المالكي، مجدي، مرجع سبق ذكره، ص٦٥ .

١٣ . المعلول، ريمون . "بنية الأسرة الريفية وتطورها وعلاقتها بالتربية" . دمشق : وزارة الثقافة، ص٢٩ , ١٩٩٦ .

١٤ . المنسي ،كامل، "العمالة الفلسطينية" . مركز الديمقراطية وحقوق العاملين : رام الله ، ص٥ أيار/ ٢٠٠٠ .

١٥ . المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان . "أحداث أيلول ١٩٩٦" ، جنين سلسلة رقم (٧) الطبعة الأولي / أكتوبر ١٩٩٦ .

١٦ . الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ١٩٩٩ .

قائمة المراجع

١ . المالكي، مجدي وخميس، الشلبي . "التحولات الاجتماعية–والاقتصادية في ثلاث قرى فلسطينية" . القدس مركز العمل التنموي / معاً، ١٩٩٣ .

٢ . المعلول، ريمون . "بنية الأسرة الريفية وتطورها وعلاقتها بالتربية" . دمشق : وزارة الثقافة، ١٩٩٦ .

٣ . المنسي ،كامل . "العمالة الفلسطينية" . مركز الديمقراطية وحقوق العاملين : رام الله أيار/ ٢٠٠٠ .

٤ . المركز الفلسطيني لحقوق الإنسان، "أحداث أيلول ١٩٩٦" ، جنين سلسلة رقم (٧) الطبعة الأولى / أكتوبر ١٩٩٦ .

٥ . الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، ١٩٩٩ . "التعداد العام للسكان والمساكن والمنشأة ١٩٩٧" : النتائج النهائية . تقرير لسكان–محافظة رام الله والبيرة : (الجزء الأول) . رام الله فلسطين .

٦ . عثمان ، إبراهيم . "التغيرات في الآسر الحضرية في الأردن" . مجلة العلوم الاجتماعية عدد ٣ , ١٩٨٦ .

٧ . لجنة أبحاث المرأة . "الآسرة والانتفاضة" . دراسة اجتماعية اقتصادية، النادي الثقافي الرياضي، ١٩٩٠ .

٨ . هلال ، جميل . ومجدي، المالكي . "نظام التكافل الاجتماعي غير الرسمي(غير المأسس) الضفة الغربية وقطاع غزة. ١٩٩٧ .

Table 4. Method Comparison of LDL Subfraction between PGTE and NDGGE

		Quantimetrix			
GGE	n	Small	Int.	Large	Concordance*
Small	37	34	2	1	92%
Intermediate	19	0	16	3	84%
Large	46	0	3	43	93%

* Weighted Kappa of 0.9068 with 95% Confidence limits of 0.85- 0.97.

Fig 1. Effect of Triglyceride levels on LDL subfraction distribution.

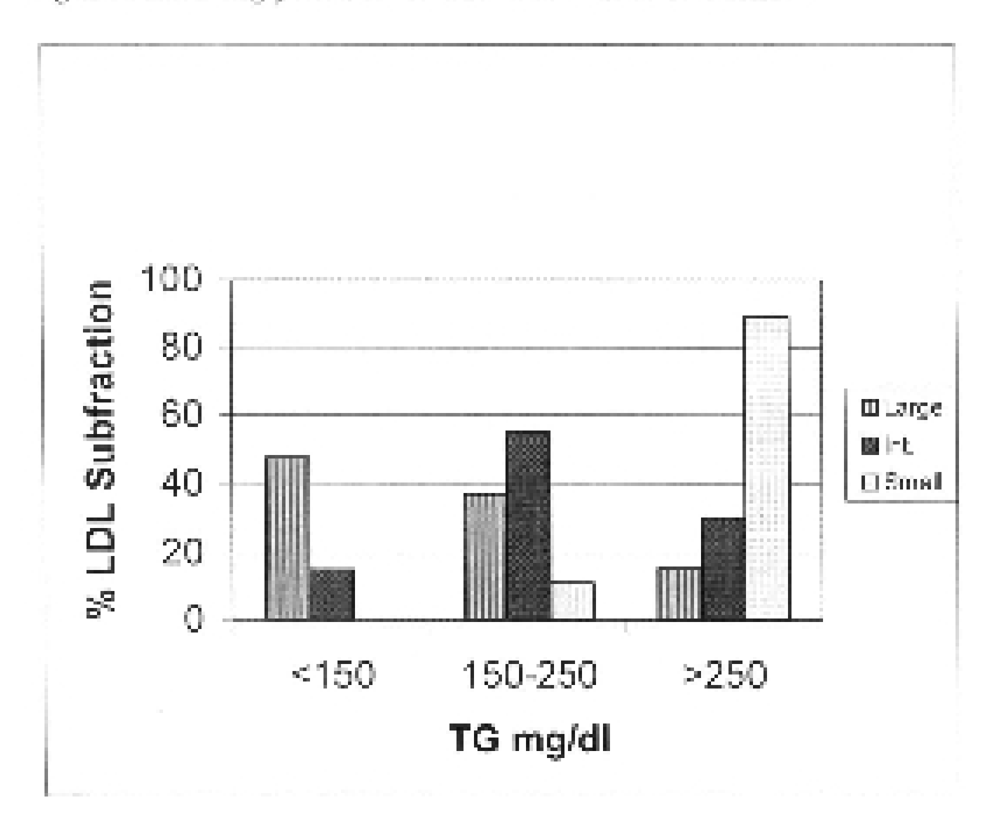


Table [illegible]: Precision profile for [illegible] method

	Intra assay (n = [illegible]) RF Mean ± SD	CV%	Interassay (n = [illegible]) RF Mean ± SD	CV%
Level 1	0.315 ± 0.005	1.[illegible]	0.51 ± 0.011	3.53
Level 2	0.75 ± 0.014	1.83	0.44 ± 0.008	1.91

Table 2. Subject Characteristics and Lipid Profile

	Mean±SD	Range
Age years	52 ± 13.7	24-87
Total Chol mg/dL	[illegible] ± 80.5	118-565
TG mg/dl	[illegible] ± [illegible]	6[illegible]-817
HDL mg/dL	43 ± 10.1	20-152
LDL mg/dl	125 ± 44.4	42-459
Male/Female ratio	34/62	

Table 3. The distribution of lipids levels according to LDL subfraction

	Large	Int	Small	p
Chol	**212±68**	**219±52**	**228±54**	0.51
TG	**168±70**	**268±131**	**398±133**	<0.001
HDL	**49±15**	**38±7**	**34±6**	<0.001
LDL	**127±61**	**128±34**	**121±41**	0.71

p: One way ANOVA for parametric data (Chol and LDL-C) and Kruskall Wallis ANOVA on ranks for non parametric data (TG and HDL-C)

Abstract:

Phenotyping of LDL using Polyacrylamide Gel Tube Electrophoresis (PGTE, Quantimetrix) and its comparison with Non denaturant gel Electophoresis (NDGGE)

Dr. Yosra Othman

Journal Of
Alquds Open University
Research & Scientific Studies

Contents

9. References should follow rules as follows :

   (a) If the reference is a book, then it has to include the author name, book title, translator if any, publisher, place of publication, edition, publication year, page number.

   (b) If the reference is a magazine, then it has to include the author, paper title, magazine name, issue number order by last name of the author.

10. References have to be arranged in alphabetical order by last name of the author.

11. The researcher can use the APA style in documenting scientific and applied topics where he points to the author footnotes.

Guidelines for Authors

The Magazine Publishes Original research documents and scientific studies for faculty members and researchers in Alquds Open University and other local, Arab, and International universities with special focus on topics that deal with open education and distance learning. The Magazine accepts papers offered to scientific conferences.

Researchers who wish to publish their papers are required to abide by the following rules :

1. Papers are accepted int both English and Arabic .
2. each paper should not exceed 25 pages or 7500 words including footnotes and references.
3. Each paper has to add new findings or extra knowledge in its field.
4. Papers have to be on a floppy diskette“Disk A“ or on a CD accompanied by three hard copies. Nothing is returnable in either case: published or not.
5. An abstract of 100 to 150 words has to be included. The language of the abstract has to be English if the paper is in Arabic and has to be Arabic if the paper is in English .
6. The paper will be published if it is accepted by at least two revisers. The magazine will appoint the revisers who has the same degree or higher than the ressearcher himself.
7. The researcher should not include anything personal in his paper.
8. The owner of the published paper will receive five copies of the magazine in which his paper is published.

Journal Editorial Board

The research magazine Alquds Open University
P.O.Box 51800
Tel : 2964571,2,3,4
Fax: 2694570
Email : Hsilwadi@Qou.edu

Journal Of Alquds Open University

For Research and Studies

A Scientific Biannual Refereed Journal

No. 2 - Jumada(2) 1424H / August 2003

